إيين آكرلي

لا رش يا لوول

مكتبة ياسمين

دار المنى

لارش يا لوول

تحياتي لارش،

يسعدني جدًّا أن أكون عرَّابتك. يبدو أنَّك شابٌّ لطيفٌ وودودٌ، على الرغم من أنَّني لا أعرفك جيِّدًا بعد. أنا أيضًا لطيفةٌ ومرحةٌ، لكنَّ شكلي قد لا يوحي بذلك دائمًا. أتمنَّى أن يتعرَّف كلٌّ منَّا إلى الآخر أكثر، ولا تتردد أن تخبرني إن كنتَ بحاجةٍ إلى مساعَدةٍ في أمرٍ ما في المدرسة أو لديك بعض التساؤلات.

مع تحياتي أماندا

لارش يا لوول رواية يقرأها الفتيان والكبار لما فيها من امور حياتية مهمة تعكس ترابط الحياة الطلابية وقضاياها مع الجميع من أهل وزملاء ومدرسين.

حكاية تبرز أهمية الوقوف بعزم الى جانب كل ما نعتقد أنه الأوْلى والأهم. وما هو الأهم؟ هل ما يفضله الآخرون، أم ما تؤمن به أنت؟

مكتبة ياسمين

9 789187 333903

دار المنى

لارش
یا
لوول

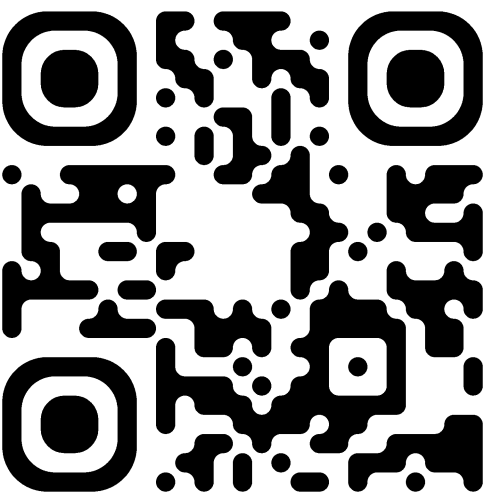

telegram @
yasmeenbook

ISBN 978 91 87333 90 3
Arabic edition © Bokförlaget Dar Al Muna AB 2018
© Iben Akerlie
First published by H. Aschehoug & Co. (W.Nygaard) Oslo 2016
Original title: Lars är lol
Published in agreement with Oslo Literary Agency
Original cover: Erica Jacobson
Printed in Sweden at Scandbbok AB
Translation has been supported by Norla

Bokförlaget Dar Al Muna AB
Box 127 18205 Djursholm, Sweden
www.daralmuna.com

إيبن آكرلي

لارش يا لوول

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

النصّ العربيّ: راوية مرّة

دار المنى

1

أُحبُّهُ

telegram @
yasmeenbook

آدم ،

آدم ، آدم ، آدم . يجلسُ على بعد صفَّين من المقاعد أمامي في غرفة الصَّفِّ . ينفذُ شعاعُ الشمس الدافئ من النافذةِ المفتوحة على نهاية صيفٍ حافلٍ بالأحداث . إنَّه اليوم الدِّراسيُّ الأوَّل بعد عطلة الصيف ، وأنا جالسةٌ هنا أحلم بروعة الشُّعور الذي يمنحني إيَّاه تمريرُ أصابعي عبر الشعر البنيِّ القاتم الذي يترامى على شكلِ حلقاتٍ عند العنق . إذا أغمضتُ عينَيّ أستطيع أيضًا أن أرى العينيْن القاتمتين تحدِّقان بقوَّةٍ في عينَيّ ، على الرَّغم من أنَّهما لم تفعلا ذلك ولو لمرَّةٍ في الواقع . ففي الواقع تكاد تلكما العينان تجهلان تمامًا أنَّني موجودةٌ .

أماندا وآدم . أحلّقُ طوالَ الصّيف مثل بالونٍ على شكل قلبٍ وأحلم بعيدًا ، في عالم تكون فيه نتيجة معادلة آدم زائد أماندا مساويةً الواقع .

كنتُ واثقةً في تلك الأحلام من أنّي حين أعودُ إلى المدرسة بعدما كبرتُ صيفًا بأكمله ، سأجرؤ أخيرًا على الحديث معه ؛ مع آدم . سأجرؤ أخيرًا على قول «مرحبًا» أو «أهلًا» وقد أسأله أيضًا كيف كانت إجازتهُ الصيفيّة . هل قضاها في بيته الصيفيِّ هو أيضًا؟

لكن ، لا . عندما وصلتُ إلى المدرسة اليوم وجدتُ غرفة صفِّنا الجديدة ، ووجدتُ صديقتي المفضّلة ساري ، واكتشفتُ آدم على بعد خمسة أمتارٍ منّي ، وتجمّدتُ في مكاني . كواحدٍ من حرّاس الملك وقفتُ في حالة استعدادٍ أحدِّق أمامي من دون أن يرمشَ لي جفنٌ . دفعتني ساري إلى الأمام بلكمةٍ خفيفةٍ على ظهري وبما أنَّ قدمَيّ كانتا متحجرتيْن في مكانهما كأنّهما زُرعتا في الأرض ، سقطتُ إلى الأمام كأيّةِ بلهاء تتعثّر بسببٍ أو بلا سبب . نجحتُ في اللحظة الأخيرة بأن أستخدم يدَيّ لحماية جسدي من عنف السقوط ، فارتطمَتْ بدورها بالأرض المتّسخة بعنفٍ .

بقيتُ ممدّدةً للحظةٍ لا يبعد أنفي عن الأرض سوى سنتيمترين ، وحدّقتُ بالأرض مباشرةً ، وأنا أشعر كيف تتسربُ ثقتي بنفسي خارج جسدي .

عندما نهضْتُ من مكاني ونظرْتُ حولي ، كان آدم قد اختفى ودخل غرفة الصفِّ . لم يرني ولم يلحظ حتى إنّي وقعت .

«هل أنتِ على ما يرام يا أماندا؟» سألتْ ساري .

«أجل» ، قلتُ . «أخدع فقط نفسي بالظّن بأنَّ الأمورَ ستسيرُ على

نحوٍ أفضل .»

لست أدري إن كانت هي أيضًا تظنُّ أنَّ الأمورَ ستسير على نحوٍ أفضل ، أم أنَّها كانت تتوقَّع حدوثَ ما حدثَ بالضبط . أي أن أتجمَّد في مكاني ، وأتعثَّر ، ولا أجد الجرأةَ رغم ذلك . تعرفني ساري أكثر ممَّا يعرفني شخصٌ آخر ، ومع أنَّنا تحدَّثنا كثيرًا أثناء عطلة الصيف ؛ عن احتمال أن أجرؤ وأتحدَّث إلى آدم عند عودتنا إلى المدرسة ، إلَّا أنِّي لن أصاب بالدهشة إنْ علمتُ أنَّ ساري تدرك في قرارة نفسها ، أو تعلم علم اليقين عدمَ جرأتِي على فعل ذلك .

افتقارُ الجرأة ميِّزة من ميِّزاتي .

تنهَّدتُ بوهن . لم تقل ساري شيئًا ، بل وضعتْ ذراعًا نحيلةً تحت ذراعي ، وقادتني عبر الغرفة إلى صفِّ المقاعد الأخير . هناك وجدنا مقعدَين خاليَين في إحدى الزوايا .

جلستُ أتأملها بإعجابٍ . إنَّها الإنسان الأكثر حكمةً ولطفًا من بين كلِّ منْ أعرف منَ البَشر . لاحظتُ أنَّ شعرها طال كثيرًا خلال الصيف ، ورأيتُه ينسابُ على ظهرها بخصلٍ ذهبيَّةٍ كأنَّه دلتا نهر الأمازون في طريقه إلى المحيط الأطلسي . عيناها الحادَّتان تضيئان ابتسامتَها الدافئة ، وأنفَها الصغير الذي احمرَّ لونه ولوَّحته أشعَّة الشمس . وفوق عينَيها يمتدُّ حاجبان عريضان يتشنَّجان قلقًا علَيّ .

أحاولُ أن أمتنعَ عن التفكير بآدم ، لكنَّه يجلسُ أمامي على بعد

صفَّين من المقاعد ، يدوِّر قلم رصاصٍ بين أصابعه . إنَّه التلميذ الوحيد في الصفِّ الذي يجيد القيام بذلك ، وصار أكثر براعة خلال فصل الصيف . يثبِّت مرفقه جيِّدًا فوق الطاولة ، ثمَّ يمسكُ بقلم الرصاص بين الإبهام والشاهد ، ثمَّ يستخدم قوَّة الخنصر لدفع القلم في حركةٍ دائريَّةٍ متوازيةٍ . يدوِّر القلم ثلاث مرَّاتٍ قبل أن يعودَ ويمسك به بقبضةٍ حاسمةٍ ، ويجعله يعاود الدوران من جديد . كأنَّ ذلك أبسط ما في العالم من حركات . لقد تمرَّنتُ على ذلك طوال فصل الصيف ، ولم أنجح بجعل القلم يدور أكثر من دورةٍ واحدةٍ ثمَّ يفلتُ منِّي ويقع .

ينوِّمني القلم في يد آدم نومًا مغناطيسيًا ، وأتابع الحلم بتمرير أصابعي عبر تموُّجات شعره الناعمة . إذا نجحتُ بطريقةٍ ما بأن أقف خلفه في الدور إلى صالة الطعام ، قد أنجح بتمرير أصابعي عبر شعره من دون أن يلحظ ذلك أحدٌ .

صحوتُ من أحلام اليقظة حين اقتحمتْ يائِّه (معلِّمتنا المسؤولة عن الصفِّ) الغرفة . «مرحبًا بكم جميعًا!» قالت بصوتٍ عالٍ ومرحٍ ، لكنَّه صوتٌ لا يستدعي حتى الآن اهتمامًا جديًا من أحد . نتابع ثرثرتنا مع بعضنا بينما ترتِّب يائِّه كلَّ ما هو مبعثر ، وكلَّ ما وضع في مكانٍ خاطئٍ في مقدمة الصفِّ . تنقل كتيِّبات البيولوجية من إطار النافذة إلى المكتبة ، وتضع الأقلام الجديدة أسفل اللوح الأبيض . خصلات شعرها الحمراء تقفز مع كلِّ حركة تقوم بها . بشرتها محمرَّةٌ بفعل تعرُّضها لأشعة الشمس . غطَّاها النمش الذي ازداد كثافةً حول

الأنف . وقد ارتدت احتفالًا بهذا اليوم ثوبًا طويلًا فضفاضًا صُبِغَ على طريقة الباتيك باللونين الأصفر والليلكيِّ . أراها تتهادى أمامنا ذهابًا وإيابًا كطاووسٍ سعيدٍ .

ثمَّ تستدير نحو الصفِّ وتقول بصوتٍ حنونٍ :

«أوه ، كم اشتقت إليكم!»

تبادلتُ وساري ابتسامةً وأدركتْ كلٌّ منَّا -من نظرة الأخرى- أنَّنا اشتقنا إليها أيضًا .

«أهلًا بعودتكم جميعًا!» تابعت المعلِّمة . «أشعر أنِّي بالكاد أعرفكم لأنَّكم كبرتم كثيرًا أثناء العطلةِ الصيفيَّة .»

ثمَّ تضحك لنا ضحكةً سريعةً .

«يسعدني حضوركم هنا مجدَّدًا . كلِّي شوقٌ لسنةٍ جديدةٍ نعيشها معًا!»

تستمرُّ يانِّه في حديثها ، وأترك العنان لأفكاري . أجد نفسي بعد لحظاتٍ أفكِّر بأمرٍ مختلفٍ تمامًا : أمامي بصفَّين من المقاعد خصلات شعرٍ لونها بنيٌّ قاتمٌ . آدم الذي يجلس هناك ، يحرِّك قلم الرصاص بين أصابعه . واقعًا يبدو وكأنَّه ينتمي إلى مكان آخر . كتفاه مشدودتان إلى الأمام بعض الشيء ، وظهرَ بين كتفيه خطٌّ رفيع من العرق بلّل قميصه القطنيَّ الأحمر .

«أحبُّهُ» ، همستُ لساري . تركتِ الحقيبة التي تبحثُ في داخلها عن ورقةٍ وقلمٍ ، لتنظر إليَّ .

«هل تعنين ذلك حقًا؟» سألتني بجديّة .

«أجل . أدركتُ ذلك حين رأيته مجددًا . . . إنّني أحبُّهُ .»

«إنّها عبارةٌ قويّةٌ جدًا» ، حاولتْ ساري أن تذكّرَني . يقول أبي إنّ على المرء أن يقول «أحبُّ» حين يعنيها فعلا . الأمر نفسه ينطبق على كلمة «أكره» . هي كلماتٌ نستخدمها حين يكون الشعور قويًا إلى درجةٍ لا نستطيع معها العثور على كلمةٍ أخرى للتعبير عنه .

«ليس هناك كلمةٌ أخرى» ، أكّدتُ . «أحبُّهُ . وقد كَبُرَ حبّي له خلال فصل الصيف .»

تنهّدتُ عميقًا وتقلّصتُ ؛ انكمشتُ على ذاتي أكثر . وعجزتْ ساري عن الرد .

يعود صوت يانّه ويخترق كلَّ شيء .

«وسوف نتبنّى تلاميذَ جددًا هذه السنة!»

حماسة يانّه مُعْدِية ، ما يجعلني -أنا صاحبة كلِّ هذه الهموم- أبتسمُ لها . القيام بمهمّة العرّاب أمرٌ انتظره صفُّنا طويلًا ، ربّما منذ ذلك الحين الذي كنّا فيه تلاميذَ جُدُدًا وتبنّى كلًا منّا ، تلاميذُ أكبر سنًا . لقد تخيّل كلٌّ منّا تلك اللحظة التي يصير فيها عرّابًا لتلميذٍ جميلٍ من الصفِّ الأوّل ، ليعتني به .

جلستُ في وضعيّةٍ مستقيمةٍ ، ونجحتُ للمرّة الأولى في التركيز على أمرٍ آخرَ سوى آدم .

تابعتْ يانّه حديثَها :

«سيتمُّ توزيع الأطفال الجدد غدًا، لكنَّا سنتحدَّث عن الأمر بعد الغداء.»

يتنهَّدُ الجميعُ في الصفِّ تعبيرًا عن نفاد صبرهم، لكنَّ يانِّه لا تكترث لذلك.

«أريد قبل كلِّ شيء أن نستغلَّ الوقت للتعرُّف إلى بعضنا مجدَّدًا، أن يلمس كلٌّ منَّا الآخر مجددًا، وأن يعتاد كلٌّ منَّا على صوت الآخر، وأن نعود إلى ما كنَّا عليه قبل إجازة الصيف التي بدأت قبل شهرين.»

أن يلمسَ كلٌّ منَّا الآخر، وأن يتعرَّفَ كلٌّ منَّا إلى الآخر مجدَّدًا. بتعابير يانِّه، تعني أنَّه بإمكان كلٍّ منَّا أن يجلس حيثُ يريد، ويتحدَّثَ إلى من يريد. استدرتُ نحو ساري كي أقول شيئًا عن خصلات شعر آدم، عندما سمعت صوتًا مبحوحًا خلفي يقاطعني.

«مرحبًا.» إنَّهُ كاي. كاي الذي يسلِّم علينا بيده المرفوعة في الهواء بانتظار أن تلامسها أيادينا.

ابتسمتُ أنا وساري عند رؤيته. فرحنا للقاء كاي مجدَّدًا. إنَّه الجزء المكمِّل للثلاثيِّ الذي نؤلِّفه، وهكذا اكتمل عددنا.

«ما الذي يحدث؟» تابع كاي غير آبهٍ بشيءٍ.

«لا يحدث الكثير»، أجابتْ ساري عنِّي وعنها. ثمَّ أفسحتْ مكانًا له ليقاسمها الكرسيَّ الذي تجلس عليه.

«حسنًا، حسنًا»، قال كاي. «لم ألتقِ أيًّا منكما خلال الصيف،

ومع هذا لم يحدث الكثير! حسنًا ، لقد فهمت .»

يتظاهر كاي بأنّه منزعجٌ لكنَّ وجهه يشعُّ دفئًا وصداقةً .

«لا بدَّ من أنّك تفهم ما أعني» ، قالت ساري معتذرةً ، «لا شيء يحدث الآن بالذات .»

ضحكنا سويًا ، ثمَّ بدأ كاي في الحديث عن عطلته الصيفيَّة . والد كاي من غامبيا ، وكان كاي في إفريقية في زيارة إلى عائلته . بشرته سمراء طوال السنة لكنَّها الآن تشعُّ كالجمر فعلًا . عيناه خضراوان كزجاجاتٍ فارغةٍ ، وتشعُّ نورًا حين يتحدَّثُ أو يبتسم . شفتاه كبيرتان وخلفهما صفٌّ منتظمٌ جدًا من الأسنان .

سرحتُ بنظري صوب آدم أثناء حديث كاي وساري عن إجازة الصيف . ما سبب كلِّ هذه المصاعب اللعينة في الحبِّ؟ لماذا هذه الحرقة في الداخل طوال الوقت؟ كأنّني لم أعد أقضي ثانيةً واحدةً مع نفسي ، لأنَّ لدَيّ دائمًا تمثالًا صغيرًا قابعًا في داخل القلب يخدش جداره لنفاد صبره .

يُقاطعنا رنينُ الجرس ، فيبدأ تلامذة الصفِّ جميعًا السير تُجاه الساحة وأشعَّة الشمس الدافئة . تابعَ كاي حديثَه أثناء سيْرنا عن عمَّاتٍ وأعمامٍ وقططِ شوارعَ . ضحكتْ ساري وضحكتُ معها .

شممتُ فجأةً رائحة عطرٍ كادت تنيِّمني مغناطيسيًا ، جعلتني أفكِّر بشراب الحليب مع الفراولة والشوكولاتة . رفعتُ رأسي واكتشفتُ أنّني أقف خلف آدم مباشرة . تجمَّدتْ حركاتي وصارتْ متقطعةً . كأنّه

أغمي علَيّ مع أنّني ما زلتُ أتحرك ، وقد لاحظتْ ساري التي كانت إلى جانبي ذلك .

«يجب أن تتصرَّفي يا أماندا ، فقد صرتِ تشبهين الأحياء الأموات .»

قالت ذلك بصوتٍ منخفضٍ كي لا يسمعها آدم ، لكنَّ كاي سمع ما قالت .

«أن تتصرَّف بخصوص ماذا؟» سأل ومسح بيده فوق شعره القصير .

«بخصوص آدم» ، أفصحتْ ساري في الوقت الذي أبطأت فيه من سرعتها كي يسبقنا آدم .

«هل ما زالت حتى الآن؟» أصيب كاي بصدمة . «ظننتُ أنَّكِ ستنسين مشاعركِ تُجاهه خلال فصل الصيف . ألم تكن الخطَّة كذلك؟»

«بلى» ، اعترفتُ ، «لكنَّ الموضوع تفاقم أكثر . إنّني أحبُّه .»

«أوه! لدينا مشاكلُ كبيرةٌ إذًا» ، قال كاي وراح يهزُّ برأسه مستسلمًا .

هزَّت ساري برأسها أيضًا ، لكنَّ السبب هو أنَّها بدأت تسأم الموضوع برمَّته ، على ما أعتقد . على الرغم من كلِّ شيء ، مرَّت سنتان حتى الآن وأنا مغرمةٌ بآدم ، من دون أن أقوم بأيِّ شيء للتعامل مع الأمر .

عندما ارتادَ آدم مدرستنا في الصفِّ الرابع وقعت البنات جميعهنَّ في حبِّه . لكنَّه لم يحبَّ أحدًا ولم يكترث لشيءٍ سوى كرة القدم .

بدايةً لم أجد صعوبةً في التحدُّث إليه ، وكنت أشاركُ في لعبةِ كرة القدم عندما يقيم مباراةً ضدَّ فريقٍ من الصفِّ الموازي لصفِّنا خلال فرصة الغداء . لكنَّه أتاني فجأةً في يوم من الأيَّام أثناء حصَّة العلوم ، وسألني إن كنتُ أستطيع مساعدتَه . ظننتُ أنَّه عنى مساعدته في حلِّ الأسئلة التي أوكلت إلينا في الدرس ، لكن حين رافقته إلى مقعده تبيَّن لي أنَّه يريد منِّي أن أساعدَه على بدء علاقةٍ مع بنتٍ من الصفِّ الموازي لصفِّنا . لم أنجحْ حتَّى بإعطائه جوابًا عاديًا مثل «نعم» أو «لا» ، بل واصلتُ التحديق فيه ، في الوقت الذي خارت فيه قُواي الجسديّة كلُّها . كانت تلك المرَّة الأولى التي شعرتُ فيها بالشلل التام والعجز عن القيام بأيِّ شيء لمقاومةِ ذلك العجز ، لكنِّي أُصابُ غالبًا بذلك الشعور منذ ذلك الحين .

أظنُّ أنَّ ساري شعرت بشيءٍ من الراحة حين قرَّرتُ أن أتوقَّفَ عن حبِّه خلال إجازة الصيف ، وأظنُّ أنَّها تشعر الآن بخيبة أمل لأنَّها ترى أنَّني مغرمةٌ به الآن أكثر من أيِّ وقتٍ مضى .

«علينا أن نتصرَّفَ يا أماندا» قال كاي بحزم . «وخير البرِّ عاجله .»

«نتصرَّف . . . كيف؟» قلتُ مستسلمةً تمامًا .

«عليكِ أن تقتربي منه .»

«لا . . .» قلتُ مترددة .

«لا جدوى من ذلك» ، قاطعت ساري . «لقد حاولَت القيام بذلك سابقًا لكنَّها تمتمتْ فقط ، ثمَّ تحجَّرتْ في مكانها كالعادة .»

«هل ساءت بكِ الحال إلى هذا الحدِّ؟» قال كاي وهزَّ رأسه ثانيةً .

«مسكينةٌ أنتِ» ، تمتمتْ ساري في الهواء .

«نعم» ، قال كاي موافقًا . «لكن عليكِ أن تفعلي ذلك هنا والآن . عليكِ أن تذهبي إليه وتقولي مرحبًا أو أيَّ شيءٍ آخر ، وتظاهري كأنَّ لا شيء يحدث . إنَّها الطريقة الفضلى .»

دفعنا الباب الثقيل الذي يؤدِّي إلى ساحة المدرسة . ومنعتنا أشعَّة الشمس الحادَّة من الرؤية لثوانٍ معدودةٍ .

«أجل . . .» ، قلتُ وأغمضت عينَيّ ، ثمَّ فتحتهما كي أتمكن من الرؤية ثانيةً .

عبرنا ساحة المدرسة باتجاه مجموعةٍ من المقاعد في زاويتها البعيدة . تعوَّدنا أن نجلس هناك دائمًا . نستطيع أن نرى ساحة المدرسة كلَّها من هناك ، ولم يمرَّ وقتٌ طويل حتى لمح كاي آدم في ملعب كرة القدم . رأيته أيضًا بمحاذاة الخطِّ الجانبيِّ للملعب برفقة شابٍّ من الصفِّ الموازي .

«اذهبي إليه ، قولي مرحبًا ، واسأليه هل استمتع بالإجازة الصيفيَّة .»

الكلام سهلٌ لكنَّ الفعلَ أصعب . وعلى الرغم من صعوبة الأمر إلَّا أنَّني أشعر وكأنَّني جمعتُ كلَّ ما لديَّ من شجاعةٍ منذ محاولتي الأخيرة ، أو ربَّما لأنَّ كاي وساري يساندانني ويقدِّمان الدعم لي ، أو ربَّما لأنَّ ذلك التمثال الصغير يخدش جدران قلبي بعنفٍ لا يطاق .

عليَّ أن أقوم بتصرُّفٍ ما .

قمتُ من على المقعد ، وتنفَّست بعمق رئتَيّ بما يكفي ليجبر العمود الفقري على الاستقامة . تركتُ ليدي العنان لتنزلق فوق شعري الجامح . أحاول أن أجبر شعري على البقاء مكانه على الرَّغم من إدراكي أنَّ المهمَّةَ مستحيلةٌ ، وأنَّ شعري سيبقى واقفًا يشير في الاتجاهات كلِّها .

«حسنًا» ، قلتُ وأطلقت زفيرًا عميقًا ، ثمَّ سرت باتجاه آدم من دون أن التفت حولي .

تستغرق الطَّريق عبر الساحة عشر سنوات تقريبًا للوصول إليه . هذا ما شعرتُ به على كلِّ حالٍ . مشواري بطيءٌ ، لكنَّه يمضي إلى الأمام . يتحرَّك جسدي فوق ملعب كرة القدم ، خطوةً خطوةً . إنَّني متوترةٌ ، وفي الوقت نفسه هادئة ، وكلَّما اقتربت من الهدف ، تقلَّص شعوري بالخوف الذي أعلم أنَّه يتراكم داخلي . ما الذي أفعله؟ ماذا سأقول له؟ هل لدي خطَّةٌ ما؟ ربَّما آن الأوان لأنْ أمرّ بيدي عبر خصلات شعره الناعمة؟

ثمَّ أدركتُ أنَّه ليست لديَّ أيَّةُ خطَّةٍ على الإطلاق ، لكنِّي الآن قريبةٌ جدًا وخلال لحظاتٍ سأجد قولَ «مرحبًا» أمرًا طبيعيًا .

«مرحبًا» ، قلتُ عندما توقَّفتُ عن السير على بعد مترين منه ، لكنَّه لم يجبني . لم يكلِّف نفسه حتَّى عناء النظر إليَّ بل تابع اللعب بالكرة . كبرَ الهلع وتفاقمَ في داخلي ، لكنَّ غريزةً من نوعٍ ما سيطرت

علَيَّ وجعلتني أدرك أنَّني لا أستطيع التراجع الآن . علَيَّ أن أحتمل . ثمَّ تغادر «مرحبًا» أخرى فمي كصوتِ زمارةٍ .

نظر إليّ هذه المرَّة وحدَّق في عينَيّ لثانيةٍ ، قبل أن يستدير نحو صديقه من الصفِّ الموازي . همس لصديقه أمرًا ما ، فأجابَه هامسًا أيضًا ، قبل أن يستدير ويُخرجَ شيئًا ما من حقيبة الظهر الموجودة خلفه على المقعد .

بعد فترة بدت لي كأنَّها عشر سنوات ، أجاب آدم أخيرًا بعبارة «أهلًا» باردة .

«هل قضيتَ إجازةً صيفيَّةً ممتعةً؟» رميتُ السؤال من فمي بلا تردد . رحتُ في الوقت نفسه أتساءل عن تلك الثقة بالنفس التي هبطت علَيَّ ومن أين أتت ، لأنَّني أرتجف من الداخل .

«كان صيفًا لا بأس به» ، أجاب وهزَّ كتفيه .

ثمَّ وقف كلٌّ منَّا أمام الآخر من غير أنْ ينطق بكلمة . يبدو آدم متوترًا بعض الشيء ، لكنَّه يخفي ذلك خلف وقفةٍ توحي بعدم الاكتراث ، واضعًا يدَيه في جيبيه .

«م ، أنا . . .» بدأتُ أقول ، «سأراك لاحقًا!»

«انتظري!» نادى آدم فجأةً بصوتٍ عالٍ .

لم أكن قد بدأتُ السير بعد ، مازلتُ واقفةً في المكان نفسه فوق الإسفلت ، المكان الذي وقفت فيه طوال «حديثنا» العجيب هذا .

اقترب صديق آدم من خلفه ، وأعطاه زجاجة مياهٍ معدنيَّةٍ وحاول

في الوقت نفسه أن يكتمَ نوبةً من الضحك ، ثمَّ سارَ إلى الخلف مبتعدًا لكنَّه ظلَّ يرمقُني .

ثمَّ بدأ آدم بالسَّيرِ نحوي . قفز قلبي بعنف لا بدَّ من أنَّه ظاهرٌ للعيان . حاولتُ التنفُّسَ بعمقٍ والاحتفاظَ بهدوئي . ثمَّ اكتشفتُ أن آدم يبتسم ، وأنَّه يقاوم حتَّى لا ينفجر من الضحك . ما الذي يحدث يا ترى؟ لماذا يقترب آدم منِّي؟ ولمَ يبتسم؟

لم يقل شيئًا عندما توقَّف على بعد نصف مترٍ منِّي ولم ينظر إليَّ . اتسعت ابتسامته أكثر فأكثر عندما ضحك متهكِّمًا . وقفتُ كالمشلولة أمامه ، ولاحظتُ أنَّ صديقه ما زال يضحك بطريقةٍ هستيريَّةٍ على بعد أمتارٍ خلفه .

«هيَّا ، افعل ذلك!» ناداه بين نوبات الضحك التي أصابته .

نزع آدم غطاء الزجاجة ، ووضع إبهامه على فتحتها . بدأ بعد ذلك بخضِّ الزجاجة ببطء ، ثمَّ بحركاتٍ أكثر عنفًا . فعل ذلك لعشر ثوانٍ طويلةٍ ، من دون أن آتي بردَّة فعلٍ ما . وقفت متجمِّدةً في مكاني كأنَّني تحوَّلتُ إلى عصًا ، من دون أن أفقه شيئًا مما دار أمام عينَيّ .

ثمَّ وجَّه آدم فتحة الزجاجة صوبي ، وأبْعدَ إبهامَه عن فُتحتِها . أصابتني نافورةٌ عنيفةٌ من المياه المعدنيَّة وأغرقتني تمامًا من رأسي حتى أخمص قدمي . مرَّ دهرٌ قبل أن تتلاشى النافورة أخيرًا ، ورمشْتُ مرارًا حتى يتَّضح وجه آدم أمام ناظرَيَّ ، عَبْرَ الماء والدموع التي بدأت تسيل من عينَيّ .

النظرة التي رأيتها في عينيه نظرةٌ تشعُّ شماتةً ، وفجأةً مرَّت سحابةٌ فوقها ، وتحوَّل وجه آدم إلى قناعٍ حجريٍّ خالٍ من أيِّ تعبير . ثمَّ اسْتدار وراح يعدو باتجاه حمَّام الصِّبية ، وصديقه يعدو خلفه .

سمعتُ وقع أقدامٍ تسرع نحوي من الخلف .

«هل أنتِ بخير؟»

لقد جنَّ جنون كاي .

«اللعنة!» نادت ساري غاضبةً ، بدَتْ كأنَّ الدخان على وشك أن يتصاعد من أذنيها .

«تعالي معي» ، قال كاي ووضع ذراعه حولي وسيَّرني باتجاه الباب . البابُ موجودٌ للأسف في الناحية الأخرى من ساحة المدرسة ما يضطرُّنا إلى المرور أمام الجميع في طريقنا نحو الأمان .

كيفما حاولت تفادي نظرات الآخرين ، يستحيل علَيّ ألَّا ألاحظ أنَّ كلَّ من في ساحة المدرسة شاهدَ ما حدث . أكادُ لا أجرؤ على النظر إلى جسدي كي أتأكد من الأمر : فُستاني الأزرق الذي اخترتُه بعناية مساء أمس مبلَّلٌ كليًا وملتصقٌ بجسدي .

دخلنا الممرَّ ، ووجدنا مكانًا آمنًا تحت السُّلَّم . إنَّني مصابةٌ بصدمةٍ عنيفةٍ . ومبلَّلةٌ تمامًا . ودموعي تسيل . نظرتْ ساري إليَّ نظرة من يكاد لا يصدق ما يرى ولا يدري ماذا يقول .

«آسفة» ، همستْ وأمسكت بالسترة التي كانت تضعها فوق كتفيها ، ثمَّ ناولتني إيَّاها . «كان علينا ألَّا نقنعكِ بالاقتراب منه .»

«وكيف . . . لكم . . . أن . . . تعلموا . . .» قلتُ نائحةً .

أحضر كاي مناديلَ ورقيَّةً ، بدأ يجفِّف وجهي وشعري من الماء .

«ما الذي حدث؟» سأل . «ماذا قلتِ له بحقِّ السماء؟»

«لا شيء» ، قلتُ بعناء . «قلتُ له مرحبًا فقط . . . وسألته . . . عن إجازة الصيف .»

انتهت كلماتي الأخيرة بنهرٍ جامحٍ جديدٍ من الدموع ، دموعٌ مسحها كاي .

«لا أستطيع استيعاب ما حدث» ، قالت ساري متأملةً .

«ربَّما يحبُّكِ هو أيضًا ، بالطبع» ، قال كاي .

«غير ممكنٍ على الإطلاق» ، همستُ . «إنَّه يكرهني» .

«أجل» ، اعترف كلٌّ من كاي وساري معًا . «يبدو أنَّ الأمر كذلك .»

«ربَّما أستطيع نسيان أمره الآن» ، قلتُ وحاولت أن أبدو متفائلة .

«نتمنَّى ذلك» ، قالت ساري وأومأت برأسها ، «إلَّا أنَّه ليسَ بالأمرِ السَّهلِ .»

وعلى وقع تلك الكلمات الحزينة عدنا إلى الصفِّ . كأنَّنا فرسانٌ ثلاثٌ هزموا على أرض المعركة ، لكنَّا مازلنا سويًّا وصداقتنا هي رصدينا الباقي ، على الرغم من الخسارة .

2

أكبرُ من العمر

"ملابسُ رائعةٌ يا أماندا" ، سمعتُ صوتًا يقول خلفي حين دخلنا الصفَّ . التفتُّ ورأيت "أنَّا" ، صديقتي المفضلة سابقًا . لقد رفعَت شعرها بجديلةٍ مشدودةٍ جدًا ولمع في أذنيْها قرطان من اللؤلؤ . ترتدي قميص غولف زهريَّ اللون وسروالًا قصيرًا . لوَّنت الشمسُ بشرتَها فأكسَبتْها بريقًا ذهبيًا . وقفت الآن منفرجة الساقين على بعد متر منِّي ، واضعةً يدَيها على وركَيها بكامل الثقة ، تنتظر منِّي الدفاع عن نفسي .

«لم أعلم أنَّ المبلِّل و الشفَّاف هما موضة اليوم . . .» ، أضافت كرستينا التي وقفت ملتصقةً بأنَّا كأنَّها تخشى أن تضيِّعها . لكرستينا -على عكس أنَّا- شعرٌ أشقرُ يكاد يكون أبيض تمامًا ، رفعته أيضًا بجديلةٍ مشدودةٍ كي تتناغم مع صديقتها المفضلة . وقفت الآن

تتفحَّص أظافرها وهي ترمقني بنظراتٍ جانبيَّةٍ .

لا بدَّ لأسوأ يومٍ في العالم من أن يستمرَّ بأسوأ طريقةٍ ممكنةٍ ، بالمزيد من المراقبة والتعليقات اللئيمة . أحاول أن أنفضَ الكلام عنِّي كالغبار ، كأنَّني لا أكترث على الإطلاق لما تقوله كلّ من أنَّا وكرستينا ، لكنِّي أكترث طبعًا . وأتألَّم ، خاصَّةً وأنَّ الكلام يأتي من أنَّا وكرستينا بالذات . لا تكفي الكلمات لوصف الخزي الذي شعرت به حين عدت إلى الصفِّ مبللةً بالماء والإهانة . آخر ما أحتاجه الآن هو التعرُّض إلى المضايقة من أكثر بنات الصفِّ شعبيَّةً .

سحبتني ساري باتجاه أماكننا في الزاوية بعيدًا عن أنَّا وكرستينا . وفي الطريق إلى هناك رأيتُ آدم يجلس منكمشًا على نفسه في مقعده ، وقد أحاط به عدد من أصدقائه لكنَّ نظرته كانت شاردةً في الهواء . نظرتُ إليه طويلًا . رفع رأسه وقابل نظرتي ، لكن سرعان ما خفض رأسه ثانيةً ، وحدَّق في الطاولة أمامه . لا يهمُّ . لم يعد يثير اهتمامي .

جلست وساري في مقعدينا وأصدر ثوبي صوت بقبقة القماش المبلَّل بالماء .

لحسن الحظِّ ، دخلتِ المعلِّمة يانِّه الصفَّ ، واستحوذتْ على اهتمام الجميع بدلًا منِّي . دارتْ على نفسها حول مكتبها قبل أن تستدير نحو الصفِّ :

«والآن! اجلسوا واصمتوا قليلًا!»

أطاع غالبيَّة التلاميذ أوامرها لكن أنَّا وكرستينا وقفتا تتبادلان

الحديث عند النافذة كأنَّ شيئًا لم يحدث وكأنَّ أحدًا لم يقاطعهما . كانت كلٌّ منهما تمسك بهاتفها الجوَّال وتضحك بصوتٍ عالٍ . ما يصعب تصديقه هو أنَّ كلَّ واحدةٍ مشغولةٌ بنفسها إلى درجةٍ جعلَتهما عاجزتَين عن ملاحظة أنَّ الجميع قد جلسوا في أماكنهم وينتظرون منهما أن تفعلا ذلك أيضًا .

بدت يانِّه مُسْتسلمةً بعض الشيء ، لكنَّها معتادةٌ على هذا النوع من التصرُّفات . لم توبِّخْهُما بل طلبت منهما الجلوس وحسب ، وعندها لم تستطيعا تجاهلها لفترة أطول .

«سوف نتحدَّث عن تبنِّينا للتلاميذ الجدد» ، تابعت يانِّه .

انتشرت همهمةٌ ضعيفةٌ في أرجاء غرفة الصفِّ . مجرَّد التفكير بتبنِّي التلاميذ الصغار يشعرني بالفرح ، لكنِّي للأسف عاجزةٌ عن تجاهل الضيق الذي تسبِّبه لي ثيابي المبللة . أشعر وكأنَّ الجزء الخلفي من فخذي ملتصقٌ تمامًا بالكرسي ، ما يضطرني إلى رفع مؤخرتي عن الكرسي قليلًا بين الفينة والأخرى حتى لا يلتحم جلدي كليًا بها .

«غدًا سوف تعرفون من هم التلاميذ الذين ستتبنَّونهم» ، أخبرتنا يانِّه .

تنهَّد التلاميذ لأنَّهم يريدون معرفة ذلك في الحال .

«بلى ، تستطيعون الانتظار» ، تقول يانِّه مواسيةً ، «وأريد أن تستغلُّوا بقيَّة اليوم كي تتفقوا في ما بينكم على الطريقة التي تريدون استقبالَ التلاميذ الجدد بها ، أيُّ نهجٍ ستتبعون في التعامل معهم ، وما هي

الأنشطة المشتركة التي تقترحون القيام بها بصحبتهم . أريد من كلِّ واحدةٍ من المجموعات في هذا الصفِّ أن تقدِّم لي خطَّةً مدوَّنةً عند انتهاء هذا اليوم .»

إنَّها مهمَّةٌ سهلةٌ ، بل سهلةٌ للغاية ، مقارنةً بما أقاسيه الآن . انضمَّ كاي إلينا وهكذا ألَّفنا مجموعة . بدأنا نناقش الأمر وتحدَّثنا فعلًا عن تبني التلاميذ الجدد ، بدلًا من المواضيع الأخرى التي نتحدَّث عنها عادةً . وجدتُ راحةً في الحديث عن أمرٍ يشغلني عن التفكير بآدم وملابسي المبلَّلة .

كاي متحمسٌ ، ويقرأ بصوتٍ عالٍ رؤوس الأقلام التي تدوِّنها ساري .

«عادلٌ!»

«محبٌّ!»

«لطيفٌ» ، أضفتُ من دون حماسة .

تابعنا الحديث لدقائقَ معدودة قبل أن تقاطعنا يانِّه فجأةً ، وتطرق بأصابعها على كتفي بحذرٍ .

«هل تريدين مرافقتي إلى الممرِّ خارج الصفِّ؟ أريد أن أتحدث إليك بخصوص أمرٍ مهمٍّ .»

توقَّف كلٌّ من كاي وساري عن الكلام وراحا ينظران إلى يانِّه وإليَّ .

نظرت يانِّه إليَّ نظرةً مفعمةً بالأمل قبل أن تقاطع نفسها بعبارة :

«لكن ما الذي حدث لك؟»

«لقد تعرَّضت أماندا إلى حادثٍ صغيرٍ» ، أوضحتْ ساري .

«فعلًا؟ ولم يكن لديكِ متسعٌ من الوقت . . .؟» تركت يانِّه كلماتها الأخيرة معلقةً في الهواء .

«الماء!» حاولت إنقاذَ نفسي . «الحادث يتعلق بالماء .»

«حسنًا! لكن ربَّما علينا العثور على ملابس جافةٍ لك . أستطيع أن أحضر شيئًا من سلَّة الملابس المنسيَّة . . .»

«لا!» قلتُ بصوتٍ عالٍ . آخر ما أريده في تلك اللحظة هو ارتداء سروال قراصنةٍ متَّسخٍ نسَيتْهُ واحدة من تلاميذ الصفِّ الثالث . «ستجفُّ ملابسي بسرعةٍ .»

«حسنًا . . .» أجابت يانِّه ونظرت إلَيَّ ثانية قبل أن تتابع حديثها حيث توقَّفت .

«أجل ، هل تأتين معي خارج الصف ، كي نتحدَّثَ هناك؟»

رأيتُ كاي عابسًا ، ولاحظت أنَّني أشاركه شكوكه .

تصرَّفُ يانِّه هذا ليس طبيعيًا ، لأنَّها صريحةٌ وتقول ما لديها بلا لفٍّ أو دوران . يانِّه تقول عادة ما لديها من دون تردُّدٍ . أن تطرق كتفي بأصابعها بحذرٍ ، وأن تطلب الحديث معي بعيدًا عن الأنظار ، هو أمرٌ أستطيع على الأقل أن أصفه بالغريب .

تبعتُها إلى الخارج . كأنَّ كلَّ شيء طبيعيٌّ وعاديٌّ جدًا . لكنَّ الأمر سبَّب لي بعض الضيق ؛ فأنا لست بحاجةٍ إلى مزيدٍ من فضول

الآخرين في هذا اليوم ، أو باقي أيام السنة . آخر ما أريده الآن أن يظنَّ الآخرون في الصف أنَّني أشتكي آدم ، أو أحتاج إلى مواساة يانِّه .

وفي طريقي خلف يانِّه عبر غرفة الصفِّ ، التفتُّ لأرى إن كان هناك من ينظر إليَّ أو يتهامس ويتبادل النظرات مع الآخرين . لكن بدا لي أنْ لا أحد لاحظ مرافقتي ليانِّه إلى الممرِّ . ربَّما لأنَّ خيالهم جميعًا مشغولٌ بالتلاميذ الجدد الذين سنتبنَّاهم قريبًا ، أطفالٌ غايةٌ في الرقة والجمال .

أخذتني يانِّه جانبًا واضعةً يدها على كتفي الأيسر ، ثمَّ قادتني إلى زاويةٍ آمنةٍ تحدِّثني فيها عمَّا تريد من دون إزعاجٍ من أحد .

«أماندا» ، بدأت حديثها بشكلٍ رسميٍّ .

تنحنحَتْ كي يصبحَ صوتُها أكثر وضوحًا قبل أن تتابع حديثها .

«أريد قبل كلِّ شيءٍ أن أخبرك بأنَّك شجاعةٌ جدًّا في نظري . أنت ناضجةٌ بطريقةٍ غير عاديَّةٍ بالنظر إلى سنك .»

ثمَّ توقَّفت عن الحديث ثانيةً ، كأنَّ الكلمات التي تمرَّنت على قولها ترفض الخروج من فمها بالطريقة التي أرادت . رحتُ أفكِّر بنسبة الحقيقة فيما قالته من كلام ، في تلك اللحظة ، حيث وقفت هناك مبلَّلةً ومتوترةً . شعرت أنِّي النقيض التام لتعبيرَيْ : «شجاعةً» و«ناضجةً» . ما شعرت به هو أنَّني صغيرةٌ وغبيَّةٌ .

تنحنحت يانِّه ثانيةً بعنايةٍ فائقةٍ ثمَّ تابعت :

«السبب الذي يجعلني أقول مقالتي هذه هو أن تفهمي أنَّ اختيارك

للقيام بهذه المهمَّة المميَّزة لم يكن صدفةً . تتطلَّب هذه المهمَّة شخصًا كبيرًا على الرغم من صغر سنه ، شخصًا قادرًا على القيام بالكثير من أجل مساعدة الآخرين وتحسين أحوالهم .»

أربكني كلامها لكنِّي لم أفصح عن ذلك . أتساءل إن كانت يانِّه تتحدث عن مسألةٍ بسيطةٍ مثل أن يصبح المرء عرَّابًا لطفلٍ جديدٍ سيبدأ في المدرسة . فعلُ الكثير من أجل مساعدة الآخرين وتحسين أحوالهم ، وصفٌ ينطبق بطرقٍ عدَّةٍ على مهمَّةِ العرّاب . لكن لماذا أخرجتني من الصفِّ لتخبرني بشيءٍ سبق وأخبرت به تلاميذ الصفِّ جميعًا؟ أم أنَّ يانِّه تفكِّر بمهمَّةٍ أخرى؟ مثل إرسالي إلى إفريقية من أجل إنقاذ أطفالٍ من دور الأيتام في زيمبابوي؟

ثمَّ . . . هل أنا فعلًا ذلك الشخص الذي يعمل الكثير من أجل مساعدة الآخرين وتحسين أحوالهم؟ أنا لطيفةٌ بصفةٍ عامةٍ ولست ممن يضطهدون الآخرين . لكنِّي لست ذلك الشخص السبَّاق إلى فضِّ الشجارات أو الذي يخبر المعلِّمين إن تعرَّضَ أحدٌ ما إلى معاملةٍ سيِّئةٍ في ساحة المدرسة . إنَّني شخصٌ حياديٌّ .

هي مكانةٌ لن أحتفظ بها طويلًا للأسف ، لأنَّ ما تقوله يانِّه يقلب عالمي رأسًا على عقب . كلُّ ما حدث اليوم حتى الساعة يبدو لا شيء بالمقارنة .

«نعم ، أماندا ، المسألة تتعلق بولدٍ سيبدأ في صفِّنا خلال أيَّامٍ ، وأنت أوَّلُ من يعلم بذلك . اسمه لارش وهو بحاجةٍ إلى بعض

المساعدة كي يتأقلم مع البيئة الجديدة وروتين المدرسة .»

تحدَّثتْ يانِّه بسرعة وكان عليها أن تلتقط أنفاسها قبل أن تكمل :

«لذلك أريدك أن تكوني عرَّابةً له بدلًا من أحد تلاميذ الصفِّ الأوَّل الذين يبدؤون سنتهم الدراسيَّة مع حلول الخريف . أريد أن أعطي لارش فرصةً أن يكون مع واحدةٍ من أفضل تلاميذنا ويتعلَّم منها ، أي معك أنتِ!»

وقفتُ في مكاني بلا حراكٍ محدِّقةً في الفراغ . أسوأ ما في الأمر أنَّ يانِّه حملت الخبر إليَّ وكأنَّه هديَّةٌ مغلَّفةٌ بغلافٍ جميلٍ ، ووقفت أمامي تبتسم ابتسامتها العريضة .

تحوم الكثير من الأسئلة في رأسي ، لكنِّي أعجز عن ترتيبها بما يكفي كي أطرح أيًا منها بصوتٍ عالٍ . الأمر ميؤوس منه في كلِّ الأحوال ؛ لأنِّي عندما توصَّلت إلى السؤال الأوَّل والأهمِّ ، وجدتُ يانِّه تقاطعني وتجعل الموقف أكثر تعقيدًا :

«ثمَّ إنَّ هناك أمرًا آخر يجب أن تعرفيه ، وهو أن لارش مصابٌ بمتلازمة داون .»

حتى هذا الأمر تخبرني به ، وكأنَّها تقدِّم لي هديَّةً مغلَّفةً بغلافٍ جميلٍ ، كأمرٍ لا يسعني سوى أن أفرح به . بل إنَّ نغمة صوتها ارتفعت درجةً على السلَّم الموسيقيِّ حين نطقت بعبارة «متلازمة داون» وخُيِّل إليَّ أنَّها غنَّت الكلمات بدلًا من أن تنطق بها بطريقةٍ عاديَّةٍ . الطريقة التي قالت بها ذلك ضايقتني تقريبًا بالقدر نفسه الذي

ضايقني به ما قالته .

ثمَّ قلتُ في نهاية المطاف :

«متلازمة داون؟» وشعرت فجأةً بأنِّي غبيَّةٌ جدًا ؛ لأنِّي أعرف ما هي متلازمة داون . ثمَّ بدا لي وكأنَّ يانِّه تنتظر ردَّة فعلي ، وأجابت في الحال : «نعم ، وأهمُّ ما في الأمر أن نتذكَّرَ أنَّ لارش أكثر بكثير من التشخيص والمتلازمة . إنَّه فردٌ أيضًا ، وربَّما هو أكثر تفرُّدًا منَّا نحن الآخرين . بل هو مختلفٌ أيضًا ولأسبابٍ واضحةٍ . إنَّه مثلنا تمامًا ، مثلك ومثلي . غير أنَّه مختلفٌ بسبب متلازمة داون ، وذلك يعني أنَّه بحاجةٍ إلى المزيد من الوقت والمساعدة كي يتعلَّم المناورة في هذا العالم المليء بالفوضى . وهنا يبدأ دورك يا أماندا .»

يبدو أنَّ يانِّه راضيةً عن صياغتها لما قالت من عباراتٍ . أمَّا أنا ، فما زلتُ أقف كتجسيدٍ حيٍّ لعلامة الاستفهام ، وأحاول أن أرتب المعلومات الجديدة في ذهني .

لن أصبح إذًا عرَّابةً لطفلٍ جميلٍ سيبدأ في الصفِّ الأوَّل مثل بقيَّة زملائي في الصف ، بل سأصير عرَّابةً لتلميذٍ في سنِّي لأنَّه جديدٌ في المدرسة إضافة إلى إصابتهِ بمتلازمة داون .

لست أدري صراحةً إن كنتُ على وشك أن أنفجر من الضحك أو أن أجهش بالبكاء . أشعر أنَّ هذا أفظع ما يمكن أن يحدث لي . إنَّه أمرٌ أفظع من قصَّة الحبِّ التعيسة وإغراقي بالماء علنًا ، وألاحظُ أن الغضب يتملَّكني بسبب هذا الظُّلم كلِّه الذي أتعرَّض له .

ما سوء الحظِّ الذي يلاحقني هذا؟ لماذا لا يسير أيُّ أمرٍ كما أريد؟

تتابع يانِّه حديثها وتقول إنَّ قيامي بمهمَّةٍ كهذه شرفٌ عظيمٌ لي ، وإنَّ عليَّ أن أكون فخورةً بنفسي . لكن حين أجدُ نفسي واقفةً هنا في نهاية الممرِّ ، محشورةً في زاويةٍ من قبل هذه المعلِّمة التي تريد خيرًا ، لا أشعر بأيِّ فخرٍ على الإطلاق . بل أشعر أنَّ الأمر تحوَّل إلى عبءٍ . أشعر أنَّ أحدًا ما وضع حجرًا ضخمًا في حضني ، وأنَّ عليَّ أن أحمل ذلك الحجر وحدي في أرجاء المدرسة ، بقيَّة السنة الدراسيَّة .

وضعتْ يانِّه يديها على كتفَيّ النحيلتين . نظرت عميقًا في عينَيّ ، وحاولت أن تؤكِّد لي مرَّةً أخرى أنَّ المهمَّة التي أُلقيت على عاتقي مهمَّةٌ مميَّزةٌ وشائقةٌ ورائعةٌ ، وأنَّه ما عليّ سوى أن أشعرَ بالسرور ، والاستعداد للقيام بها . أومأت برأسي موافقةً ، في الوقت الذي كانت فيه أفكاري على بعد آلاف الأميال ؛ في أرضٍ خياليَّةٍ ، لست مبلَّلة الثياب فيها ، وقد صرت عرَّابةً لطفلٍ جميلٍ لا يعاني من أيَّة متلازمة .

أصبت بدوارٍ عندما عدتُ إلى غرفة الصفِّ بخطًى ثقيلةٍ . وكمن يسير أثناء نومه ، فتحتُ بابَ الغرفة لأجد الجوَّ نفسه من البهجة والسرور الذي كان مهيمنًا قبل عشر دقائق أيضًا ، حيث لا يعلم أحدٌ أنَّ عالمي قُلِبَ لتوِّه رأسًا على عقب .

سرتُ مباشرةً باتجاه المكان الذي جلس فيه كاي وساري ، وكأنَّ شيئًا لم يكن . أكاد لا أقوى حتى على التَّفكير بالحديث معهما عمَّا حدث منذ لحظاتٍ . لا أريد أن يشهدَا على هزيمةٍ أخرى من هزائمي .

عندما سألاني عن السبب الذي جعل يانِّه تأخذني إلى الممرِّ أجبت بكذبةٍ بيضاءَ صغيرةٍ مفادها التحضير لاحتفالات عيد الميلاد ونهاية الفصل الدراسيِّ . كانت علامات الكذب واضحةً على محياي إلى درجةٍ جعلتني أرى ردَّة فعل كاي وساري بكلِّ وضوحٍ . حدَّق كلٌّ منهما بي لكنَّهما لم يصرّا على معرفة الحقيقة لأنَّهما يعلمان كم كان يومي فظيعًا حتى اللحظة . ما لا يعلمانه ، أنَّ فظاعة ذلك اليوم تضاعفت لتوِّها ألف مرَّةٍ .

3

أريد فقط ألَّا يتعلَّق الأمر بي

جلست في صباح اليوم التالي إلى مائدة الفطور أحدِّق في الفراغ ، من دون أن ألمس الخبز المحمَّص أو الشاي الذي حضَّرتْه لي والدتي . كانت تدور في أرجاء المطبخ بفرحٍ ، وتجفِّفُ الأطباق التي غسلتها . رقصتْ أمِّي كثيرًا في شبابها ، ولهذا تعجز دائمًا عن الوقوف في مكانٍ ما بل تتحرك دائمًا في دوائر وتدور على قدمٍ واحدةٍ . لها شعرٌ مثل شعري ، شعرٌ بنيُّ اللون وجامحٌ في كلِّ الاتِّجاهات ، لذلك لا جدوى من تمشيطه . لكن لون عينيها أخضر فاتح ، وليس أزرقَ مائلًا إلى الرماديِّ مثل عينَيّ وعينَي والدي .

تستدير بأناقةٍ من حوض الأطباق باتجاه الخزانة لتضع فيها فنجانًا انتهت لتوِّها من تجفيفه . ثمَّ تلتقط فنجانًا آخر دون أن تحدث صوتًا ، وتتابع دندنتها فيما تستمرُّ بتجفيف الفناجين . يستغرق الأمر وقتًا قبل

أن تدرك أنَّني لست كعادتي اليوم .

«هل أنتِ مستاءةٌ من شيءٍ ما؟» سألتني وقد مالت برأسها قليلًا . لقد توقَّفت حركتها ، وبين يديها وعاء زجاجيٌّ ضخمٌ جفَّفت نصفه . وضعتِ الوعاء على الحوض ، وجلستْ بجانبي عند طاولة المطبخ .

تنهَّدتُ بعمقٍ . لا أستطيعُ أن أصارحَ أمِّي في الحال . أريد حقًّا أن أخبرها بكلِّ شيء ، لكنِّي أدرك أنَّها تستطيع أن تساعدني في أمرٍ واحدٍ من الأمور التي تشغلني . فما الذي تعرفه أمِّي عن الغرام؟ أشكُّ بأنَّها أحسَّت مرَّةً بهذا الحبِّ الذي أشعر به تُجاه آدم ، لكن ربَّما تعرف شيئًا عن متلازمة داون .

«ما هي متلازمة داون في الحقيقة؟» بدأتُ حديثي . بدا تقريبًا وكأنَّها تنفَّست الصعداء حين أدركتْ أنَّ الأمر الذي يسبب لي الضيق ليس على درجةٍ أكبر من التعقيد . استراحتْ ومالت بظهرها إلى الخلف فوق الكرسيِّ .

«ما هي متلازمة داون؟» كرَّرتُ . شعرتُ أنَّني غبيَّةٌ بعض الشيء ، تمامًا كما حدث لي مع يانِّه يوم أمس ، لأنَّني أعرف ما هي متلازمة داون . أو لنقلْ إنَّني أعرف شكلها على الأقل . لقد سبق وشاهدت أشخاصًا مصابين بها ، في الترام وفي الحديقة العامة وعلى الشاطئ خلال فصل الصيف . أشخاصٌ يبدون بطرقٍ عديدة كأناس عاديين وفي الوقت نفسه يبدون غير عاديين . بل يبدون مختلفين بعض الشيء . تمامًا كما يشبه نمرُ الثلوج النمرَ العاديَّ ، ويختلف عنه بعض

الشيء ، لأنَّ فروه أبيض اللون ، ولأنَّه نادر .

جلستْ أمِّي على الكرسيِّ أمامي ، وحدَّقتْ بي .

«متلازمةُ داون نوع من أنواع الإعاقة» ، أجابتْ . «لماذا تسألين عنها يا أماندا؟»

«كنت أتساءل فقط» ، كذبتُ .

«حسنًا» ، أجابت أمِّي قبل أن تتابع :

«متلازمة داون سببها تغير في الكروموسومات . الكروموسومات عبارةٌ عن حجارة بناءٍ صغيرةٍ موجودةٍ في خلايانا جميعًا وهي المادة التي بُنينا منها ، والتي تُقرِّرُ كلَّ خصائصنا ، بدءًا من لون العينين إلى شكل أظفار قدمينا . تسمَّى «خللٌ في الكروموسومات» ، لكن في الواقع ، لدى المصابين بمتلازمة داون كروموسوم إضافيٌّ ، لذلك نستطيع أن نقول إنَّها خاصيَّةٌ إيجابيَّةٌ» .

أومأتُ برأسي . فكَّرتُ بأمر الكروموسوم الإضافيِّ ، وحاولتُ أن أتصوَّر شكل بنيتنا من داخل الجسم وخلايانا جميعًا حين يكون لدينا حجرُ بناءٍ إضافيٌّ . ثمَّ خطر لي أنِّي في الحقيقة لا أعرف شيئًا عن بنية جسمي من الداخل ، لذلك أجد صعوبةً في فهم الأمر .

أخذتْ والدتي استراحةً من عمليَّة الشرح وراحتْ تنظر إليَّ . حاولَتْ أن تقرأ أفكاري ، وعندما عجزتْ عن ذلك تابعتْ :

«لكن قطعة البناء الإضافيَّة تلك هي أيضًا ما يمنع أصحابها من تعلُّم الأشياء بالسرعة التي يتعلَّم بها الآخرون ، أو تجعلهم بحاجة إلى

بعض المساعدة الإضافيَّة كي يتعلَّموا ، حتى فيما يتعلق بالتفاعل الاجتماعيِّ . فعلى الرغم من أنَّ غالبيَّة المصابين بمتلازمة داون يتمتَّعون بمزاجٍ طيِّبٍ ، فقد يحتاجون إلى مساعدةٍ إضافيَّةٍ وإلى مزيدٍ من الوقت لفهم قواعد اللعبة الاجتماعيَّة .»

أومأتُ برأسي كي أثبتَ لها أنَّني فهمتُ ما قالت . لا أستغربُ قدرة أمِّي على توضيح متلازمة داون بهذه البساطة والبراعة . فأمِّي تعمل محرِّرةً سياسيَّةً في صحيفةٍ كبيرةٍ ، وعليها أن تشرح الأوضاع السياسيَّة في العالم بأسره لأناسٍ لا يكترثون في الواقع .

«لكن لماذا تسألين عن هذا يا أماندا؟»

إنِّي مدينةٌ لأمِّي بتوضيح . ثمَّ إنِّي أشعر بحاجة إلى الحديث عن الأمر مع أحدٍ ما ، لذلك قلت :

«لأنِّي سأصير عرَّابةً لتلميذٍ مصابٍ بها .»

«مصابٌ بها؟ بمتلازمة داون؟» سألتْ والدتي مندهشةً .

أومأتُ برأسي إيجابًا .

«حقًا؟ أوه! إنَّه أمرٌ مشوِّقٌ!»

أمِّي منبهرة تمامًا ويبدو ذلك عليها بوضوح .الأمر مشوِّقٌ فعلًا ، فكَّرتُ ، لكن ليس بتلك الطريقة . ليس مشوِّقًا مثل ركوب زلَّاجة الثلوج أو زيارة بيت الأشباح في الملاهي . ما أفكِّر به هو المتاعب التي يعنيها ذلك ، الضغوطات ولفت الأنظار .

«أشعر فقط أنَّ فكرة كوني عرَّابةً لطفلٍ مختلفٍ كليًا عن أطفال

الآخرين جميعًا ، فكرةً سيِّئةً» ، اعترفتُ .

رأيت أنَّني تسببتُ لأمِّي بخيبة أملٍ ، لكن هذا آخر همِّي الآن . هي لا تعلم أنَّ مشكلة لارش هي مشكلةٌ واحدةٌ فقط من مشاكلي الكثيرة .

«أفهم ذلك يا أماندا . أفهم أنَّ الأمر صعبٌ . الكثير من الآباء والأمهات الذين يدركون أنَّ طفلهم مصابٌ بإعاقةٍ ما ، يستسلمون للحزن . إنَّها مشاعرُ طبيعيَّةٌ . لكنِّي أظنُّ أنَّ عليك أن تنظري إلى الأمر من زاويةٍ إيجابيَّةٍ .»

تأمَّلتُها بعينين فارغتين من المشاعر . وتأمَّلتني بعينين مفعمتين بالاستسلام .

«غالبًا ما يصبح هؤلاء الآباء والأمهات أفرادًا أكثر قوَّةً وحكمةً ، في نهاية المطاف . وهذا ما أظنُّ أنَّك ستصبحين يا أماندا» ، تؤكِّدُ أمِّي متفائلةً .

«لستُ متأكدةً من ذلك» ، تذمَّرتُ .

«بلى!» تابعتْ أمِّي . «أكاد أكون متأكِّدةً من ذلك مئةً بالمئة . سوف تتعلَّمين الكثير عن الاحتواء وتساوي قيمة البشر وأخيرًا وليس آخرًا ، عن حبِّ الإنسان لإنسانٍ آخر! سوف تتسع آفاقك كثيرًا يا أماندا! فكِّري بذلك!»

أرى أنَّ أمِّي سعيدةٌ ومتشوِّقةٌ عنِّي ، غير أنِّي عاجزةٌ عن اللحاق بركب حماستها وفرحها .

«هناك أمرٌ واحدٌ أكيدٌ» ، تُنهي خطابها . «سوف تنضجين كثيرًا جدًا بفضل هذه الخبرة ، شِئْتِ أم أبيت .»

«لا» ، قلتُ رافضةً ، وقمتُ لآخذ حقيبة ظهري وأغادر .

لا بدَّ من أنَّ ساري تقف عند زاوية الشارع في انتظاري . أسرعتُ وقبَّلتُ خدَّ أمِّي قبل أن أخرجَ من الباب مطأطئةً رأسي استعدادًا لمواجهة حياتي المأساوية .

توصَّلتُ إلى قرارٍ خلال الليل والصباح أنَّ علَيَّ أن أخبر ساري بالأمر ، لأنِّي كالعادة بحاجةٍ إلى نصائحها ورعايتها . يعتريني القلق بسبب ذلك لأنِّي أعلم أنَّ ساري أيضًا ستصاب بالخيبة بسبب سخافتي . لو أنَّ ساري هي التي ستوكل لها مهمَّةُ عرَّابةٍ لولدٍ مصابٍ بمتلازمة داون لاعتبرتِ الأمر مشوِّقًا ، ورأتْه على أنَّه تحدٍ صعبٌ . لماذا لا يعطون هذا الولد لساري؟ بحقِّ السماء ، كيف فكَّرت يانِّه حين اختارتني أنا للقيام بهذه المهمَّة؟

أسير الخطوات الأخيرة مطأطئةً رأسي باتجاه ساري التي تنتظرني بصبرٍ في المكان الذي نلتقي فيه دائمًا .

«هل حدث شيءٌ ما؟» سألتني حين وصلتُ إليها ، مع أنَّ الأمر كان واضحًا تمامًا للعيان .

«أعني هل حدث شيءٌ آخر؟ علاوة على ما بدر من آدم؟» حاولت أن تحدِّد بدقَّةٍ أكثر لاحقًا .

تركتُها تنتظر ثوانٍ عدَّة قبل أن أبوح محبطة :

«الابن الذي أنتظره مصابٌ بمتلازمة داون .»

صمتتْ ساري لبرهة قبل أن تسألني مرتابةً :

«تنتظرين ابنًا مصابًا بمتلازمة داون؟ أفهميني عن ماذا تتحدثين!»

عندها فقط أدركت معنى ما قلت ، وكم بدا ذلك مضحكًا ، ثمَّ انفجرنا بنوبةٍ من الضحك الهستيري . وبالسرعة المفاجئة نفسها عدنا إلى الحديث الجادِّ ، وسألتني ساري :

«ما الذي تعنينه حقًّا؟»

فكان علَيَّ أن أشرح لها الأمر برمَّته ، بما في ذلك موضوع الكروموسوم الإضافيِّ . عندما انتهيتُ من الشرح قلتُ إنَّني قلقةٌ جدًّا وأرى أنَّ لدي ما يكفي من المتاعب .

أصغتْ ساري بصبرٍ لما قلتُ من دون أن تقاطعني ولو لمرَّةٍ ، حين عبَّرتُ عن الكثير من الأفكار المفعمة بالأحكام المسبقة والآراء .

«تدركين الآن أنَّ حياتي عبارةٌ عن خرابةٍ . حكاية آدم أوَّلًا ثمَّ هذه القصَّة» ، أنهيتُ حديثي . «إنَّها أزمةٌ مزدوجةٌ .»

ضحكتْ ساري قليلًا ، منِّي ومن وضعي البائس ، لكنِّي فكَّرتُ إن كنت أعرفها جيِّدًا ، فسوف تخبرني أنَّ الأمر في الحقيقة ليس على تلك الدرجة من البؤس .

«الأمر ليس على تلك الدرجة من البؤس» ، بدأت حديثها . «حين كنت في الروضة كانت لي زميلةٌ مصابةٌ بمتلازمة داون ، ولم يكن في الأمر مشكلةٌ ؛ لأنَّها كانت تشاركنا اللعب وكلَّ شيءٍ .»

«حسنًا» ، أجبتُها مرتابةً . «لكن هل كانت طبيعيةً تمامًا؟»

«طبيعيةً؟» أجابت ساري . «لا! لم تكن طبيعيةً . لكن أخبريني ، من يريد أن يكون طبيعيًا حقًا؟! هاها! لا ، لكن لعابها لم يَسِلْ ، ولم يحدث شيءٌ من هذا القبيل ، إن كان هذا ما تخشينه .»

«لا!» أجبتُ بسرعةٍ ، حتى وإن كان ذلك بالضبط ما خطر لي .ماذا لو كان لارش شخصًا يسيل لعابه دائمًا؟ هل علَيّ أن أمسح اللعاب عن فمه؟

«حتى لو سال لعابه فتلك ليست مشكلةً حقًا» ، تابعت ساري ، «طالما أنّه شخص لا يضرب أو يعضُّ ، ولا أظنُّ أنّه كذلك . زميلتي في الروضة لم تكن كذلك في كلِّ الأحوال .»

عظيمٌ . لا داعي للقلق إذًا . طالما امتنع المصاب بمتلازمة داون عن الضرب والعضِّ ، فليس هناك مشكلةٌ إذن (حسب ما تقوله ساري) .

«في كلِّ الأحوال» ، تابعتُ في محاولةٍ يائسةٍ منّي لجعلِ ساري تدرك خطورة الموقف . «هل تفهمين شعوري حين أقول إنَّ الأمر يُخيفني؟»

«كفِّي عن القلق» ، بدأت ساري حديثها . «إنّه القدر ، أليسَ كذلك؟ عليك أن تتقبّلي الأمر وحسب . لكن إن كان في ذلك مواساةً ، نستطيع أن نتقاسم ابنينا بالتبنِّي ، فيصير لك حصَّةٌ في التلميذ الذي أتبناه ، ويصير لي حصةٌ في لارش أيضًا . نستطيع بذلك أن نصبح عائلةً كبيرةً سعيدةً!»

تبدو ساري وكأنّها تُمازحني حين تقول ذلك ، لكنّي أعلم أنّها تعني ما تقول ، وأشعر بامتنانٍ عظيم لها . أستطيع تخطّي الكثير طالما كانت ساري إلى جانبي ، ذلك عزاءٌ ضئيلٌ في خضمِّ ما يحدث .

«سيكون لارش تلميذًا في صفنا . هل تدركين معنى ذلك؟ سيكون معنا طيلة الوقت . هل أكون معه حينها؟ بدلًا من أن أكون برفقتك أنتِ وكاي؟»

حاولتُ أن أجعل المشكلة تبدو كبيرةً وواضحةً ، لتفهمَ ساري حجم همومي وتشفقَ علَيّ حقًا ولو قليلًا ، لكن ساري حافظت على برودة أعصابها :

«يستطيع لارش أن يكون معنا حينها ، أليس كذلك؟» أجابت وكأنَّ ذلك أكثر أمور العالم بديهيَّةً .

«حسنًا . لكن هل سيكون معنا دائمًا؟»

«آه ، لا . لا بدَّ من أنَّ له أصدقاءً هو الآخر . هل فكَّرت في ذلك أيتها الغبيَّةُ المحدودة الأفق؟»

لا ، لم أفكر بذلك طبعًا ، لأنَّ تفكيري مفعمٌ بالأحكام المسبقة . لم أتخيَّل لارش مع أصدقاء آخرين ، ولكن حين قالت ساري ذلك أدركت أنَّ هناك احتمالًا كبيرًا أن يكون لديه صديقٌ ما .

«حسنًا» ، قلت بينما تابعنا السير في الطريق إلى المدرسة . عند التقاطع التالي نلتقي بكاي عادةً .

يمنحني هدوء ساري غير المعقول بعض الثقة بالنفس ، وقليلًا من

الأمل بأنَّ الأمور قد تسير على ما يرام إلى حدٍّ ما . وفي الوقت نفسه لا يمنحني شيئًا ؛ لأنِّي أشعر أيضًا أنَّ الأمور ربَّما قد تسير على نحوٍ سيِّئٍ جدًا .

هذا لا يعني أنَّني ضدُّ من يعانون من إعاقةٍ ما ، أو ضدُّ من يختلفون عن الآخرين ، أو من يَظهرون بمظهرٍ مختلفٍ . أريد فقط ألَّا يكون لي دخلٌ بالأمر . أستمتع كثيرًا بمراقبة كلِّ أنواع غرائب الحياة من وراء الخطِّ الجانبيِّ ، وليس لي أيَّةُ حاجة على الإطلاق إلى الانخراط فيها ، ولا في جعلها جزءًا من حياتي .

إنَّني إنسانةٌ حياديَّةٌ . إنَّني واحدةٌ من لاعبي الفريق ، ولاعبٌ مهمٌّ ، لكنِّي لاعبٌ وظيفته الأهمُّ هي رمي الكرة للآخرين بأسرع وقتٍ ممكنٍ ، كي يسجِّل لاعبٌ آخر الهدف . لست ذلك اللاعب الذي يسجِّل الأهداف ، وهذا الدور بالضبط هو الذي يشعرني أنَّ أحدًا ما يحاول إجباري على القيام به .

يكاد كاي يقفز في مكانه لنفاد صبره حين وصلنا إليه .

«ما الذي يحدث؟ لماذا تأخرتما؟»

«آسفة» ، قلت .

«السبب هو أنَّ أماندا ستكون عرَّابةً لتلميذٍ مصابٍ بمتلازمة داون» ، صرَّحت الصادقة دائمًا وأبدًا ساري .

«ماذا؟» أجاب كاي تحت وقع المفاجأة . «ماذا تعنين؟»

وهكذا اضطررنا إلى شرح الأمر لكاي أيضًا .

«لذلك سنكون ، أو سأكون أنا ، مع المدعوِّ لارش طيلة الوقت لأحميه من أن يقع من الأرجوحة أو يصاب بكرة قدم في رأسه وما شابه» ، أنهيتُ خطابي المحبط .

«ألا ترين أنَّك سلبيَّةٌ أكثر من اللازم الآن؟» اعترض كاي . «ألا يكفي أن تدليه على الطريق إلى الحمَّام؟ هاها!»

يرى كاي نفسه على أنَّه شخصٌ خفيف الظلِّ ، لكنِّي آمل أن يكون على حقٍّ ، وألَّا أرغم على أكثر من أن أدلَّ لارش على الطريق إلى الحمَّام . أضحك كلام كاي ساري أيضًا لكن سرعان ما عادت إلى الحديث الجديِّ :

«أهمُّ ما في الأمر هو أن نعمل على ألَّا يضطهد أحدٌ لارش .»

«أجل» ، أجبتها . «بالطبع» .

أومأ كاي برأسه موافقًا أيضًا .

لا أريد طبعًا أن يصبح لارش ضحيَّةً لاضطهاد الآخرين ، لكنِّي أكثر ما أخشاه أن أصير أنا ضحيَّةَ ذلك .

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

4

لارش!

قليلٌ من التدافع والوكز من ساحة المدرسة عبر الممرِّ إلى أن نصل إلى غرفة الصفِّ ، وها نحن نجتمع أخيرًا . الجميع هنا ما عدا واحدٍ . الجميع ما عدا لارش .

تعمُّ الجلبة المكان لأنَّ يانِّه لم تأت بعد . أخذ بعضهم أوراقًا قديمةً من سلَّة المهملات ، حوَّلوها إلى كراتٍ وراحوا يتضاربون بها وهذا حوَّل غرفة الصفِّ إلى ساحة "حربٍ بكرات الثلج" . جلستُ وساري في مكانَيْنا المعتادَين ؛ في الزاوية في آخر الغرفة عندما حطَّت كرة ثلجٍ ورقيَّةٍ على الطاولة أمامي . حشرتُ يداي بين فخذَيَّ حتى لا ترتجفا بعنفٍ ، وكان على ساري أن تعيد كرة الثلج إلى من رماها بكميَّةٍ محدودةٍ من الحماسة .

"دعكِ من القلق" ، قالت ساري عندما لاحظتْ درجة اضطرابي .

سمعتُ بالكاد ما قالته . جلستُ بلا حراكٍ على الكرسيِّ والأفكار تعصفُ برأسي . دوارٌ من الصور لشابٍّ ينادي ويصرخ ، يسيل لعابه وينظر إليَّ بعينين مصابتَين بالحول ، ويشدُّني من سترتي أو من شعري . ماذا لو عجز عن فهم ما أقول حين أتحدَّث إليه؟ ماذا لو كان عاجزًا عن تناول طعامه من دون أن يلطِّخ ثيابه وثياب كلِّ من حوله بالطعام؟ أشعر أنَّ أفظع الحوادث على الإطلاق قد تقع في اللحظة التي يدخل فيها لارش بكامل فخامته من الباب ، متعثِّرًا ، واللعاب يسيل من فمه ، راكضًا نحوي ، أنا ، عرَّابته .

أشعرُ أنَّ رأسي على وشك الانفجار تحت وقْع هذا الكمِّ من الأفكار الأشبه بالكابوس ، حول لارش . لكن بين تلك الأفكار تختبئ أيضًا صورة آدم التي ما زالتْ تتسبب بتسارع دقات قلبي حين ينثني بمرح ، ليتفادى كرات الورق التي يرميه بها الآخرون ، أو يرميها بدوره ضاحكًا بصوتٍ عالٍ .

«سيسير كلُّ شيءٍ على ما يرام» ، تؤكِّدُ ساري لي ، لكنِّي أهزُّ رأسي اعتراضًا ، ولأبيِّن لها أنَّني لا أصدِّق ما تقول . مع كلِّ ثانيةٍ تمرُّ ، يزداد اضطرابي . لست متأكِّدةً من أنَّني سأعرفُ وجهي الشاحبَ شحوب الأموات ، لو كان معي مرآة أراه فيها .

دخلتْ يانِّه غرفة الصف وبين ذراعيها رزمةً كبيرةً من الأوراق وضعتها على طاولتها . رفعت يدَيها أمامها مشيرةً بطريقتها على رغبتها في أن يعمَّ الصمت والهدوء . استغرق الأمر دقائق معدودة ، قبل أن

يسري مفعول إشارتها ، وأخيرًا ، جلس الجميع في أماكنهم .

نظرت يانِّه إلينا نظرةً فيها خليطٌ من القلق والجدِّ .

«حسنًا ، لقد آن الأوان لتسجيل الحاضرين ، وتوزيع الأطفال الجدد على عرَّابيهم!»

عمَّ الهمسُ أرجاءَ غرفة الصفِّ ، وتركتْ يانِّه مجالًا لتزايد التوتُّر قبل أن تتابع حديثها :

«لكن قبل ذلك ، هناك أمرٌ معيَّنٌ ، أو بالأحرى شخصٌ معيَّنٌ ، أريد أن أخبركم عنه .»

هنا ركَّز الجميع على ما قالت ، بمن فيهم أنا ، على الرغم من أنِّي أعلم تمامًا ما سيحدث بعد ذلك . أمسكتُ بيد ساري وضغطتُ عليها بعنفٍ . تأوَّهتْ من الألم لكنَّها لم تُمنعني عمَّا فعلت . سوف يحدث ذلك الآن ، فكَّرتُ بيني وبين نفسي .

«يسرُّني أن أخبركم» ، تابعت يانِّه ، «أنَّ ولدًا جديدًا سيبدأ في صفِّنا .»

تقطَّعَ الصمت تحت وقع صيحات التعبير عن المفاجأة . تبادل بعض التلاميذ نظراتٍ متوتِّرةً وهمس آخرون .

«نعم» ، أكَّدتْ يانِّه . «لقد حصل هذا بسرعة إلى حدٍّ ما . هذا ما يحدث عندما ينتقل الناس من منازلهم أو حين يقرِّرون فجأةً الالتحاق بمدرسة أخرى . لهذا لم أخبركم بالأمر سابقًا ولم أجعلكم تستعدُّون له . لكنَّني متأكِّدة من أنَّ كلَّ شيءٍ سيسير على ما يرام . أو هذا على

الأقل ما نأمل به جميعًا .»

أومأتْ يانِّه برأسها . عندها فقط لاحظتُ العرقَ الذي ظهرَ على ثيابها ، بقعتان مبلَّلتان على قماش فستانِها الأخضر عند الإبطين .

«لذلك أريد منكم الآن وبلا مقدماتٍ طويلةٍ ، أن ترحّبوا بـ . . .» ثمَّ جعلت الكلام معلَّقًا في الهواء قبل أن تنادي : «لارش!»

فتحتْ ذراعيها بحركةٍ دراميَّةٍ ، ثمَّ ظلَّت واقفةً في مكانها من دون أن يحدثَ شيئًا . حاولتْ مرَّةً أخرى ونادت ببالغ القلق :

«لاااارش!!»

حركةُ الذراعين نفسها ولم يظهر لارش .

لم يكن بقيَّة تلاميذ الصفِّ على علم بما ينتظرون ، وبدؤوا ينظرون حولهم حائرين . لماذا تقف يانِّه هناك وتنادي «لارش»؟

لكن يانِّه لم تستسلم :

«ما هذا . . . لارش؟» قالت قلقةً ونظرت نحو الباب . أعادتْ ذراعيها فهبطتَا على جانبيها ثانيةً . ظهرتْ طيَّةٌ من القلق في وجهها بين الحاجبين بلونهما النحاسيِّ الأحمر ، ثمَّ نظرت نحو تلاميذ الصفِّ كأنَّ لدى أحدنا جوابًا عن سؤالها .

«لحظةٌ واحدةٌ» ، قالت وسارت باتجاه الباب .

ولكن عندما كانت على بعد مترٍ منه ، فُتح الباب بقوَّة . فاجأ ذلك يانِّه فتأوَّهتْ قليلًا . ضحك بعض التلاميذ ثمَّ صمتوا حين رأوا الشخصَين اللذين دخلا من الباب . شخصان على عجلةٍ من أمرهما ،

يتصببان عرقًا ويلهثان .

«آسفٌ على التأخير!» يقول أحدهما . إنّه رجلٌ بالغٌ يرتدي بذلة رماديّة اللون ويحمل بيده حقيبةً .

وقف إلى جانب شابٍّ في سنِّنا ، ولهث على أهبة الاستعداد لقول المزيد لكن يائِّه كانت أسرع وصاحت ، بصوت أعلى من ذي قبل :

«لارش!!»

ثمَّ فتحتْ ذراعيها ثانيةً ما جعل بقع العرق تحت إبطيها تحدِّق بنا كأنَّها عينا فيلٍ بلَّلتهما الدموع . استدارت نحو الصفِّ ، وهذا جعل الشخصين اللذين لم يصعب علينا اكتشاف أنَّ أحدهما هو المدعوُّ لارش ، يكادان يختفيان خلف يديها الممتلئتين .

«هذا هو لارش!»

بدت يائِّه وكأنَّها مصابةً بشيءٍ من الهلع . كان وجهها يشعُّ بابتسامةٍ وفي عينيها بريقٌ ، كأنَّها تدمع بين حركات رموشها السريعة المتتالية . تصرُّفاتها جعلتنا نحدِّق بها بدلًا من أن ننظر إلى الزائرَين اللذَين حاول كلٌّ منهما الوقوف باستقامةٍ . وضع الرجل حقيبته على الأرض ، ومرَّ بيده الضخمة على شعره الرماديِّ الأشعث . مال نحو يائِّه وهمس بصوتٍ لم يكن أقلَّ علوًّا من أن يجعلنا نسمع ما قال حيث جلسنا في آخر الصفِّ :

«أعلم أنَّنا قد اتفقنا على أن نقف أنا ولارش عند الباب في الوقت المحدّد ، لكن الأمور سارت ببطء هذا الصباح . آسف على ذلك .»

احمرَّت وجنتا يانِّه ، وأومأت برأسها .

يرى تلاميذ الصفِّ جميعًا أنَّ الشابَّ الواقف أمامنا هو شابٌّ في سنِّنا ، لكن الجميع يرون أيضًا أنَّه ليس مثلنا تمامًا . إنَّه أقصر من غالبيتنا ، ووجههُ أكثر استدارةً وطفولةً . يبدو الفضول على بعض تلاميذ الصفِّ ، وتبدو الدهشة على غيرهم ، ووسط ذلك كلِّه يقف لارش ، الذي يبدو خائفًا قليلًا . بدا وكأنَّه يحاول الاختباء خلف الرجل ، الذي أظنُّ أنَّه والده .

والأمر ليس سيِّئًا إلى الحدِّ الذي ظننتُ أو فكَّرت . يبدو لارش طبيعيًا تقريبًا . ويرتدي ملابس عاديةً على الأقل : سروالًا قصيرًا من الجينز ، وقميصًا قطنيًا فاتح اللون ولا تسيل على شفتيه قطرةٌ واحدةٌ من اللعاب . ما الذي أتوقَّعه حقًا؟ قرنان حمراوان عند صدغيه ولحية تصل إلى ركبتيه؟

كتبت يانِّه اسم «لارش» على اللوح بأحرفٍ مختلفة الألوان .

ما زال لارش يقف مضطربًا خلف والده الذي بدأ يتحدث :

«مرحبًا يا جماعة .»

«مرحبًا» ، أجاب كلُّ من كان في الصفِّ بطريقةٍ آليَّةٍ .

«سعيدٌ بوجودي هنا» ، تابع الرجل . «اسمي بانت وأنا والد لارش .»

«مرحبًا يا بانت!» أجاب تلاميذ الصفِّ طواعيَّةً . «مرحبًا يا لارش!»

لم يجب لارش ، لكنَّه ابتسم .

وضع بانت يده فوق رأس لارش ، فمدَّ الآخر وجهه إلى الأمام ليرانا بشكلٍ أفضل .

يبدو أنَّ والد لارش شخصٌ لطيفٌ . أراه ينحني ويهمس لابنه بأمرٍ ما فيضحك لارش ويومئ برأسه . ثمَّ يستقيم في وقفته وينظر إلى الحضور في غرفة الصفِّ . في اللحظة التي انتهت فيها يانِّه من تزيين اسمه على اللوح بالورود ، فتح لارش فمه للمرَّة الأولى .

«اسمي لارش» ، قال بصوتٍ منخفضٍ ، لكنَّه لا يخلو من الاعتزاز بالذات .

سمعتُ من الزاوية الخلفيَّة الأخرى للغرفة ضحكةً مكبوتةً . نظرت نحو المكان الذي سمعت منه الضحكة ، ورأيت هناك أنَّا وكرستينا منحنيتَين فوق هاتفيهما . تساءلت إن كانتا تضحكان على لارش؟ يبدو أنَّ لارش لم يسمعْهما بل تابع حديثه :

«أنا جديدٌ في الصفِّ .»

يبدو أنَّه لا يجيد نطق حرف «الراء» ويلثغ كثيرًا ، لكن ما عدا ذلك فإنَّه يتحدث بطريقةٍ جيِّدةٍ . ومرَّةً أخرى تُسمعُ ضحكةُ أنَّا وكرستينا المكبوتة .

تُرى هل تضحكان على لارش؟ أم أنَّها صورة حمقاء في مدوَّنةٍ تافهةٍ تجعلهما تقهقهان في تلك الزاوية؟ ربَّما مدوَّنة أنَّا الخاصَّة هي التي تضحكهما . لقد حصلت أنَّا على إذنٍ من والديها بإنشاءِ مدوَّنةٍ خلال فصل الصيف ، ولذلك تنشر الآن اقتراحاتٍ بخصوص مساحيق

التجميل ، وكلامًا فارغًا بخصوص أمورٍ تافهةٍ أخرى في مدوَّنةِ أنّا باناانا . وتنشر أحيانًا أمورًا يُفترض أن تكون مُضحكة ، كصورة سيلفي مثلًا ؛ لها ولكرستينا مع رجلٍ عجيب المظهر في الخلفيَّة لا علم له بأنَّه قد صوِّر . لا أفعل ذلك لأنِّي أريد أن أتابع مدوَّنتها ، لكنِّي أقرأها أحيانًا كي أتأكَّد من سخافتهما .

نظرتُ إلى لارش مجدَّدًا ، حيث ما زال واقفًا ينظر إلينا . ابتسم بانْت لكلِّ من في الصفِّ قبل أن يربت بحذرٍ كتف لارش ويقول :

«صحيحٌ يا لارش ، وقبل أن تبدأ هنا ، كنت في مدرسةٍ أخرى .»

«صحيحٌ تمامًا يا لارش» ، قالت يانِّه فجأةً وهي تحدق ببانْت .

«صحيحٌ تمامًا» ، ردَّد لارش وكأنَّه يريد أن يؤكِّد ما قيل . ثمَّ تابع :

«أحبُّ هاري بوتر ، وأحبُّ الفراولة أيضًا .»

ابتسم بعض التلاميذ وبدا لي أنَّ أغلبهم ينظرون نظرةً إيجابيَّةً إلى لارش . لا يرونه على أنَّه ذلك الأبله صعب المراس الَّذي يسيل لعابه ، كما خُيِّلَ إلَيَّ سابقًا . ما زلتُ قلقةً ، لكنِّي أبتسم للارش أنا أيضًا .

لكنِّي أرى بطرف عيني في الزاوية الخلفيَّة الأخرى من الغرفة هاتفًا جوَّالًا يُرفع بحذرٍ ويختفي بسرعةٍ . هل تلتقطان الصور؟

«رائع!» هلَّلتْ يانِّه وهي تضمُّ كفَّيها إلى بعضهما ، وتبتسم لبانْت .

«سوف تجلس هنا في المقدِّمة عندي يا لارش» ، تابعتْ وأشارتْ إلى المقعد الأقرب إلى طاولتها .

جلس لارش في مكانه .

ظلَّ بانت واقفًا أمام تلاميذ الصفِّ ، وظلَّت يانِّه إلى جانبه تنظر إليه . تنحنح بانت ثمَّ تابع :

«حسنًا ، علَيَّ أن أغادرَ الآن؟»

أومأتْ يانِّه برأسها من دون أن تنطق ، وابتسمت ابتسامةً عجيبةً لم يظهر فيها سوى الصفِّ الأعلى من أسنانها . انحنى بانت احترامًا ثمَّ سار باتجاه الباب . هناك توقَّف واستدار ولوَّح بيده للارش ، الذي لوَّح بيده لأبيه . استدار بانت ثانيةً ثمَّ خرج من الصف . سمعنا وقع خطواته الطويلة تبتعد عبر الممرِّ .

ظلَّ التلاميذُ جالسينَ في أماكنِهم يتساءلون . لا أحد «سواي» يستطيع أن يدَّعي أنَّه على علم مسبقٍ بما حدث : تلميذٌ جديدٌ في الصفِّ مصابٌ بمتلازمة داون ومعلِّمةٌ فقدت عقلها .

لكن يبدو أنَّ يانِّه استعادتْ هدوءَها بعد مغادرة بانْت . حاولت إسكاتنا على الرغم من أنَّنا ، وللمرَّة الأولى ، كنَّا صامتين تمامًا بانتظار ما سيحدث بعد ذلك .

«اصمتوا جميعًا في الحال! هذا إذًا هو لارش!»

أشارت إليه للمرَّة الثَّالثة هذا اليوم ، كأنَّ هناك شكًّا يراودنا ، وما زلنا نتساءل من هو لارش بيننا .

«سيبدأ في صفِّنا إذًا منذ الآن . إنِّي متأكِّدةٌ من أنَّني أتحدَّث باسمنا جميعًا حين أقول إنَّنا سعداء جدًّا بوجود لارش معنا هنا ، وإنَّنا سنفعل كلَّ ما في وسعنا كي يسعد لارش بوجوده هنا .»

أومأ لارش وبقيَّةُ تلاميذ الصفِّ برؤوسهم وتابعت يانِّه :

قبل أن أقرأ أسماء الحضور ، وأوزِّع أسماء الأطفال الذين ستكونون بمثابة العرَّابين لهم ، أريد أن أحيطكم علمًا بأمرٍ ما . المسألة ليست مسألةَ تمييزٍ ، بل حلًا عمليًا جعلنا نختار لأماندا التلميذ الذي ستتبنَّاه .»

«ماذا؟!» سُمعت فجأةً من الزاوية القريبة من النافذة ، ورفعت كرستينا حانقةً رأسها ، وكفَّت عن النظر إلى هاتفها الجوَّال ، بعدما سمعت ما قالته يانِّه .

«أجل» ، أجابت يانِّه بفارغ الصبر . «لقد حصلت أماندا على اسم التلميذ الذي ستتبنَّاه يوم أمس ، وإذا كانت قد اختارت ألَّا تخبركم بالأمر فما علينا سوى أن نحترم قرارها .»

استدار جميع تلاميذ الصفِّ نحوي ينتظرون البقيَّة . كأنَّهم ينتظرون أن أخبرهم أنا بشيءٍ ما . ظللت مسمَّرةً في مكاني من دون أن أحرِّك عضلةً واحدةً في جسمي . لسوء الحظِّ يبدو أنَّ الفتاتين الجالستين عند النافذة مُصرَّتان على محاسبتي :

«أماندا؟!» نبحت أنّا تُجاهي .

«من هو التلميذ الذي قمت بتبنِّيه؟»

«ولماذا لم تخبرينا بالأمر؟؟» تابعت كرستينا .

«مم» ، أجبتُ ، من دون أن أعلم ماذا أقول .

لاحظتُ أنَّ ساري تحاول مساعدتي إذ دفعتني من الجانب ، لكنِّي

عجزتُ عن النطق بالكلام . كأنَّ عبارة لارش هو التلميذ الذي تبنَّيته علقتْ في حلقي ، فوجدتُ نفسي غير قادرةٍ على ابتلاعها ولا على بصقها .

دفعتني ساري بقدرٍ أكبر من العنف في خاصرتي . ولاحظتُ أنَّ الجميع يحدِّقون بي . انتظرتُ عددًا آخر من الثواني يمرُّ قبل أن أنجح أخيرًا بهمس أربعة من الحروف تكون معًا :

«لارش .»

لم يسمعني أحد . لم يسمعني لارش على أيِّ حال ، على الرَّغم من أنَّه بخلاف الآخرين ، الوحيد الذي لا يكترث لأمري . كان يدير ظهره لي حيثُ جلس وراح ينظر عبر النافذة إلى الخارج . عادت يانِّه ووجدت دورها كشخصٍ بالغٍ في الصفِّ ، وساعدتني بالطريقة التي لا يُجيدها أحدٌ سواها :

«عليكِ أن تستخدمي صوتك يا أماندا . صوتك الفريد من نوعه والذي تمتلكينه وحدك!»

شكرًا على لا شيء ، فكَّرتُ . لكنِّي أدركتُ أنَّني أجلس وسط كلِّ هذا ، وأنَّه ليس لدي خيارٌ آخر سوى أن أتابع :

«لارش!» قلتُ بصوتٍ عالٍ وواضحٍ للغاية ، مَا جعل لارش أيضًا يلتفتُ نحوي .

«لارش هو التلميذ الذي تبنَّيته .»

وللمرَّة الأولى منذ دخول لارش إلى غرفة الصفّ تلاقت نظراتُنا .

ابتسم لي ابتسامةً سريعةً قبل أن يستدير ثانيةً ، ويمعن النظرَ في الطاولة أمامه .

«هذا صحيحٌ!» صاحت يائِه وصفَّقت بيديها .

عاد الآخرون في الصفِّ إلى الحديث مع بعضهم . التعجُّب بادٍ على الجميع ، لكن لا يبدو أنَّ أحدهم صُدم بالأمر . مع ذلك ألاحظ النظرات التي تُوجَّه إلَيّ ، النظرات التي أثارت خوفي منذ يوم أمس . عيونٌ تحدِّق وأصواتٌ تهمس وتتمتم ، أصواتٌ لها آراءٌ وتنشرها حاليًا . في الحقيقة ، لم أمتلك الجرأة على النظر من حولي ، لكنَّ نظري يجول حول آدم ، الذي جلس في مكانه وراح ينظر إلَيّ مباشرةً .شعرت أنَّ نظرته تحرقني ، وأنَّ علَيّ أن أختفي . لكنِّي بدل ذلك استرقت النظر إلى أنَّا وكرستينا ، نظرة سريعة ، ورأيتُ أنَّ كلًا منهما منشغلةٌ ثانيةً بهاتفها الجوَّال . لستُ أدري إن كنت مصابةً بجنون الارتياب ، لكنْ ألا يبدو أنَّ كاميرات هواتفهما موجهةٌ صوبي؟

«حسنًا» ، تابعتْ يائِه . «أظنُّ أنَّ الطريقة الأفضل هي أن يأتي كلٌّ منكم إلى هنا ، فأخبره باسم الطفل الذي سيصير عرَّابًا له . عندما تحصلون على الاسم منِّي ، أريد منكم أن تعودوا وتجلسوا في أماكنهم ، وأن يكتب كلٌّ منكم رسالةً إلى نفسه عمَّا تتوقعونه من هذه المهمَّة ، ورسالةَ ترحيبٍ بالتلميذ الذي تبنَّيتموه ، ثمَّ تسلمونهم رسائل الترحيب عندما تلتقون بهم يومَ غدٍ .»

أسرع الجميع ليحصلوا على أماكن في أوَّل صفِّ الانتظار الذي

تكوَّن بسرعةٍ أمام مكتب يانِّه . في خضمِّ الفوضى لمحتُ لارش في الفراغات التي تركها من كانوا يتنقلون داخل الغرفة . ظلَّ جالسًا هناك ، ساكنًا ووحيدًا في مكانه . تتحرَّك شفتاه كأنَّه يخاطب أحدًا ما ، لكن لا أحد قريبٌ منه ليسمع ما يقول .

«ألن تذهبي وتسلِّمي عليه؟» سألت ساري التي كانت تجلس بجانبي .

«بلى» ، أجبتُها .

لكنِّي ظللتُ أماطل . لأنِّي أخشى ممَّا يمكن أن يفعله لارش ، ولكن أيضًا لأنَّني أخشى ما سيقوله الآخرون عنِّي .

جلستُ أعدُّ الثواني كي أصل إلى اللحظة التي أستجمع فيها شجاعتي وأسيرُ إليه . وصلتُ إلى العددِ عشرين وتوقَّفت ، عندما عدتُ إلى الواقع بدفعةٍ مفاجئةٍ كانت عبارةً عن «مرحبًا!» قِيلت بصوتٍ عالٍ .

جفلتُ للحظة ، ثمَّ اكتشفتُ أنَّ لارش كان واقفًا أمامي . لا بدَّ أنَّه سارَ عبر الفوضى التي عمَّت الصفَّ بينما كنت مشغولةً بعدِّ الثواني ، وها هو يقف أمامي ويبتسم ابتسامةً عريضةً . ثمَّ فشلتُ حتى في مقابلتهِ بابتسامةٍ مثلها .

تحوَّل الضجيج الذي يخيِّمُ على غرفة الصفِّ إلى صمتٍ . رأيتُ أنَّ الغالبية جلستْ في أماكنها ، أو توقفتْ عمَّا كانت تقوم به عند سماعهم «مرحبًا!» العالية التي نطق بها لارش . يحدِّق الجميع بلارش وبي .

وقف من دون خجل ينتظر أن أستجمع ما يكفي من الشجاعة كي أردَّ له التحية ، لكنِّي في الحقيقة لم أنجح بذلك . العرَّابة الناضجة الشجاعة التي تمَّ اختيارها للارش ، وقفت أمامه كبلهاءَ غبيَّةٍ ضعيفةٍ تهتمُّ لما يقول ويعتقد الآخرون ، أكثر من اهتمامها بأن تكونَ عرَّابةً جيِّدةً .

يبدو أنَّ لارش بدأ يلاحظ نظرات الآخرين لنا فقال لي مترددًا :

«أماندا .»

حدَّق لارش بالأرض وبحذائه . ما زلت عاجزةً عن النطق وبدأ الهلع يتفاقم داخلي . شعرتُ بنظرات الآخرين التي تحدِّق بي وخُيِّلَ إلَيَّ أنَّني أستطيع سماع صوت آذانهم المشرئبَّة لانتظار ما سيحدث . كلٌّ من حولي انتظر ليرى هل سأنجح في هذا الاختبار . ربَّما يشفق بعضهم علَيَّ ، وربَّما يفرح البعض الآخر بهزيمتي المقبلة .

لكنِّي ما زلت عاجزةً عن قول أيِّ شيء . لم أنبس ببنت شفة . ما يراه بقيَّة تلاميذ الصفِّ هو ربَّما أنَّني أقف وأحدِّق بلارش بكلِّ بساطة . وقد يترجمون الخوف في عينَيَّ بطريقةٍ خاطئةٍ ، فيرون فيها اللؤم والأحكام المسبقة .

أغمضتُ عينَيَّ لثوانٍ معدودةٍ قبل أن أستجمع قواي وأقول :

«أماندا .»

أجل . قلتُ اسمي في الحقيقة . قد تتجسد الشجاعة بطرقٍ كثيرةٍ ، لكنَّها ليست منطقيَّةً دائمًا . ضحك أحدهم متهكِّمًا ، لكن الغريب في

الأمر أنَّ غالبيَّةَ تلاميذ الصفِّ يحترمون اللحظة ، ويجلسون صامتين .

رفع لارش نظره عن الأرض ونظر إلَيّ . ابتسم لي وابتسمت له . ما زلت مضطربةً ، لكنِّي أجْبرتُ نفسي على المتابعة :

«اسمي أماندا . وسوف أكون عرَّابتك في هذه المدرسة .»

«أجل ، أعلم ذلك» أجاب لارش قبل أن يستديرَ ويسيرَ عائدًا إلى مكانه .

ماذا؟ هل هذا كلُّ شيء؟

جلستُ في مكاني بينما لاحظت أنَّ الصفَّ عاد ببطء إلى طبيعته ثانيةً . كلامٌ وضحكٌ يحلُّ محلَّ الصمت مجددًا ، ولا يبدو أنَّ أحدًا يكترث لأمري وأمر لارش . التفتُّ نحو ساري :

«حسنًا»؟

«مم» ، بدأتْ ، «سار كلُّ شيءٍ على ما يرام .»

«حسنًا؟» قلتُ ثانيةً .

«لم يكن الأمر سيِّئًا في كلِّ الأحوال .»

«حسنًا» ، قلتُ وشعرت أنَّني في قمَّة الغباء . نظرتُ إلى لارش واكتشفتُ أنَّه غارقٌ ثانيةً في حديثٍ مع أصدقاء من عالم الخيال على ما يبدو . إنَّه يشير بيديه ويهمس بصوتٍ منخفضٍ ، ويبدو أنَّه لا يشغل فكره بي إطلاقًا .

5
سوءُ حظٍّ قياسيٌّ

"تحياتي لارش ،

يسعدني جدًا أن أكون عرّابتك . يبدو أنك شابٌ لطيفٌ وودودٌ ، على الرغم من أنني لا أعرفك جيّدًا بعد . أنا أيضًا لطيفةٌ ومرحةٌ ، لكنّ شكلي قد لا يوحي بذلك دائمًا . أتمنّى أن يتعرّف كلٌّ منّا إلى الآخر أكثر ، ولا تتردد أن تخبرني إن كنتَ بحاجةٍ إلى مساعدةٍ في أمرٍ ما في المدرسة أو لديك بعض التساؤلات .

مع تحياتي

أماندا"

هذه هي رسالة الترحيب التي كتبتها للارش . إنّها رسالةٌ قصيرةٌ لم أجد المزيد لأقوله ، وشعرتُ في الوقت نفسه أنّني قلتُ فيها الأهمّ . كتبتها عند عودتي من المدرسة إلى البيت يوم أمس ، بعدما جلست

وفكّرت طويلًا عند طاولة الطعام في المطبخ . استغرقت كتابتها وقتًا طويلًا حتى وإن صعب تصديق ذلك فيما يتعلق برسالةٍ قصيرةٍ كهذه ، لكنَّ ذهني كان مشتتًا طيلة الوقت بسبب الأفكار والهموم التي تدور في دماغي . تتعلَّق بعض تلك الأفكار بآدم ، لكن معظمها يتعلَّق بلارش . لارش الذي يسيل لعابه أو لارش الصارخ أو الحانق .

حاولت أيضًا أن أكتب رسالةً إلَيّ عن توقعاتي ، كما طلبت منَّا يانِّه ، لكنِّي لا أظنُّ أنَّ رسالتي تفي بالغرض . لقد كتبت كالتالي :

"عزيزتي أماندا ،

أكتب هذه العبارات لنفسي كي أتذكَّر دائمًا ، ولكي لا أنسى أبدًا : توقَّفي عن محبَّة آدم . توقَّفي عن ذلك الآن . ما تقوم ين به لا يؤدِّي إلَّا إلى شعورك بالخيبة ؛ أنت وساري . إنَّه ليس أهلًا لذلك ، ولن يبادلك الحبَّ يومًا ، لأنَّه أحمق أنانيٌّ متغطرسٌ يظنُّ أنَّكِ مجرَّد غرابٍ مجهولٍ لا يستحقُّ مكانًا في حياتك . اعتني بنفسك بدلًا من الاهتمام به .

مع تحيات أماندا»

كانت رسالةً صارمةً ، لكن ذلك كان ضروريًا . عندما انتهيتُ من كتابتها ، طويْتُها ووضعتها في غلاف . لا أظنُّ أنِّي سأعطيها ليانِّه ، لكنِّي لا أظنُّ أنِّي سأرميها . أخبرت ساري بها ووافقتني الرأي بالاحتفاظ بها ، في حال أُصبت بنوبةٍ جديدةٍ من الحزن على حبٍّ ضاع .

جلستُ على مقعدي في غرفة الصفِّ ، ونقلت الرسالة التي كتبتها للارش من يدي اليمنى إلى يدي اليسرى . ترددت في أن أعطيه إيَّاها ، لأنَّ أوَّل ما حدث عند وصولي إلى المدرسة هو أنَّ يانِّه طلبت من آدم تغيير مكانه والجلوس إلى جانب لارش .

أتمنَّى ألَّا يشكِّل ذلك مشكلةً بالنسبة إلَيَّ ، لكنَّه يشكِّل فعلًا مشكلة . فعلى الرغم من أنَّني قرَّرت أن أتوقَّف عن حبِّ آدم ، إلَّا أنَّني ما زلت أشعر بذلك الحبِّ في قلبي كلَّما فكَّرت في الاقتراب من مكانه .

التفتُ نحو ساري التي جلستْ ترسم على الطاولة بقلمٍ من الرصاص .

«كيف أسلِّمُ الرسالة إلى لارش؟» سألتها .

«مم ، ماذا؟» أجابت ببطء .

«من الأرض إلى ساري ، لدَيَّ مشكلةٌ عظيمةٌ! كيف أعطي لارش الرسالة وآدم يجلس إلى جانبه؟»

«ماذا لو أعطيتِه الرسالة وحسب؟ ماذا لو قلتِ : تفضل يا لارش ، هذه الرسالة لك؟»

«آه ، لا» ، قلت وفي حلقي غصةٌ .

«ولمَ لا يا أماندا؟» أرى بوضوح أنَّ ساري ضاقتْ بي ذرعًا . «ألا تشعرين أنَّ عليك التوقُّف عن هذه الحماقات؟ ألم تتخطي آدم بعد؟ ما بكِ؟ لقد أغرقكِ بالمياه المعدنية!»

أصابتني كلماتُ ساري كلكمةٍ في الصدر ، ولا أظنُّ أنَّني أجدت إخفاء ذلك . سمعت صوتي يقول بهدوء : «بلى» ، بينما داخلي كلّه يصرخ «لا!» .

تذكَّري الرسالة! إنَّه صوتي الداخلي يهمس لي ويذكِّرني . لو كان لديَّ ثقة بالرسالة التي كتبتها لنفسي ، ولو كان لدي ثقة بنفسي ، لن أجد صعوبةً في التقدم من لارش وتسليمه الظرف؟ وإن كنت أريد إقناع ساري مرَّةً وإلى الأبد بأنَّني لم أعد أحبُّ آدم حقًا ، لن أجد طريقةً أفضل من القيام بذلك في الحال .

وهذا ما فعلته بالضبط .

بدأ جسمي يتحرَّك ببطء . بدأت الحركة بقدمي اليمنى التي خطت مترددة على الأرض . ثمَّ تبعتها ببطء قدمي اليسرى ، وبعون من يدي نجحت في الوقوف . ثمَّ تحركت ساقاي فوق الأرض ، على إيقاع لا ينسجم مع إيقاع القلب الذي راح يدقُّ ، وكأنَّه يحاول أن يفتح طريقًا ليقفز من صدري إلى الخارج .

بلَّل العرق كفَّيّ .

لكنِّي سرتُ المسافة كلَّها إلى المكان الذي يجلس فيه كلٌّ من آدم ولارش في المقاعد الأماميَّة من دون أن يلاحظ أحدٌ الحالة الغريبة التي كنتُ فيها .

«مرحبًا» ، قلت بصوتٍ يكاد يكون طبيعيًا .

«مرحبًا» ، قال لارش وابتسم .

يبدو أنَّ كلَّ شيءٍ يسير على ما يرام . بل يبدو أنَّ آدم لا يلاحظ وجودي ، وهذا أمرٌ إيجابيٌّ ؛ لأنَّني لم أعد أحبُّه .

«معي رسالة لك يا لارش» ، قلت . «لهذا أتيت إلى هنا .»

قلت ذلك بصوتٍ عالٍ وواضحٍ حتَّى لا يوهم آدم نفسه بأنَّ لديَّ أيَّ دافعٍ آخر .

أخرجتُ الرسالة من الجيب الخلفي للشورت الذي أرتديه . لقد ضُغطَت وصارت فيها طيَّاتٌ إضافيَّةٌ ، ما جعلني أحاول تسويتها بأن أملِّسَ عليها بين يدَيّ .

ثمَّ بالغتُ بالتمليس ، وأوقعتُ الرسالة على الأرض .

قبل أن يصير للارش أو لي متسعٌ من الوقت لأيِّ ردَّةِ فعلٍ ، رأيت آدم ينحني ويلتقط الرسالة عن الأرض . ناولني إيَّاها لكنِّي لم أجد القوَّة الكافية كي أمدَّ يدي وآخذها . ما الذي أفعله يا ترى؟ ما هذا الشلل الذي أصابني؟ علَيّ أن أفعل شيئًا ما! أيَّ شيء!

اتجهت بنظري صوب آدم إلى أن كادت نظراتنا تلتقي وقلتُ بكلِّ صراحةٍ : «شعركَ قبيحٌ .»

تجمَّد العالم بأسره وكأنَّنا سجناء داخل ماكينة للتحكُّم بالزمن بعدما توقَّف محرِّكها عن العمل .

ما الذي قلته لتوِّي؟ هل قلت ذلك بصوتٍ عالٍ؟ لماذا فعلت ذلك ، بحقِّ السماء؟

كلُّ ما خطر لي هو أن أخطف الرسالة من يد آدم . تركتها ترتجف

قليلًا بين يدي قبل أن أناولها للارش وأدفع بكلمةٍ فوق شفتَي: «تفضَّل.»

ثمَّ عدتُ مسرعةً إلى ساري، التي أدركتْ حال رأتني أنَّ الأمور سارت على نحوٍ خاطئٍ جدًا.

«ما الذي حدث؟» سألتْ وقد جحظت عيناها.

«ما الذي فعلته؟» قلتُ وحدَّقتُ بها والرعبُ بادٍ على محياي.

«لا أعلم! ما الذي فعلتيه؟»

«قلت لآدم إنَّ شعره قبيح»، قلتُ بنبرةٍ صافرةٍ.

«فعلت ماذا؟» صفرت بدورها مجيبة.

نظرت إلَيَّ. تحوَّلت ردَّة فعلها الأولى على الصدمة إلى خليطٍ من الخيبة والشفقة.

«لكن يا أماندا»، بدأت، «يبدو أنَّك ما زلتِ تحبينه؟ أم أنَّكِ بدأت تكرهينه؟»

«نعم، أكرهه»، قلت، لكنِّي أظنُّ أنَّها لم تصدق تلك الكذبة.

«المهمُّ أنَّك سلَّمت الرسالة»، قالت ساري مستسلمةً.

«أجل»، تنهَّدتُ، لكنِّي عجزتُ عن رؤية الشيء الإيجابيِّ في ذلك الأمر.

ملتُ فوق الطاولة، وخبَّأتُ وجهي بين ذراعَيَّ. هكذا أقفلت الباب وتركت العالم بأسره في الخارج وتفرَّغت لأحلام اليقظة في الإجازة الصيفيَّة، حيثُ لا مشاكل لديَّ سوى أشعَّة الشمس القويَّة. غرقتُ

في أحلامي حين قرصتني ساري في جنبي فكدتُ أقفزُ في مكاني .

«ماذا؟» سألتُ بضيقٍ واضحٍ للعيان .

لم تقل ساري شيئًا بل أومأت برأسها مرورًا بي . أدركتُ أنَّ عليَّ أن ألتفتَ إلى الجهة الأخرى . عندما فعلتُ ذلك وقع نظري على وجهٍ محاطٍ بخصل شعرٍ بنيَّةِ اللون .

«آدم!» قلت منفعلة .

«مم» ، بدأ آدم . «أظنُّ أنَّكِ سلَّمتِ الرسالة الخطأ .»

«ماذا؟»

«أظنُّ أنَّكِ سلَّمتِ لارش الرسالة الخطأ . الرسالة تبدأ بعزيزتي أماندا .»

لم ينظر آدم إليَّ عندما حدثني بل نظر إلى نقطةٍ موجودةٍ في مكانٍ ما فوق رأسي . ناولني بحركةٍ متّزنةٍ رسالةَ الترحيب الغبيّة التي كتبتها لنفسي مساء البارحة وليس للارش .

«فعلًا؟» قلتُ ولاحظتُ أنَّ وجنتَيَّ احمرَّتا .

«شكرًا» ، قالت ساري بحفاوة بعدما أدركتْ أبعاد الأزمة التي وقفتُ على أبوابها . وبما أنَّني عاجزةٌ عن التنفس والكلام تابعت هي :

«جميلٌ أن تعيد الرسالة . لكن هل قرأتها؟»

«نعم» ، أجاب آدم . «لم يفهم لارش فحوى الرسالة ، ولا السبب الذي جعل أماندا تكتب ذلك ، لذلك أطلعني عليها .»

وضع الرسالة على طاولتي .

«هل لديك رسالةٌ تريدين تسليمها للارش؟» سألني .

يتصرَّف بالضبط كأنَّه لم يقرأ رسالةً أعترفُ فيها بحبِّي كاملًا له ، وأدعوه فيها أحمقَ وأنانيًا ومتغطرسًا ، إضافة إلى أنَّني قلتُ لتوِّي إنَّ شعره قبيح .

أمسكتُ بحقيبة الظهر ، ورحتُ أبحث داخلها . بعد لحظاتٍ وجدتُ رسالةً أخرى ، وضعتها هي الأخرى في ظرفٍ أبيضَ اللون . لكن على هذا الظرف كتبت لارش بأحرفٍ كبيرةٍ . أكاد لا أصدِّق حجم الحماقة التي ارتكبتُها وأنا أمدُّ يدي إلى آدم بالرسالة وأتمتم «شكرًا» بصمت .

استدار بهدوء وعاد إلى لارش . رأيت لارش يجلس على حافة الكرسيِّ منتظرًا أن يعود آدم اليه بالرسالة الصحيحة .

مرَّ برقٌ من الغضب عبر كياني حين رأيت لارش . توقَّعتُ أن يتسبَّب لي بالمشاكل ، لكن مشاكل من هذا النوع لم أتوقعها حتى في أسوأ كوابيسي .

«ساري ، لقد متُّ» ، قلتُ بصرخةٍ مكبوتةٍ . «أكاد لا أصدِّقُ أنَّ لارش أعطى الرسالة لآدم!»

رمقتني ساري بنظرة .

«لكنَّ الحقيقة هي أنَّك من أعطاه الرسالة الخطأ .»

«نعم» ، اعترفت من دون أن أسامح لارش .

«إنَّه يعرف كلَّ شيءٍ الآن» ، قلت بصوتٍ حزينٍ وضربت الطاولة

ضربةً عنيفةً بجبهتي .

«إنَّه سوءُ حظٍّ قياسيٌّ» ، قالت ساري ومرَّرت يدها فوق شعري .

إنَّها بداية اليوم الدراسيِّ الثالث ، وعلى الرغم من ذلك أجدُ نفسي أحلم بالرحيل إلى بلادٍ بعيدةٍ . إلى بلادٍ لا يستخدمون فيها الكلمات ولا يكتبون الرسائل ، وقبل كلِّ شيءٍ ، بلاد لا يقع الناس فيها بحبِّ بعضهم بعضًا .

6

هلام الحلزون وقهوة بالحليب

لم أردْ الذهاب إلى المدرسة اليوم ، لكنِّي لم أنجح في إقناع أبي بحكاية مرضي ، ولهذا سرتُ في اتجاه طريق المدرسة المثقل بالمطر .

عندما وصلتُ وجدتُ ظرفًا صغيرًا على طاولتي ، عليه أحرفٌ كبيرةٌ غير متناسقةٍ . فتحته وأخرجت الرسالة التي في داخله . عندما فتحتها أدركت في الحال أنَّها من لارش ، لأنَّ التوقيع ، لارش ، يحتلُّ نصف الصفحة .

فكَّرتُ لثانيةٍ بعدم قراءتها ، بل أن أحوِّلَها إلى كرةٍ في يدي وأرميها . ما زالَ جزءٌ منِّي يلوم لارش على ما حدث يوم أمس ، على الرغم من علمي بأنِّي أنا التي ارتكبت الخطأ .

الرسالة قصيرةٌ ، لكنَّ محتواها على قدرٍ من الأهميَّةِ :

مرحبًا أماندا ،

شكرًا على الرسالة .
أنتِ إنسانةٌ لطيفةٌ . على الرغم من أنَّكِ قلت إنَّ شعر آدم قبيح .
هل تريدين مرافقتي إلى بيتنا؟

(توقيعٌ ضخمٌ جدًا)

هل أريد أن أرافق لارش إلى بيته؟ أنا وهو فقط؟ تجعلني الفكرة أشعرُ بالاضطراب . ماذا سنفعل هناك؟ ماذا لو لم نجد بيننا قواسم مشتركة ولا مواضيع نتحدث عنها؟ ماذا لو كانت الزيارة مملَّة أو تحوَّلت إلى تجربة مؤلمة؟ ليس من السهل مرافقة أحد إلى بيته ، بغضِّ النظر عن إن كان مصابًا بمتلازمة داون أم لا . أظن أنَّ مهمتي كعرَّابةٍ تقتصر على الوقت الذي نقضيه في المدرسة ولا تتضمن زياراتٍ منزليَّة .
لكن لسببٍ ما ، ربَّما هو تأنيب الضمير الذي شعرت به حين لُمتُ لارش على الكارثة التي تسبب بها اختلاط الرسائل ، قرَّرتُ أن أوافق على زيارة لارش في بيته .
لقد أتيت إلى المدرسة باكرًا اليوم ، وغرفة الصفِّ ما زالت فارغةً تقريبًا . هناك أنا وتلميذان آخران ، إضافة إلى لارش الذي جلس وحيدًا في مكانه . آدم ليس هناك لحسن الحظِّ ، لهذا لا أرى مشكلةً في الذهاب إلى مكان لارش . كان يتحدَّث في الهواء مباشرةً بصمتٍ ، ويؤدِّي إشاراتٍ معيَّنةٍ بأصابعه . ما عدا ذلك ، لا يبدو مشغولًا بشكلٍ

ما ، لذلك ذهبت إليه .

«مرحبًا» ، قلت .

يبدو وكأنَّ لارش انتُزع من العالم الذي كان فيه ونظر إلَيَّ والخوف يملأ عينيه ، لكن بدا في الحال أنَّ رؤيتي أسعدته .

«مرحبًا» ، أجاب بسرعة .

«ماذا تفعل؟» سألته . لقد تساءلت عن الأمر فعلًا . ما هي تلك الإشارات التي يؤديها بأصابعه؟

«إنَّني أمارس أعمالًا سحريَّةً» ، أجاب لارش .

«حسنًا» ، قلت وحاولت أن أخفي الشكَّ الذي راودني .

عمَّ الصمت بيننا للحظة من دون أن يؤدِّي ذلك إلى شعورٍ مباشرٍ بالإحراج .

«شكرًا على الرسالة» ، قلت .

ابتسم لارش خجلًا ونظر إلى طاولته .

«الحقيقةُ هي أنَّني أريد فعلًا أن أرافقكَ إلى البيت .»

نظر لارش إليَّ ، وابتسم ابتسامةً مفعمةً بالتوقُّعات .

«متى؟» سألني .

«لست أدري . متى ترى الوقت مناسبًا لزيارتي؟»

«اليوم .»

«أجل ، حسنًا» ، قلتُ بلا أدنى تفكيرٍ في الأمر . لم أكن أظن أنَّ الزيارة ستجري بتلك السرعة ، لكن لمَ لا؟ «حسنًا ، اتفقنا إذن؟»

أومأ لارش برأسه موافقًا .

«ربَّما نستطيع أن نلتقي في ساحة المدرسة عند الساعة الثانية؟»

أومأ لارش برأسه ثانيةً .

«حسنًا» ، قلت كي أؤكِّد على ما قلنا توًا ، وأيضًا لأنَّه لم يخطر لي شيءٌ آخر أقوله .

«طابت أوقاتكَ إذًا» ، أنهيت كلامي .

«طابت أوقاتكِ» ، قال لارش واستدار نحو مقعده ثانيةً .

عندما عدتُ وجلستُ في مكاني لاحظتُ أنَّني كنت فخورةً بنفسي . لا أحد يستطيع أن يوجِّه إلَيَّ تهمة عدم القيام بمهمتي كعرَّابةٍ الآن . قد لا تكون الكيمياء بيني وبين لارش جيِّدةً جدًا وقد لا تكون طبيعيَّةً ، لكنَّها ليست سيئةً أيضًا .

مرَّ اليوم المدرسيُّ بلا أحداثٍ ولم يتسبب حضور آدم حتى بتزايد نبضات قلبي . فجأةً صار تجاهله أسهل بعد ما حدث يوم أمس بخصوص الرسالة ، إذ لم يعد لديَّ خيارٌ في الحقيقة . إنَّه يعلم أنِّي أحبُّهُ ، والتكتيك الأفضل حاليًا هو أن أجعل نفسي خفيَّةً ، كأنِّي لست موجودة .

جلستُ أنا وساري بعد الحصة الأخيرة في زاوية ساحة المدرسة مع التلميذ الذي تبنَّته ساري ؛ تيريه . إنَّه يتحدَّث عن أمورٍ لا تعنينا : « . . . أربعةٌ من الديناصورات التي لم يعلم أحدٌ بوجودها مسبقًا! والتي عثر عليها في إفريقية!»

تحدَّث هكذا لفترة ، وأومأت كلٌّ منّا برأسها ، ووافقت على ما قاله . كانت الساعة الثانية إلّا عشر دقائق وعلى ساري مرافقة تيريه إلى بيته ، لكنّهما اتفقا على أن ينتظرا معي إلى أن يأتي لارش . كان لارش مع معلّمةِ ذوي الاحتياجات الخاصَّة في الحصة الأخيرة . إنّني مسرورةٌ جدًا لحضور ساري وتيريه كي لا أضطر إلى انتظار لارش وحدي . لو فعلتُ لما تركتني أنّا وكرستينا وشأني ، بل ستأتيان إليَّ وتطالبانني بالإفصاح عن اسم الشخص الذي انتظره وعن المكان الذي سأذهب إليه . لا أريد أن يعرف أحد علاوةً على ساري بأمر زيارتي إلى لارش في بيته . إذا اكتشف بقيَّة تلاميذ الصفِّ أنّي ألتقي لارش في أوقات فراغي قد يظنون أنَّ الأمر يروق لي ، وأنّي ربَّما اخترت بنفسي أن أكون عرّابته .

مرَّ وقتٌ طويلٌ قبل أن يظهر لارش في الجهة الأخرى من ساحة المدرسة . سار باتجاهنا مباشرةً لكنّي في الحقيقة ظننت أنّه لم يرنا . قلت «طابت أوقاتكم» لكلٍّ من تيريه وساري ، ثمَّ قمت وسرت للقائه في منتصف الساحة ، بين مرمييِّ أهداف ملعب كرة القدم .

تبادلنا التحية ، ثمَّ عمَّ الصمت بعدها . عمَّ نتحدث الآن؟ عمَّ سنتحدث بقية اليوم؟

قررت أن أبدأ بالحديث عن الأمور العمَليَّة .

«هل يعلم والدك أنّني سأرافقك إلى البيت؟ هل تظن أنّه موافق على ذلك؟»

أومأ لارش برأسه باقتضاب .

«حسنًا» ، قلت . «هيَّا بنا؟ أين تسكن؟»

«اتبعيني!» قال لارش بنبرةٍ دراميَّةٍ وبدأ يسير بخطًى حازمةٍ .

انعطف إلى اليمين حين وصلنا إلى الرصيف . سار بسرعةٍ جعلتني بالكاد أتمكَّن من اللحاق به وضحكت قليلًا عندما رأيت لارش بهذه الجديَّة .

«هيَّا ، أسرعي!» تابع وكأنَّنا اثنان من القراصنة نسير على رصيف الميناء باتجاه سفينتنا ، كي نرمي الحبال ونبحر .

«نعم ، أيُّها القبطان!» أجبت ممازحةً .

لكنَّ المزاح لم يكن في بال لارش .

لم نقل الكثير في الطريق .

تبيَّن أنَّه يسكن قرب المدرسة . عندما وصلنا إلى بيته دخل إلى الرواق مباشرةً ، رمى حقيبة الظهر هناك ، خلع حذاءه ودخل المنزل .

تصرَّفتُ بقدرٍ أكبر من الهدوء . وضعتُ حقيبة الظهر التي أحملها في إحدى زوايا الرواق ، ووضعت حذائي بجوارها . ثمَّ تبعتُ لارش إلى داخل بيتٍ جميلٍ جدًّا وتعمُّه الفوضى كثيرًا . كان هناك أكوامٌ من الكتب والورق بمحاذاة الجدران ، قفَّازاتٌ وأحذيةٌ مرميَّةٌ هنا وهناك في أماكن لا يضعها فيها أحد عادةً ، فوق رزمةٍ من الكتب مثلًا ، أو بين ملفَّين ضخمَين . رأيت صناديق هنا وهناك ، وعندما نظرت إلى أحدها وجدت أنَّه مليءٌ بمستلزمات الحمَّام . استغربت أمر تركه هناك ، في الرواق .

عبرتُ الرواق الضيِّق . رأيتُ صورتي في مرآةٍ قديمةٍ معلَّقةٍ على أحد الجدران ، أو نسخةً ما عنِّي . كان زجاج المرآة مشروخًا بحيث جعل صورتي فيه تبدو مختلفةً جدًا . ضحكتُ حين رأيت أنَّني أشبهُ امرأةً مسنَّةً جدًا لها أنفان .

سرتُ باتجاه صوت الموسيقى الذي أتى من غرفةٍ في آخر الرواق . أظنُّ أنَّها موسيقى أوبرا . هي في كلِّ الأحوال أصوات رجال عالية وقويَّة تملأ الغرف ، ورأيتُ أنَّها موسيقى تليق جدًا بهذا البيت . عندما وصلتُ نهاية الرواق ، انبسط أمامي مطبخٌ واسعٌ أزرق اللون ، ثمَّ رأيت لارش جالسًا عند طاولةٍ خشبيَّةٍ ضخمةٍ . هناك نافذتان خلفه يدخل منهما ضوء الشمس ، ويصنعان النقيض الساطع للرواق المعتم المغطَّى بالغبار .

تعمُّ الفوضى هنا أيضًا ؛ أكياسُ الدقيق وزجاجات زيت الزيتون متناثرةٌ هنا وهناك ، كتابُ طبخٍ ، صحيفةٌ هنا وثلاثٌ هناك ، زجاجات نبيذٍ نصف فارغةٍ وأعشابٌ عطريَّةٌ طازجةٌ ، وعاءٌ للسلطة إلى جانب علبةٍ من حبوب الإفطار التي تقف بدورها إزاء مطحنةٍ للقهوة .

فكَّرتُ بمطبخنا النظيف إكلينيكيًا والذي تفوح منه رائحةٌ خفيفةٌ من سائل التنظيف ، ليس فيه غرضٌ صغيرٌ واحدٌ في غير محله ، ولا مؤنٌ ظاهرةٌ للعيان . هذا المطبخ حميمٌ ، ومريحٌ أكثر في نظري .

وقفتُ عند الباب وعندها فقط لمحت بانت . كان واقفًا عند الحوض ولم أر منه سوى ظهره ، وهو منهمك كليًا فيما قام به من أعمال

منزليَّةٍ . أشار لارش لي أن أقترب منه حيث يجلس عند الطاولة ، ثمَّ أسرع وأشار لي أن أتحرَّك بصمتٍ . عندما اقتربت منه همس بصوتٍ منخفضٍ :

«بانت لا يعلم .»

ثمَّ كبت ضحكةً خلف يديه التي وضعها على فمه .

ابتسمتُ وجلستُ على الكرسيِّ إلى جانب لارش . تدفقت الموسيقى بصوتٍ عالٍ ولم يلاحظ بانت دخولنا المطبخ . عندما استدار ممسكًا بفرشاة غسل الصحون بيد ، وفنجان قهوةٍ باليد الأخرى ، كاد يقفز في مكانه تحت وقع المفاجأة .

«لارش!» زأر بانْت حتى تناثرت قطرات القهوة من الفنجان .

لكنَّه لم يبدُ غاضبًا بل ضحك . وضحك لارش .

هزَّ بانت رأسه مستسلمًا ثمَّ استدار وأسقط فنجان القهوة والفرشاة في رغوة الصابون . سار إلى الراديو وخفَّض صوت الموسيقى حتى انتشر صمتٌ مريحٌ في المكان .

«أهلًا ، أماندا» ، قال بانت واستدار نحونا ثانيةً .

«كم يسعدني قدومك .»

«مرحبًا» ، قلت بحذر .

«اتَّصل لارش من المدرسة وقال إنَّه دعاكِ إلى زيارتنا اليوم . الأمر مفاجئٌ بعض الشيء ، لكن لارش هكذا دائمًا . إنَّه شابٌ صارمٌ جدًّا ، وسوف تكتشفين ذلك مع الوقت .»

ضحك لارش ثمَّ تابع بانت :

«لو علمتُ بأنَّكِ ستأتين ، لنظَّفتُ البيت قليلًا طبعًا .»

«يشربُ إكسير الحقيقاتوس!» قال لارش بسرعة .

«ماذا تعني يا لارش؟ هل تعني أنَّني أكذب؟»

بدا بانت صارمًا ومهدِّدًا حين سار باتجاه لارش . مال لارش قليلًا في مقعده ، رفع يده اليمنى كأنَّه يمسك بشيءٍ ما ثمَّ قال بصوتٍ عالٍ :

«طيري ، طيري ، يا عصفوراتوس!»

تجمَّدَ بانت تمامًا ، وتسمَّر في مكانه وسط المطبخ .

ثمَّ انفجر كلاهما بالضحك ثانيةً .

ما الذي أشاهده بحقِّ السماء؟

«أحسنت يا لارش» ، قال بانت ضاحكًا . «وأظنُّ أنَّكَ على حقٍّ . إنَّني أكذب فعلًا حين أقول إنَّني سأنظِّف البيت لو علمت مسبقًا أنَّك ستأتين لزيارتنا يا أماندا . لست بارعًا في تنظيف المنزل .»

تابع غسل الصحون أثناء حديثه .

«هل تحبِّين هاري بوتر يا أماندا؟»

«مم» ، ترددتُ ثمَّ اعترفتُ : «لم أقرأ أيًا من تلك الكتب في الحقيقة .»

حاول لارش أن يلتقط أنفاسه .

«لكنِّي شاهدت جميع الأفلام تقريبًا!» أسرعتُ وقلتُ .

هزَّ لارش رأسه ، ومع ذلك قال : «جيِّد .»

«حسنًا ، حسنًا» ، قال بانت . «أمامكما الكثير من العمل إذًا ، لأنَّ لغة لارش الأم هي لغة هاري بوتر . إنْ لم تفهمي لغة هاري بوتر عليك أنْ تنسَي أمرَ أيَّةِ صداقةٍ قد تجمعك به . أليس كذلك يا لارش؟»

«بالضبط» ، قال لارش .

لم تكن لديَّ أيَّةُ فكرةٍ عمَّا يجب أن أقوله ، ولم أفهم إن كانا يمزحان أم لا . لكني فهمت على أيِّ حال أنَّ علَيَّ قراءةَ كتب هاري بوتر . من أجل أن أصبح صديقة لارش ، ومن أجل أن أكون العرَّابة الجيِّدة التي أريد أن أكون .

«ماذا يوجد على لائحة الطعام؟» سأل لارش .

«الموجود على لائحة الطعام : خبزٌ مقليٌّ بالبيض مع قليلٍ من هلام الحلزون ثمَّ قهوةٌ مع حليب! هل تحبِّين ذلك يا أماندا؟»

أومأتُ برأسي من دون أن أدري ما الذي وافقتُ على تناوله . بدأ بانت بتحضير الطعام والعجيب في الأمر أنَّه وجد كلَّ ما يحتاج ، بما في ذلك حوض المطبخ . ما زالت موسيقى الأوبرا في الخلفية ، وراح بانت يدندن معها حسب استطاعته .

أحضر لارش أوراقًا وقلمًا ، ووضعهما على الطاولة أمامنا . بدأ يكتب ، «ألف» أوَّلًا ثمَّ حرف «السين» . نظرت إلى ما كتب طويلًا قبل أن أسأل :

«ماذا تفعل؟»

«إنَّها عبارةٌ سحريَّةٌ» ، أجاب لارش .

بالطبع . يبدو أنَّهُ لا بدَّ لي من أن أعتاد على هذه الأمور .

«أنتِ أيضًا» ، قال وناولي قلمًا وورقةً .

اكتشفتُ سريعًا مغزى اللعبة . علينا ببساطة أن نكتب عباراتٍ سحريَّةً جديدةً ، أو كلماتٍ قد يكون لها تأثيرٌ ما إنْ نطق بها المرء بصوتٍ عالٍ وهو يحرِّك عصاه السحريَّة الخفيَّة في الهواء . فيكتب المرء كلمةً على الورقة ، يتحقَّق من معنى العبارة السحريَّة ثمَّ يجرِّبُها لاحقًا ، ويستحسن أن يكون بانت هو أرنب المختبر الذي تُجرَّب العبارات السحريَّة عليه . قد ينجح السحر أحيانًا ، ويفشل أحيانًا أخرى . بانت هو من يقرر غالبًا إن كانت العبارة السحريَّة نافعةً أم لا .

يحاول لارش الآن أن يزوِّد والده بأذنَيِّ أرنبٍ زهريَّتَي اللون . بيَّنَ بانت أنَّ هذا أمرٌ يحاول لارش تحقيقه منذ وقتٍ طويلٍ ، ولكنَّه ولحسن الحظِّ لم ينجح في تحقيقه بعد . يظنُّ كلاهما أنَّ هناك خطأً ما في أحرف العبارة السحريَّةِ . ربَّما حرف السين في المكان الخطأ ، أو قد يكون حرف الزاي ناقصًا . وفجأة وجدت نفسي ولارش منهمكان باختراع العبارة السحريَّةِ التي ستمنح بانت أذنَيِّ أرنبٍ زهريَّتَي اللون .

جرَّبنا كلَّ محاولةٍ ببانْت وكان الأمر مضحكًا للغاية . لا أستطيع أن أتذكَّر المرَّة الأخيرة التي ضحكت فيها بهذا القدر . علَيَّ أن أعترف أنَّ هذه اللعبة قد لا تخطر لي ولأصدقائي الآخرين ، لأنَّها تبدو طفوليَّةً وغبيَّةً ، لكن هنا في هذا المطبخ بدت وكأنَّها أكثر ألعاب العالم طبيعيَّةً وبديهيَّةً . لم أكن على هذا القدر من السعادة منذ فترةٍ طويلةٍ جدًا ،

وأدركتُ أنَّني نسيتُ همومي كلها .

ثمَّ تابع العصر مسيرته بوجبةٍ من الخبز المقليِّ بالبيض وهلام الحلزون الذي تبيَّن أنَّهُ مُربًّى . طلبت بعضًا من براز الآلف ، فضحك كلٌّ من بانت ولارش بشكلٍ هستيريٍّ وأدركا أنَّني أعني السكر . شربنا القهوة مع الحليب والتي تبيَّن أنَّها عبارةٌ عن حليبٍ ساخنٍ مع قرفة ، وأكلنا التفاح الذي سمَّاه لارش «كرات الحظِّ» ، بعد الطعام . مزحنا كثيرًا وتحدَّثنا كثيرًا ، عن هاري بوتر وعن مواضيعَ سحريَّةٍ أخرى غالبًا ، وهكذا بدأتُ تعلُّمَ اللُّغة .

«تعرَّضتْ هرميوني للاضطهاد إذًا لأنَّها ليست ساحرةً في الأصل ، وعلى الرغم من ذلك ، كانت الأفضل في عمليات السحر؟» سألتُ كي ألخِّصَ ما أوضحه لارش لتوِّه .

«بالضبط . إنَّها مميَّزة ، ولا يحبُّها الآخرون ؛ لأنَّها الأفضل .»

«فهمت» ، قلتُ ، وفكَّرتُ في الأمر .

عدت من رحلةِ أفكاري عندما دقَّت ساعة الحائط التي لم أكن قد لاحظت وجودها ، ستَّ مرَّاتٍ بصوتٍ واضحٍ . لقد قضيت هنا أربع ساعات تقريبًا .

لم ألقِ نظرةً على هاتفي الجوال ولا حتى لمرَّةٍ واحدةٍ ، ولم أشعر بالملل ولو لثانيةٍ .

«علَيَّ أن أغادر الآن» ، قلتُ وقمتُ من على الكرسي .

«شكرًا على الزيارة» ، قال لارش من دون أن يرفع نظره عن ورقة

الوصفات السحريَّة .

ابتسم بانت ، ولحق بي إلى الرواق .

«أريدك أنْ تعلمي أنَّنا نرحِّب بكِ دائمًا في هذا البيت ، أماندا . لقد أسعدتنَا معرفتُك كثيرًا» ، قال ونحن واقفان بين عددٍ من الصناديق .

«وسررتُ بمعرفتك أيضًا» ، أجبت بحفاوة . ثمَّ بحثت عن حذائي وحقيبة الظهر وسط الفوضى .

كان هاتفي الجوال داخل حقيبة الظهر طوال فترة بعد الظهر ، وعندما نظرتُ إليه وجدتُ رسالتين حادَّتَي اللهجة من أمِّي :

«العشاء في الساعة الخامسة .» ثمَّ «أين أنت؟ اتصلي بي .»

شعرتُ بتأنيب الضمير ككتلةٍ ثقيلةٍ في معدتي ، لكنَّ السبب في تأخيري جيِّدٌ لدرجةٍ تجعلني لا أكترث كثيرًا . كنتُ متشوِّقةً حقًّا للعودة إلى البيت ، ولقاء أمِّي وأبي كي أحكي لهما عن يومي ، واتَّخذت في الوقت نفسه قرارًا بألَّا أخبر كاي وساري بشيءٍ عنه . لن أخبرهما على الأقل بالتفاصيل التي تخصُّ التعابير السحريَّة وهلام الحلزون .

7

«حقيقاتوم من الكذباتوم»

تصرَّفتُ أنا ولارش في المدرسة كأنَّ أحدنا لا يعرف الآخر . أقضي الوقت مع كاي وساري والتلميذ الذي تبنَّاه كلٌّ منهما ، بينما يقضي لارش الوقت مع بقيَّةِ شبَّان الصفِّ . أو لنقل ؛ إنَّه يقضي الوقت بالقرب منهم . ليس من السهل معرفة كم يختلط بالآخرين حقًّا . يبدو عن بعدٍ وكأنَّه يسير وحده ، ويتابع عن قربٍ ما يقومون به ، إنْ كان لعب كرة القدم أم كرة السلة . يقف عندها على الخطِّ الجانبيِّ للملعب ، يحدِّث نفسه أو يلوِّح بعصاه السحريَّة ، أحيانًا يقترب منه أحد الشبَّان ، ويصافحه سريعًا ، رافعًا كفَّه في الهواء ، أو يحيي لارش اللاعبين بصوتٍ عالٍ .

مرَّة في الأسبوع تقريبًا أرافق لارش إلى بيته بعد المدرسة . نجد بانت هناك أحيانًا ، وأحيانًا أخرى يأتي ويهرع إلى المطبخ الأزرق بعد

وصولنا تمامًا . لقد جعلنا لنفسنا طقسًا من نوع ما ، حيث نعمل أوَّلًا ونكدُّ مع التعابير السحريَّة قبل أن نتلقَّى مكافأتنا على شكل قهوةٍ مع الحليب وهلام الحلزون ، أو نوعٍ آخرَ من الأطعمة التي تحتويها الشطائر ، مثل معجون الأرانب (النوتيلا) أو عجينة الملفوف والجزر (أي جبنة مصنوعة من حليب الماعز) .

يقرأ بانت لنا أحيانًا أحد كتب هاري بوتر بصوتٍ عالٍ ، ونستطيع أحيانًا مشاهدة أجزاء من بعض الأفلام إن كنَّا قد قمنا بواجباتنا المدرسية على أكمل وجه (الواجبات المدرسيَّة الحقيقيَّة ، وليس تلك التي تتعلَّق بفنون السحر) . أراني لارش صندوقه الذي يحتوي على الملابس التنكُّريَّة . لديه هناك معطفٌ ، ونظاراتٌ لها عدساتٌ مستديرةٌ وشعرٌ مستعارٌ ، قصيرٌ ، أسودُ اللون ، لكنَّه أقسم بأنَّه يحتفظ بها للمناسبات الخاصَّة جدًا ، مثل العروض الافتتاحيَّة الأولى للأفلام أو الحفلات التنكريَّة ، وليس للأيَّام العاديَّة . وافقته الرأي على أنَّه من الأفضل أن يستخدمها في المناسبات الخاصَّة ، وألَّا يستخدمها في المدرسة إطلاقًا .

تأخَّرتُ في أحد الأيَّام في بيت لارش وبانت ما اضطرني إلى الاتصال بالبيت كي أخبر أهلي بأنَّني سأبقى هناك لتناول وجبة العشاء . ساعدنا يومها بانت في تحضير الطعام . حضَّرنا طبق سباغيتي مع الكريمة والكوسى . قمت أنا ولارش بمدِّ عجينة الباستا الرقيقة على ماكينة بانت .

لدى بانت ماكينة باستا حقيقيَّةٌ ، أمرٌ لم يسبق لي رؤيته من قبل ، بالتأكيد لأنَّها تثير قدرًا من الفوضى ، ما يجعلها أمرًا غير مرحَّبٍ به في بيتنا .

إنَّها ماكينةٌ صغيرةٌ ، أو هي في الحقيقة ليست ماكينةً ، بل آلةً يدويَّةً ولا تحتاج إلى الكهرباء . غير أنَّها تجعل العمل بسيطًا فلا يحتاج المرء إلى رقِّ العجين كما في السابق . يدخل المرء عجينة الباستا (التي حضَّرها بانت ليلة أمس) ، عبر فتحةٍ صغيرةٍ ، ثمَّ يدوِّرُ مقبضًا صغيرًا يدفع العجينة عبر الماكينة فتصبح رقيقةً للغاية . لكنَّه عملٌ صعبٌ لأنَّ خيوط الباستا تطول وتطول وعلى المرء أن يتوخَّى الحذر حتى لا تنتهي الخيطان على الأرض أو تلتصق ببعضها . أتى عندها بانت بيدٍ مكنسةٍ طويلةٍ ووضع طرفها الأوَّل على الحوض والطرف الثاني على الطاولة كي نعلِّق عليها خيوط الباستا . لارش أكثر براعةً منِّي في هذا العمل ، لذلك ساعدني كثيرًا وبعد برهة صرت أجيده أنا أيضًا .

الأمر يروق جدًا لكلٍّ من أبي وأمِّي . أمِّي فضوليَّةٌ للغاية وتسألني غالبًا عمَّا تمنحني إيَّاه زياراتي لبيت لارش . أفهم ما تقصد ، لكنِّي أرى أنَّ السؤال سخيفٌ على الرغم من ذلك . لا أفهم ما الذي يفترض أن تمنحني إيَّاه تلك الزيارات؟ أظنُّ أنَّها ما زالت تفكِّر بحديثنا يوم علمت بحكاية لارش للمرَّة الأولى ، وعمَّا قالته من أنَّ الشخص يكبر مع التحديات ، ويصبح إنسانًا أفضل . لكنِّي في الحقيقة لا أرى الوقت الذي أقضيه مع لارش على أنَّه تحدٍ . بل في الحقيقة عكس ذلك تمامًا .

أبي أكثر فضولًا بما نفعله في بيت لارش؛ ماذا نرسم، وما هي العبارات السحريَّة التي نؤلفها، وإن كان لها مفعولٌ ما أم لا. وهو مهتمٌّ جدًا بأنواع الطعام التي يحضِّرها بانت، والطرق التي يتَّبعها في تحضيرها.

«هل لديه ماكينة سباغيتي حقًا؟» يسألني.

وأضطرُّ عندها إلى التصحيح وأقول إن اسمها «ماكينة باستا».

«هل يقدِّم لكم قهوة حقيقيَّة؟ ولماذا تسمون المُربَّى هلام الحلزون؟»

ويتابع طرح أسئلة من هذا الطراز إلى ما لانهاية، لكنِّي أختار أن أحتفظ ببعض الأمور لنفسي ولا أجيب عندما يسأل عن القهوة مثلًا.

لقد تعوَّدت على الحياة المزدوجة مع لارش. في المدرسة نحن مجرد معارف، لكن في بيت بانت نحن سحرة وشاربو قهوة. ليس هناك خلط بين العالَمين.

اليوم هو الأربعاء ولدينا حصَّةُ رياضة. تلاميذ الصفِّ منتشرون في جميع أنحاء قاعة الرياضة، بعضهم يرمي الكرة ذهابًا وإيابًا فيما بينهم، وبعضهم الآخر متعلِّقٌ بالقضبان الثابتة على الحائط، أو يربط حذاءه. جلستُ مع ساري وكاي نلعب لعبة الورق التي وجدها كاي في الغرفة التي يغير فيها الشبَّان ملابسهم.

أخيرًا أتى معلِّم الرياضة، ستين فيدار. إنَّه رجلٌ طويلُ القامة يعرف بشكلٍ عامٍّ كلَّ شيءٍ عن غالبيَّة الأمور، حسب رأيه هو على الأقل. يكاد رأسه يكون خاليًا من الشعر تمامًا، والخصل القليلة الباقية

يمشِّطها نحو الخلف ويثبِّتها في مكانها بالجل . له ذراعان نحيلتان طويلتان وهذا حال ساقَيهِ أيضًا ، وكرشٌ صغيرٌ مستديرٌ يتهادى إلى أعلى وإلى أسفل كلَّما تحرك . يحبُّ البدلات الرياضيَّة ، ولا بدَّ من أنَّه يمتلك منها ألفًا على الأقل . اختار لهذا اليوم أن يرتدي واحدة خضراء بلون الليمون وتزيِّنها خطوطٌ ليلكيَّةٌ .

ستين فيدار يحبُّ أن يكون محطَّ الأنظار أيضًا ، وقد ألِفنا مع مرور الوقت عادته التي تستنفد الدقائق العشرين الأولى من الحصَّة كي يعرض لنا كيفيَّة القيام بالحركات الرياضيَّة . يستغرق عندها الكثير من الوقت كي يتمطَّى وينحني ويقفز في طول القاعة وعرضها ، ويحدِّثنا في الوقت نفسه عن رحلاته السِّياحيَّة المختلفة ، أو عن أحبِّ ذكريات طفولته إليه التي كانت منذ زمن بعيد لدرجة أنَّ الناس وقتها كانوا يغسلون ثيابهم في طستٍ في القبو بعدما يغلون الماء بأنفسهم .

جلسنا في حلقةٍ حوله . ما زال ستين فيدار واقفًا يحدِّثنا عمَّا سنفعله خلال هذه الحصَّة . يجب أن نبدأ باللعب بالكرة كي تسخن أجسامنا قبل أن نجهِّز محطَّاتٍ لدورةٍ من التمرينات . يقول إنَّ الأمر سيشكل تحديًا لنا .

«أتمنى أن تتمكنوا من اجتياز المحطات كلِّها ، لكنِّي أشكُّ في ذلك . علينا في كلِّ الأحوال أن نبدأ الآن وأذكِّركم بأمرٍ بديهيٍّ وهو أنَّ هذه قاعة رياضة ستين فيدار ، وهذا يعني أنَّها مكانٌ يمنع فيه منعًا باتًّا إدخال الهواتف الجوَّالة .»

يهزُّ الجميع رؤوسهم ويستمرُّ ستين فيدار بعرض الرمية المثلى للكرة . يحمل في يده كرةً وهميَّةً ، ويمدُّها نحو الخلف إلى أقصى حدٍّ قبل أن يدفع ذراعه نحو الأمام بحركةٍ مبالغٍ بها إلى درجةٍ مضحكةٍ ، تجعل الجسم كلَّه يتبعها ، بينما تبقى القدمان ثابتتين في مكانهما على الأرض .

«هكذا يجب أن تبدو الحركة!»

يحاول الجميعُ كبْتَ ضحكاتهم ، وهم يهزّون رؤوسهم .

«لقد تعلَّمتُ هذه الحركة في مدغشقر» ، يتابع ستين فيدار .

«كان ذلك في عام ١٩٧٢ وقضيت حينها ستة أسابيع في البلاد من دون أن أشعر أنَّها غيَّرتني حقًّا ، أو أنَّني تطوَّرت على نحوٍ ما . ثمَّ التقيت ببتينا . . ."

لقد سمعنا جميعًا القصَّة سابقًا ، ما لا يقلُّ عن سبع مرَّاتٍ . القصَّة التي تروى حكاية لقاء ستين فيدار وبتينا الحلوة من ألمانيا ، وكيف اضطر إلى كتابة رسالة إلى حبيبته حنَّة ، في أوسلو . كان عليه أن ينهي علاقته بحنَّة حتى يتسنى له أن يقبِّل بتينا من غير أن يؤنبه ضميره .

«لم أتمكن من انتظار جواب حنَّة ، بصراحة ، قبل أن أُقبِّل بتينا . كنت مجبرًا على ذلك . . .»

ثمَّ يقف ساكنًا ويحلم بعيدًا .

«وفي كلِّ الأحوال ، بتينا من غوتينغن هي من علَّمتني هذه الرمية ،

التي أعلِّمكم إيَّاها الآن . وقفنا على الشاطئ بعد ظهر أحد الأيَّام ، ورمى كلٌّ منَّا الكرة إلى الآخر ، هكذا ، وفكَّرتُ في تلك اللحظة أنَّني قد توصَّلتُ أخيرًا إلى ذلك التطوُّر الذاتيِّ الذي قطعت المسافة إلى مدغشقر من أجله .»

ثمَّ يرينا الحركة مرَّاتٍ عديدة أخرى ، فيبالغ في مدِّ ذراعه إلى الخلف قبل أن يرمي الكرة الوهميَّة رميةً عنيفةً .

«القدمان ثابتتان على الأرض!» ينهي حديثه بحزم .

ثمَّ نتمكن أخيرًا من البدء بالتمارين . يقسمنا ستين فيدار إلى فريقين بوضع يده المبلَّلة بالعرق فوق رؤوسنا ويقول مناوبةً «واحد» و«اثنان» .

فتبدأ اللعبة ونمتلئ بالحماسة . أكثرنا حماسةً هو ستين فيدار الذي يبقى واقفًا عند الخطِّ الجانبيِّ للملعب ، ويعرض علينا رميةً تلو الأخرى ، ويصيح بتعليمات وقواعد اللعبة .

لكنَّا لا نبدأ اللعبة حتى تمرَّ عشرون دقيقةً وهذا يدفعنا إلى الانتقال إلى النشاط التالي ؛ دورة التمارين . إنَّها اللعبة المفضلة لستين فيدار شخصيًا فيقضي دقائق مديدةً إضافيَّة في شرح تقنيات مختلفة للقيام بأفضل قفزةٍ فوق عارضة ، أو أفضل طريقةٍ للمرور من تحت عائقٍ منخفضٍ .

«استخدموا الحوض حين تتحركون!» يقول لنا .

ساعدناه على ترتيب المحطَّات المختلفة في الدائرة . جررنا العارضات

الخشبيَّة فوق أرض القاعة ، وعلَّقنا الحبال وسط الغرفة ، ومددنا السجَّادة السميكة . وضع ستين فيدار أربع راياتٍ صغيرةٍ مستعملةٍ كثيرًا جدًا ، وحضَّنا على أن نبدع في استخدامها . المحطَّات الأخرى أكثر تقليديَّة وتتضمن القفز فوق العارضة وتمارين المعدة وتمارين التوازن .

قسَّمَنَا إلى مجموعات مرَّةً أخرى ، كلُّ مجموعةٍ من ثلاثة أشخاص هذه المرَّة ، ووجدت نفسي في مجموعة مع أنَّا وكرستينا . ليست المجموعة التي حلمتُ بها بالضبط ، لكنِّي قرَّرت ألَّا أكترث لأمرهما ، وأن أتمرَّن فحسب . ولن أعرِّض نفسي إلى معاناة القلق من الهواتف الجوَّالة التي أعلم بأنَّهما ستظهرانها قريبًا .

المجموعة التي تسبقنا مؤلَّفة من ساري وآدم ولارش ، وبعدنا تأتي مجموعة كاي مع تلميذين آخرين من الصفِّ . بدأتْ مجموعتنا بالقفز فوق العارضة والمجموعة التي سبقتنا بدأت بمحطَّة الحبال . أمامنا لحسن الحظِّ محطتان ، قبل أن نضطر لأن نكون مبدعين بالتعامل مع الرايات الصغيرة ؛ التمرين الذي لن أنتهي منه مكلَّلةً بالنجاح .

بدأنا وسار الأمر على ما يرام في الحقيقة . الرياضة هي إحدى المواد المفضَّلة لدي ، وواحدة من المواد التي أحصل فيها على أفضل النتائج ، بلا امتيازٍ زائدٍ عن المطلوب . نحن جميعًا جيِّدون في مادة الرياضة وستين فيدار يقول عادةً إنَّنا أفضل الصفوف التي يدرِّسها . عندما يقول ذلك لا ينسى بالطبع أن يمدح نفسه أيضًا ، فلولاه لما استطعنا أن نرفع

مسمارًا عن الأرض بكلتا اليدين ، حسب رأيه .

لقد اجتزت أنا وأنّا وكرستينا تمارين الحبال وتمارين المعدة ، وصرنا على وشك البدء بتمارين التوازن . علينا أن نمرَّ فوق بعض المقاعد المنخفضة المقلوبة رأسًا على عقب . وضعَ اثنان من المقاعد بمحاذاة بعضهما في خط مستقيم ليصل طولهما الإجمالي إلى خمسة أمتارٍ . المحطَّة المقبلة هي محطَّة الرايات الصغيرة والمجموعة التي وصلت قبلنا هناك هي مجموعة ساري وآدم ولارش ، قد بدأت بتمارينها الإبداعيَّة مع الرايات . صعبةٌ جدًا هي مقاومة الرغبة بالوقوف ، ومشاهدة العرض المضحك . أخذت ساري على وجه الخصوص التمرين على محمل الجدِّ ، وبدأت تحيك دوائر واسعة في حركاتها الإبداعيَّة بالرايات . تخلَّت كلٌّ من أنّا وكرستينا عن تمرين التوازن ووقفتا خلفي ، وقد انثنت كلٌّ منهما على نفسها من شدَّة الضحك . مرَّت ثوانٍ عديدة قبل أن أدرك السبب الذي جعلهما تضحكان ، ثمَّ رأيت لارش يأخذ المهمَّة على محملٍ كبيرٍ من الجد .

يحمل رايةً بيده ويعدو ذهابًا وإيابًا على أرض القاعة . راح يحرِّك ذراعيه راسمًا في الهواء دوائر ضخمة ، يشرئبُّ عنقه نحو الأعلى ثمَّ ينثني نحو الأسفل بحركاتٍ ميكانيكيَّة . توقَّف فجأة ، ثمَّ قفز قفزةً صغيرةً ، ثمَّ لوَّح بالراية بطريقةٍ أقرب إلى الهيجان قبل أن يستدير ويعدو في الاتجاه الآخر . عيناه نصف مغمضتين ، ووجهه متقلِّصٌ في تكشيرة حادَّة . كأنَّه فقد وعيه بالعالم المحيط به ليدخل في حالة

افتتان .

في تلك الأثناء ، مع قيامه بتلك الحركات العجيبة ، صاح بعباراتٍ سحريَّةٍ ؛ عباراتٍ سحريَّةٍ حفظتها أنا أيضًا عن ظهر قلب ، وعباراتٍ سحريَّةٍ ألَّفتها أنا . توقَّف الكثيرون عن متابعة التمرينات ، ولم يبقَ سوى ستين فيدار واقفًا يتحدَّث إلى الهواء بالقرب من العارضة .

لم تعد أنَّا وكرستينا قادرتين على التحكم بتصرفاتهما ، وعلى الرغم من نوبات الضحك نجحتا في إخراج هاتفيهما الجوَّالين من مخبأهما . رأيت يد كرستينا ترتفع بالهاتف الجوَّال وتصوِّبه نحو لارش . وكما يحدث لي غالبًا ، أصبت هذه المرة أيضًا بما يشبه الشلل ، وشعرت أن لا قدرة لي على معالجة الأمر . أعلم ، أو لدي إحساسٌ قويٌّ ، بما تفعله كرستينا . إنَّها تصوِّر لارش ، وأعلم أنَّها لا تصوِّره لتظهر كم هو واثق من نفسه وكم هو مبدع ، بل إنَّها تنوي عكس ذلك تمامًا .

لكنِّي عاجزةٌ عن منعها من فعل ذلك . لقد تجمَّدتُ في مكاني وفشلتُ في إنقاذ لارش ، الذي استمرَّ يعدو وكأنَّه الأرنب في إعلان بطاريَّات دوراسل ، ذهابًا وإيابًا ، مناديًا بعبارةٍ سحريَّةٍ على طراز اللغة اللاتينية :

«حقيقاتوم من الكذباتوم!»

حقيقاتوم من الكذباتوم ، إنَّها آخر العبارات السحريَّة التي ألَّفناها معًا . إنَّها العبارة التي حين تصبح محكمةً تمامًا ، ستنجح في تحويل الكذب إلى حقيقة . إنَّها عبارتنا السحريَّة الأفضل حتى الآن .

وقفتُ متجمِّدةً كالعصا ، ورحتُ أهمس لذاتي : «حقيقاتوم من الكذباتوم» ، بلا جدوى على الإطلاق .

لارش مسحورٌ تمامًا وازدادت رقصته حدَّةً . لقد توقَّف الجميع عن متابعة التمارين ، بما في ذلك ستين فيدار الذي ظلَّ واقفًا كالتائه في الزاوية القصوى من القاعة . نظرت إلى ساري وآدم وقد أسند كلٌّ منهما جسده إلى اللوحة التي ثُبِّتت فيها قضبان التمارين ، بسبب مبالغة لارش في الإبداع في رقصته مع الرايات .

بدا القلق واضحًا على كلٍّ منهما ، وعندما نظرت إليها ثانيةً رأيتُ نظرة ساري الزرقاء بلون الجليد . نظرتْ إليَّ نظرةً قاسيةً تقول بوضوح : «أليس من واجبكِ أن تتصرفي الآن؟»

بلى ، علَيَّ أن أتصرَّف ، أن أفعل شيئًا . لكن ماذا أفعل؟ ظللت واقفةً كالمشلولة وصاح لارش بعبارةٍ سحريَّةٍ جديدةٍ :

«آذانوس أرانبوس!»

آذانوس أرانبوس ، العبارة السحريَّة التي يفترض أن تجعل آذان الأرانب تنمو في رؤوس الغرباء . إنَّها واحدة من أحبِّ العبارات السحريَّة إلى قلب لارش والتي كدنا نجعلها تتحقق في السابق .

لا بدَّ من تصرُّفٍ ما لمعالجة الموقف ومن سيتصرَّف هو أنا . رأيت أنَّ كرستينا ما زالت توجِّه هاتفها الجوَّال الأصفر تُجاه لارش . الهاتف يهتزُّ لأنَّها لا تستطيع أن تمسك به جيِّدًا بسبب الضحك . لست أنا من يضع القواعد الاجتماعيَّة ، لكن الحقيقة هي أنَّ تصرُّفات لارش

مخجلةً جدًا ، وأنَّ لارش فعل ذلك بنفسه . ويزداد موقفه حرجًا بسبب أنَّه لا يعي إطلاقًا الموقف الاجتماعيَّ المروِّع الذي هو فيه .

بدأ ستين فيدار السير فوق أرض القاعة ، لكن خطاه غير واثقة ويبدو أنَّه لا يعلم كيف يعالج الموقف . نظرتُ إلى ساري ورأيتُ آدم الذي بدا يائسًا مثلها وهو يقف إلى جانبها .

استجمعت كلَّ ما لديَّ من قوَّة الإرادة كي أتجاهل ضحك أنّا وكرستينا حين تركت مكاني ، وبدأت أسير نحوه . أعلم أنَّهما ما زالتا تصوِّران الحدث ، أعلم أنَّ هذا هو موتي الاجتماعيُّ ، لكنِّي لا أستطيع أن أترك لارش يواجه هذا الموقف وحده .

بخطًى مبالغٍ في طولها اقتربت منه ممسكة بعصًا سحريَّةٍ وهميَّةٍ بيدي اليمنى . دُرت حول نفسي دورةً صغيرةً وأنهيتها بعبارة :

«**توقفوس حالنتيوس**» ، ثمَّ أشرت بذراعي نحو لارش .

تجمَّد كلُّ من كان في القاعة في مكانه . لم ينبس أحد ببنت شفة . توقَّفت أنّا وكرستينا عن الضحك وتوقَّف ستين فيدار في مكانه . ظلَّ كلٌّ من آدم وساري واقفَين كأنَّهما تحجَّرا عند لوحة القضبان . أفاق لارش من غيبوبة السحر وحدَّق بي في حين ظلَّت يده مرتفعة في الهواء . ظهرت تجاعيد الهمِّ على جبهته قبل أن يقول مذعورًا :

«هذه العبارة السحريَّة ليس لها مفعول!»

بقيت واقفةً في مكاني ونظرت إليه .

«لكنَّك توقَّفت» ، قلتُ في محاولة لإقناعه ، فأرخى لارش ذراعيه وابتسم لي .

لست أدري إن كان علَيَّ أن أضحك أم أبكي . في مكان ما من حقل نظري أرى أنَّ كرستينا مازالت تمسك بهاتفها الجوَّال وتصوِّبه نحوي .

لكنِّي تنفَّست الصعداء . لقد نجحت . لقد حلْتُ من دون تفاقم الموقف ، ولقد أنقذت لارش . وعلى الرغم من أنَّه لن يدرك ذلك يومًا ، إلَّا أنَّني قمت لتوِّي بأكبر عمليَّة إنقاذٍ اجتماعيٍّ لهذه السنة .

أخيرًا وصل ستين فيدار إلينا .

«رائعٌ يا لارش!» قال بصوتٍ عالٍ ، لكنَّ نظرته تبدو مرتبكةً . «هذا ما أعنيه بالإبداع! ذكَّرتني بتلك المرَّة التي أردت فيها أن أرقص مع دراويش الصوفيَّة في تركيَّا!»

نظر لارش بصمتٍ إلى وجه ستين فيدار المفعم بالحماسة وابتسم ابتسامةً خفيفةً .

«نستطيع جميعًا أن نتعلَّم شيئًا منك يا لارش!»

أومأ لارش برأسه لكنَّه بدا وكأنَّه لا يكترث للمديح الذي سمعه .

بدلًا من الاهتمام بما قاله ستين فيدار ، نظر إلَيَّ وقابل نظرتي . شعرت بالفخر والقليل من الخوف . فخورة لأنَّني أنقذت الموقف ، لكنِّي خائفةٌ من عواقب ما فعلت . ليس هناك أدنى شك بأنَّ كرستينا صوَّرت الحدث برمَّته . أكثر من عشر ثوانٍ كوميديَّةٍ من الدرجة الأولى

عن دراما سحريَّة صحت فيها بتعابير لم يسمعها أحدٌ من قبل . السؤال الآن هو ما تنوي كرستينا فعله بالمادة التي صوَّرتها؟

هدأ تلاميذ الصفِّ رويدًا رويدًا ، لكن التشويق ما زال باديًا على محيا الجميع . سمعت ستين فيدار يبدأ إطلاق سباق العقبات بحكايةٍ ظريفة من الفترة التي عمل فيها كمرشدٍ سياحيٍّ في ماديرا ، بينما يعود التلاميذ شيئًا فشيئًا ويتابعون حصَّة الرياضة كالعادة تقريبًا .

شعرت فجأةً أنَّ أحدًا ما يحدِّق بي . رفعتُ نظري ، وشاهدتُ نظرة آدم الذي وقف على بعد أربعة أمتارٍ قليلة منِّي . لم يتبسم ، لكنَّه لا يبدو غاضبًا أيضًا . بل يبدو عليه الاستغراب والإعجاب .

قفز قلبي قفزةً ثلاثيَّةً .

حاولتُ أن أبتعد بنظري عنه ، لكنَّ الأمر غايةٌ في الصعوبة . لحسن الحظِّ ، أيقظني أحدٌ ما من السحر ، واكتشفتُ أنَّ لارش يقف إلى جانبي . نظر إليَّ بعينيه المستديرتين ، وقابلتُ نظرته بابتسامةٍ دافئةٍ . سمعتُ ضحك وصياح أنَّا وكرستينا خلفي ، لكنِّي لاحظتُ أنَّني لم أعد أكترث كثيرًا . رأيتُ أنَّ ساري في طريقها إلينا وبدأتُ أهدأ .

سمعتُ فجأةً «مرحبًا» واستغرق الأمر لحظةً قبل أن أدرك أنَّ من قالها هو آدم وليس ساري . لقد وصل إلينا أنَّا ولارش بصمتٍ تامٍّ قبل ساري ، التي توقَّفت قبل الوصول إلينا .

لم يردَّ لارش التحية ، ولم أردَّها أنا أيضًا ، بل رحنا ننظر إليه فقط .

«لم أعلم أنَّكِ تجيدين فنون السحر» ، قال آدم .

هو يعنيني أنا بلا أدنى شكٍّ ، لذلك شعرت أنَّ الاحمرار انتشر في وجهي كانتشار الفلفل في الأطباق المكسيكيَّة .

«أجل ، أجل» ، تمتمتُ بصوتٍ منخفضٍ ، كأنَّ في ذلك الاعتراف خلاصي .

حاول لارش أن يكبتَ ضحكةً .

«هل نكمل تمارينا؟»

آدم لا يتحدَّث إلَيَّ الآن ، بل إلى لارش .

أومأَ لارش برأسه ، لكن عندما استدار آدم للقيام بالتمرين التالي ، لم يتبعه . توقَّف آدم بعد خطوتين واستدار نحو لارش ثانيةً :

«ألن تأتي؟»

أومأَ لارش برأسه ثانيةً ، لكنَّه ظلَّ واقفًا مكانه وقال :

«أماندا أيضًا؟»

مرَّت لحظاتٌ قبل أن أدرك ما يدور حولي . يريد لارش أن أنضمَّ إلى مجموعته . أي المجموعة نفسها التي تضمُّ آدم . أومأتُ برأسي نافيةً ، لكن آدم هو من قال بطريقةٍ جافةٍ : «إنَّها تنتمي إلى مجموعة أخرى .»

نظر لارش إلَيَّ كأنَّه يريد أن أؤكِّد له ذلك ، فأومأتُ برأسي وأكَّدت . ثمّ سار خلف آدم ونجحتُ أخيرًا في أن أتحرَّك وأتحرَّر من الوضع الذي وقفت عليه منذ أن قمت بالعرض المذهل لقدراتي السحريَّة .

قلبي ينبض بعنفٍ ، وشعرت أنَّه على وشك أن يقفز خارج صدري . لم يكن آدم على هذه المسافة القريبة منِّي منذ واقعة الرسالة

وأشعر أنَّ ذلك يُحدِثُ شيئًا ما داخلي ، على الرغم من كوني متأكِّدةً من أنَّني انتهيت من حكاية حبِّي له . أسوأ ما في الأمر هو الإحساس الجيِّد الذي ينتابني حين يقترب منِّي وقلبي الذي يقفز فرحًا ، لكنِّي أظن أنَّ ذلك سيِّئ .

استدرتُ ومشيتُ خطواتٍ قليلةً في طريق عودتي إلى كرستينا وأنَّا ، اللتين لم تنجحا في إخفاء ضحكهما . سمعت كرستينا تقول :

«يجب نشر هذا الموضوع في الحال على الصفحة!» ورحت أفكِّر ، لماذا تريد أنَّا أن تنشر صورًا لي في مدوَّنتها ، لكنِّي لم أجد ما يكفي من الوقت لمزيدٍ من التفكير . ركَّزت بدل ذلك على الاستمرار في الحصَّة بطريقةٍ طبيعيَّةٍ جدًا ، وكنت على وشك أن ألتقط رايةً وقعت على الأرض حين تجمَّدت في مكاني .

«ممنوعٌ منعًا باتًا إدخالُ الهواتف الجوَّالة إلى القاعة!» قال لارش بحزمٍ وهو يقف في مكانٍ ما خلفي .

«عفوًا؟» قالت أنَّا بصوت ملؤه الغيظ ، ونظرت إلى لارش نظرةً باردةً .

نظر لارش نحو الأرض من دون أن يكرِّر ما قال .

«ما الَّذي قلته حقًا؟» سألت كرستينا بصوتٍ سيطرت على نبراته تمامًا . «لم أفهم ما قلت .»

«ممنوعٌ منعًا باتًا إدخال الهواتف الجوالة إلى القاعة» ، كرَّر لارش هامسًا .

جعل ذلك أنَّا تنحني إلى الأمام تحت وطأة نوبةٍ من الضحك . نقلت الكاميرا التي كانت مصوبةً إليها ، وصوَّبتها نحو لارش .

«ماذا؟ في الحقيقة لا أفهم ما تقول» ، تابعت كرستينا ببطءٍ بينما استمرَّت أنَّا بالضحك .

«قل . . .ذلك . . .مرَّةً أخرى!» اجتهدت أنَّا لتقول وهي تصوِّب الهاتف الجوال نحو لارش .

وقف لارش ووجهه يكاد يصل صدره ، والضيق بادٍ عليه بكلِّ وضوح . المشكلة هي أنَّني أشعر بالضيق نفسه أنا أيضًا .

ما المشكلة في أن أقول لهما أن يكفَّا عن ذلك؟ لماذا لا أقفز قفزة نينجا ، وأركل كرستينا فوق ضلوعها وأحرق هاتفها في فرن المايكرويف؟ أشعر أنَّني منهكةٌ تمامًا . كم مرَّة يجب علَيَّ أن أنقذ لارش؟ لو اضطررت إلى مسح اللعاب عن فمه لكان الأمر أسهل مما هو عليه الآن .

«لا يهمُّ» ، قالت كرستينا وخفضت الهاتف في الحال . لقد اكتشف ستين فيدار أمرهما وبدأ يسير نحوهما . أشار إليهما بإصبع الشاهد في يده اليمنى علامة على سخطه .

«ممنوعٌ منعًا باتًّا إدخال الهواتف الجوالة كرستينا! هل يعقل أن أضطرَّ لقول ذلك ثانيةً!؟ كم هاتفًا جوالًا لديك حقًّا؟ لقد سئمت .»

أتى ستين فيدار إلينا ، مدَّ يده نحو كرستينا كي تعطيه الهاتف .

«تستطيعين استعادته بعد الحصَّة الأخيرة» ، قال لها وفعلت

كرستينا ما قال .

استدار كي يتابع الحصَّة ، ورسمت كرستينا تكشيرةً على وجهها المفروض أن تشبه ستين فيدار ، حين التفتت إلى أنَّا . أخرجت أنَّا هاتفها من الجيب واستمرت كلٌّ منهما بكبت ضحكتها ، التي هي في الغالب ضحك على الصور التي التقطتاها لي توًا .

وقفت أنا ولارش وحدنا في وسط قاعة الرياضة .

«لا تكترث لأمرهما» ، قلتُ والتفتُ إليه .

«إنَّهما يسجِّلان فيديو .»

«أعلم ذلك» ، أجبتُهُ ، «لكن لا تفكِّر في الأمر . إنَّهما تصوِّران الجميع .»

«ومن يكترث لأمرهما؟» قال لارش متظاهرًا ببرودة الأعصاب .

أنا أكترث ، فكَّرت . لكنِّي لم أقل ذلك .

لقد أتى دوري كي أبدع في استخدام الرايات ، ولكن لحسن الحظِّ ، نفخ ستين فيدار في «البان فلوت» المعلَّقة في خيطٍ حول عنقه ، وأعلن عن انتهاء الحصَّة .

على الجميع أن يبقوا في القاعة لترتيبها ، لكنِّي لم أقوَ على البقاء بل ذهبت بخطًى سريعةٍ إلى غرفة البنات كي استحمَّ وأغير ملابسي قبل أن تأتي الأخريات . عندما هممن بالدخول كنتُ في طريقي إلى الخارج .

«أراكِ غدًا» ، قلت لساري عندما التقينا عند الباب .

رميتُ حقيبة الرياضة على كتفي وسرت ببطء إلى ساحة المدرسة ، حيث تجمَّعتِ الغيوم الماطرة فوق المدرسة على الرغم من أنَّ بقية السماء خالية من الغيوم . سرت بخطًى ثقيلةٍ نحو البيت وحدي ، بينما بدأ المطر يتساقط .

8

أيَّةُ مدوَّنةٍ؟

telegram @
yasmeenbook

خرجتُ باكرًا في الصباح التالي، ووصلتُ إلى زاويتنا الخاصة قبل ساري. لقد حلَّ الخريف كضيفٍ لم تتمَّ دعوته، فتتحوَّل الطبيعة حولي إلى مشهدٍ أكثر بللًا وعتمةً مع كلِّ يوم يمرُّ.

سقطت قطرة المطر الأولى في اللحظة التي رأيت فيها ساري تأتي صوبي بخطًى سريعةٍ صارمةٍ. قماش تنورتها الطويلة يرفرف خلفها، والمعطف الواسع الذي ترتديه يجعلها تبدو أكثر ضآلةً مع أنَّها ضئيلةٌ جدًا في الواقع. شعرها يرفرف على إيقاع رفرفة التنورة الزاهية الألوان، ولا شيء في محياها يذكِّر بفصل الخريف المعتم.

«ما فعلتِه في قاعة الرياضة البارحة عملٌ رائعٌ»، قالت وهي ما زالت على بعد أمتار منِّي. عندما وصلتْ إليَّ عانقتني عناقًا دافئًا دام أكثر من العناق الذي عوَّدتني عليه.

«حسنًا .»

ذلك كلُّ ما استطعت قوله ، لكن ساري تابعت :

«لم أفهم تمامًا ما الذي حصل ، لكنَّه كان أمرًا مشوِّقًا ورائعًا ، وأظنُّ أنَّكِ أنقذتِ لارش بأكثر من طريقة . ليس لأنَّ لديَّ مانعًا ممَّا فعله ، لكنِّي أظنُّ أنَّ الكثير من تلاميذ الصفِّ اعتبروا أنَّ ما قام به تصرُّفًا أحمق ، فيبدو الأمر وكأنَّ لارش يجلب الخزي لنفسه فيضحك الناس عليه لا معه .»

«أوافقك الرأي» ، قلتُ ولاحظت أنَّني ما زلتُ عاجزةً عن العثور على الكلمات .

بدأنا السيرَ إلى المدرسة . تمخرُ أحذيتنا المطاطية أوراقَ الشجر المبتلَّة على الأرض ، وتمشِّط ريحٌ باردةُ الأشجار من حولنا . لم يكن لديَّ علمٌ بما يمكنني قوله عمَّا حدث في يوم أمس ، وفي الحقيقة آمل ألَّا يحدثني أحد في الأمر ثانية . لكن ساري لم تنتهِ من الحديث عنه .

«لماذا يجب إنقاذ لارش؟» قالت وكأنَّها تحدِّث الهواء الطلق . «لماذا كان يجب منعه من متابعة رقصته العجيبة؟ لماذا شكَّل رقصه مشكلة بادئ ذي بدء؟»

لقد فاجأتني . لم أفكِّر مرَّتين في قاعة الرياضة فيما إذا كان لارش بحاجة إلى العون أم لا . الأمر واضح بالنسبة إلَيَّ . لقد جلب الخزي لنفسه ، وكلُّ ما رأيته حينها كان أزمةً اجتماعيَّةً ، وكلُّ ما فكَّرت فيه هو ألَّا يتعرَّض لارش إلى ذلك .

«لقد فعلت ما كان علَيَّ فعله لو كنتُ أنا في مكان لارش . أو كما أتمنَّى أن يفعل سواي من أجلي لو كنتُ في ذلك الموقف» ، أوضحتُ لها .

«أفهم ذلك . وأوافقكِ الرأي» ، قالت ساري . «أعني فقط أنَّني أتمنى لو أنَّ الأمر لم يكن كذلك . لو لم نكن نخشى أن نجلب الخزي لأنفسنا ، وألَّا نخشى القيام بتصرُّفاتٍ تختلف عن المعتاد .»

«أو ألَّا يصوِّر أحدٌ ما نقوم به حين نفعل ذلك!» أضفت وأنا أفكِّر أنَّ أكثر من في المدرسة خشيةً من القيام بتصرُّفاتٍ مختلفة هو أنا .

«ثمَّ ، هل سترتدين هذه حقًّا؟» سألتُ ساري وأنا أشير إلى تنورتها الطويلة .

سنخرجُ إلى الغابة اليوم لقطاف الفطر بصحبة الصفِّ ، وكلُّ التلاميذ الذين تبنَّياهم ، وثياب ساري مختلفة اليوم إذا نظرنا إلى النشاطات التي تنتظرنا . لقد ارتديتُ ثيابًا تحمي من المطر وفي حقيبة ظهري زوجًا إضافيًا من الجوارب الصوفيَّة .

«أجل!» زقزقتْ ساري راضية . «سيتوقَّف المطر قريبًا ، ثمَّ إنَّني أرتدي طماقًا صوفيًا تحتها .»

نظرتُ إلى السماء التي ما زالتْ معتمةً لكثرة الغيوم المحمَّلة بالمطر . لم أكن لأجازف بالقول إنَّ الطقس سيكونُ مشمسًا اليوم لكن لدى ساري موهبة غريبة فيما يتعلق بالتنبُّؤ بالطقس . عندما دخلنا ساحة المدرسة أطلَّ شعاع ضئيل من نور الشمس بحذر عبر صدْعٍ في سقف الغيم .

وجدنا ستين فيدار في الصفِّ منهمكًا في تحضير نفسه ، وتحضيرنا للقيام برحلة اليوم :

«سنقطف اليوم الفطر من الغابة ، وهي أشياءُ خطيرةٌ جدًا! لحسن حظِّكم سأوفِّر الحماية والخبرة لكم .»

وقفت يانِّه قربه تعدُّ السِّلال .

«بعضكم لم يقطف الفطر من قبل ربَّما؟» تابع ستين فيدار . «اطمئنوا ، أنا فعلت ذلك! لقد قطفت الفطر في كلٍّ من الأرجنتين وأرمينيا ، ولا تعتقدوا أنَّ الفطر في تلك البلاد المختلفة متشابه . لا ، إنَّه مختلف كاختلاف الأخطبوط عن ابن عرس! إذا نظرنا إلى الأمر من هذه الزاوية أبدو وكأنَّني لم أقطف الفطر في حياتي ، وهذا هو نوع المعرفة الذي أريد أن تحتفظوا به . . .»

قاطعت يانِّه ستين فيدار بعدما عدَّت السلال ، واستقامت في وقفتها :

«حسنًا ، لننطلق الآن!» قالت بمرح . «السلال تكفي لكلِّ زوجٍ من التلاميذ ، لكلِّ عرَّابٍ وتلميذه بالتَّبنِّي ، هيَّا ، خذوا سلالكم من هنا . تذكَّروا أن تعيدوها لي أو لستين فيدار في ما بعد!»

تعالى حفيفُ ملابس النايلون ضدَّ المطر ، وصريرُ الأحذية المطاطيَّة عندما قام الجميع من أماكنهم . عمَّت الفوضى عندما اقترب الجميع ليأخذوا سلالهم ، لكن بعد دقائقَ كنَّا جميعًا في طريقنا إلى ساحة المدرسة ، حيث ينتظرنا التلاميذ الصغار . اقترب لارش منِّي في

الصفِّ ، ويبدو أنَّه تعود على الاقتراب منِّي في المدرسة .

«نستطيع أن نجرِّب في الغابة» ، قال وفهمت أنَّه يتحدَّث عن تجربة العبارات السحريَّة . آخر ما أريد فعله هو أن أرفضَ طلبًا للارش ، لكن آخر ما أريده على الإطلاق هو عرض المزيد ، من العباراتِ السحريَّةِ وتجربتها أمام جمهورٍ سلبيٍّ مثل تلامذة صفِّي . ابتسمتُ له من دون أن أجيب بنعم أو لا .

في ساحة المدرسة استقبلنا التلامذة الذين تبنَّيناهم وأشعَّة الشمس . ساري على حقٍّ طبعًا فيما يتعلَّق بتحسُّن الطقس ، وقبل أن نصل إلى موقف الحافلة اضطررت إلى خلع سترتي . جلس لارش قربي طوال الرحلة في الحافلة إلى الغابة ، وبجوارنا جلس كلٌّ من ساري وكاي وتلميذيهما ؛ تيريه ومارتينوس . المناخُ في داخل الحافلة جيِّدٌ ، والكلُّ يتمازح بأصواتٍ عاليةٍ .

عندما وصلنا إلى الغابة كان مزاج الجميع أفضل من ذي قبل بفضل حرارة الشمس . ما زالت بعض الأوراق معلَّقة بالشجر ، لكن غالبيَّتها الساحقة مفروشة على الأرض تحت أقدامنا كأنَّها سجَّادةٌ مبلَّلةٌ . أسمع صوت حذائي الذي يخوض في الأرض مع كلِّ خطوةٍ أخطوها ، وأحبُّ ذلك المزيج المكوَّن من الأرض المبلَّلة ، والهواء الجاف .

الجميع سعيد لتواجده في مكانٍ آخرَ غير المدرسة ، والجميع يستمتع بالحريَّة والهواء الطلق . سرت أنا وكاي وساري مع تلاميذنا خلف البقيَّة . تظاهرنا بأنَّنا نبحث عن الفطر ، لكنَّا في الحقيقة كنَّا نمرح

ونتحدث عن أمورٍ أخرى .

اكتشفت أنَّ لارش وجد عودًا وراح يؤشِّر به ، شعرت ببعض الإجهاد لكنِّي لم أمنعه من فعل ذلك . لقد ابتعد عنَّا قليلًا ، ويبدو أن لا أحد يلحظ ما يفعله . انهمك كاي بالنظر إلى فطرٍ وجده مارتينوس ، وساري ساعدت تيريه بشدِّ أحزمة حقيبة الظهر .

لم أخبر ساري وكاي بالكثير عن فترات بعد الظهر التي أقضيها بصحبة لارش . عندما يسألونني أجيب بأنَّ كلّ شيءٍ على ما يرام أو أنَّنا نقضي أوقاتًا ممتعة ، وأنَّنا نرسم قليلًا ونتناول الطعام معًا . لكنِّي لم أقل شيئًا عن العبارات السحرية التي نؤلِّفها ونطوِّرها معًا . حسب علمهم كان العرض السحريُّ الذي قمت به البارحة حدثًا فريدًا من نوعه ، ولن يتكرَّر أبدًا .

يبدو أنَّ كلًا من كاي وساري راضٍ بالتلميذ الذي تبناه ، ويبدو أن مارتينوس وتيريه يحبَّان كاي وساري . لكن لا أحد منهم يلتقي خارج المدرسة . أحيانًا ترافق ساري تيريه إلى بيته وأعلم أنَّ كاي يبقى في المدرسة أحيانًا ليلعب كرة القدم مع مارتينوس ، ما عدا ذلك ، لا يلتقون إلَّا في المدرسة ، أثناء فترات الاستراحة أو عند النشاطات المشتركة . لا يرافق أيٌّ منهما تلميذه إلى البيت كي يلعبا سويًا .

فكرة أن يُكشف سرِّي هذا تجعلني أصاب بالقشعريرة .

«هل أنت بخير؟» سألتْ ساري عندما لاحظتْ أنَّني شاردة الذهن .

«ماذا؟ أجل» ، أسرعتُ وأجبتُ ثمَّ انحنيتُ متظاهرةً بأنَّني أقطفُ الفطر .

«ليس لها مفعولٌ» ، سمعت لارش يقول فجأة ، بعدما عاد من عالم السحر ، واقترب من ساري ومنِّي .

«ليس لها مفعولٌ؟» سألتُ ، ولاحظتُ أنَّ ساري أصابها الفضول .

«الناس عاجزون عن ممارسة السحر» ، أكَّد لارش .

«أجل» ، أجبتُه ، لكن ساري اعترضتْ مهلِّلَةً :

«بلى!»

نظر لارش إليها مرتابًا وانتظر توضيحًا ما ، لكن ساري لزمتِ الصمت . لقد أدركتْ أنَّها دخلتْ في مناقشة موضوعٍ لا تعرف عنه الكثير . لحسن الحظِّ أنقذها تيريه الذي ناداها من بعيد .

استدارتْ من دون أن تقول شيئًا ، وبقيتُ أنا ولارش واقفين في مكاننا . ضحكتُ على جهل ساري بالموضوع وضحك لارش أيضًا . انتابنا شعورٌ بأنَّنا كنَّا في مطبخ بانت ثانيةً ، وحدنا ، وبعدما تأكَّدت من أنَّ جميع تلامذة الصف ، والتلاميذ الصغار على مسافة بعيدة ، انحنيتُ والتقطتُ عودًا من على الأرض . أشرت بالعود إلى الأمام ، وقلت بصوتٍ شبهِ عالٍ :

«توقفوس حالنتيوس .»

انحنى لارش إلى الأمام من شدَّة الضحك ، لكنَّه استقام بسرعة ثمَّ قال :

«ليس لها مفعولٌ!»

هذا ما قاله يوم أمس في قاعة الرياضة أيضًا . يجب على العبارة السحريَّة أن تجعل ساقَي العدو تتسمَّران في مكانهما وكأنَّهما تجمدتا في الأرض ، من دون أن تتأثر بقيَّة أعضاء الجسم . صحيحٌ أنَّها ليست محكمةً حتى الآن ، وأنَّنا حين جرَّبناها ببانت آخرَ مرَّةٍ ، نجح بالقيام بثلاث خطوات إلى الوراء .

لارش حريص جدًا على العبارات السحريَّة وفي الحالات العادية لا يريد استعمالها خارج حدود المطبخ ، إن لم تكن عبارات فعَّالة كما يجب ، لذلك علَيَّ أن أدعها وشأنها .

لكنَّ الدور دور لارش الآن ، وقد نجح في إلقاء عبارة «حقيقاتوم من الكذباتوم» ، محكمةً إلى درجةٍ جعلتني أعترف بالحقيقة ، وأقول إنَّني أكلت الكافيار على وجبة الإفطار اليوم . وهكذا شققنا طريقنا بالمزاح عبر الغابة ، في الوقت الذي عملتُ فيه جهدي كي نتأخَّر عن الآخرين أكثر فأكثر ، حتى لا يكتشف أحد لعبتنا الخاصَّة . رأيت ساري تلتفت نحونا مرارًا ، لكنَّها لم تتوقَّف ، وبمعجزةٍ ما نجحنا بتحاشي أنّا وكرستينا .

سرنا في الغابة مدَّة ساعةٍ ، كنَّا نتوقَّف فيها بين الفينة والأخرى كي نبحث عن فطر الشانتريل في فسحاتٍ صغيرةٍ بين الأشجار أو تحت أشجارٍ ضخمة .

ثمَّ سارتْ يانِّه قبلنا إلى مكانٍ خالٍ من الأشجار وسط الغابة فيه

ثلاثة مواقد كبيرة للشواء .

«اجمعوا الحطب الذي تجدونه أكثر جفافًا! وسوف أفحصه قبل أن تضعوه في النار» ، نادى ستين فيدار . لكن أوّل ما فعله هو الجلوس على جذع شجرةٍ مقطوعةٍ ليتفرَّغَ لإبريق القهوة الذي أحضره معه .

في كلِّ الأحوال سارت الأمور بسرعة . بدأنا جميعًا في جمع الحطب لنضرمَ النار كي نشوي السجق ونأكل الأطعمة اللذيذة التي أحضرناها معنا . قرَّرت أنا ولارش الانضمام إلى كاي وساري وتيريه ومارتينوس . جلسنا على جذعِ شجرةٍ طويلٍ ممدَّدٍ بمحاذاة أحد مواقد الشواء . وعند ذلك الموقد جلستْ أنّا وكرستينا أيضًا مع تلميذيهما ، لكن المكان واسع للغاية ولذلك لا يضايقني وجودهما .

«استمعوا جميعًا!» نادت يانِّه التي وقفت بين المواقد الثلاثة . «لقد أحضر لنا لارش من فائض كرمه ولطفه عجين الشواء على العيدان! عجينٌ قد عجنه بنفسه!»

فتحت يانِّه علبةً بلاستيكيَّةً كبيرةً بحذرٍ لكيلا يقع محتواها على الأرض . سارت بعد ذلك توزِّع العجين لكلِّ من أمسك بعود من عيدان الغابة . يجلس لارش قربي ويبتسم فخورًا ، ورأيتُ في خيالي بانت ولارش وهما يحضِّران العجين في المطبخ الذي تعمُّه الفوضى .

قُطِعَ حبل أفكاري حين سمعتُ صوتًا يهمس :

«هل سنأكل هذا العجين حقًا؟»

لم أصبْ بالدهشة حين نظرتُ ، ورأيتُ أنَّ من قالت ذلك هي

كرستينا . التلميذ الذي تبنَّته حصل لتوِّه على العجين من يانِّه وبدأ يلفُّه كالحبل على العود استعدادًا لشيِّه لكن عندما اعترضت كرستينا بتلك الطريقة ، توقَّف التلميذ ، وترك العجين يسقط على الأرض . لم يرَ لارش ذلك ولم يسمع ، وكذلك يانِّه أيضًا ، لكنَّها استمرَّت بتوزيع العجين . أخذت غالبيَّةُ التلاميذ العجين شاكرين ، وبدؤوا يلفُّونه حول العيدان الرفيعة . سمعتُ فجأةً صوتًا آخرَ أقل فرحًا من البقية .

«لا شكرًا!»

استدرتُ هذه المرَّة كليًا لأرى صاحب الصوت فإذا به آدم ، الذي يجلس بقرب واحدة من المواقد الأخرى . قالت يانِّه : «حسنًا ، أنت صاحب القرار» ، ثمَّ تابعت سيرها . حدَّقت به وبأصدقائه الذين يجلسون إلى جانبه ويحاولون كبْتَ ضحكاتهم .

نظرتُ إلى لارش ، ورأيتُ شيئًا من الحزن باديًا عليه .

«هل أنت بخير؟» سألتُه وأخذتُ العجين من يد يانِّه .

«أجل» ، أجاب بشجاعة ، وبدأ يلفُّ العجين الذي في يده على عود هو الآخر .

«ما رأيك بصورة سيلفي؟» سألتُ كي ألطِّفَ الجوَّ قليلًا .

نظر إليَّ بقلقٍ .

«إحضار الهاتف الجوَّال إلى الغابة ليس محظورًا» ، أكَّدت له .

ابتسم لارش ابتسامة مخادعٍ ، وأومأ لي برأسه موافقًا . أخرجت هاتفي الجوَّال من الجيب ، وشغَّلت الكاميرا . التقطنا بعض صور

السيلفي السخيفة وضحكنا كثيرًا . مدَّت ساري التي تجلس إلى جابني رأسها لتظهر في بعض الصور وطلب تيريه أن نصوِّره وهو يشوي خبز العيدان .

كشر لارش تكشيراتٍ فظيعةٍ . حول عينيه ، وجعل وجهه يلتوي بطرقٍ غريبةٍ جدًا ، وحتى إنَّ الأمر كان مضحكًا بشكلٍ هستيريٍّ إلَّا أنَّني لم أجرؤ على أن أحذو حذوه .

سمعت فجأةً صرخةً عاليةً :

«اللعنة ، لا تنشريها!»

التفتُّ بسرعةٍ ورأيت كاي . وقف ينظر إلى أنَّا وهي جالسة في مكانها فوق جذع الشجرة . سال شراب الشوكولاتة الساخن من ذقنه إلى سترته على شكل جداول صغيرة .

«لقد فات الأوان قليلًا . لقد نشرتها» ، قالت أنَّا بنبرةٍ هادئةٍ مستفزَّةٍ .

«اللعنة!» قال كاي ومدَّ يده ليمسك بهاتف أنَّا . لكنَّها أسرعت وأخفت الهاتف خلف ظهرها .

أعرف كاي جيِّدًا وأعرف طبعه . بدا فجأةً وكأنَّه على وشك الانخراط في اعتداءٍ جسديٍّ . كتفاه يهتزَّان حنقًا ، ولونٌ ليلكيٌّ مائلٌ إلى الحمرة يتسرَّب من عنقِهِ إلى وجهه ، لكنَّه نجح في السيطرة على غضبه . استجمع ما لديه من قوى وسأل أنَّا بهدوءٍ :

«أين نشرتها؟»

اختفى شيء من غطرسة أنَّا ، يبدو أن سؤال كاي فاجأها .

«ماذا تعني بسؤالك عن أين نشرتها؟» حاولتْ أن تجيب .

حاولت أنَّا الاحتفاظ بهدوئها ، لكنِّي أرى اضطرابها بوضوح . رمقتْ كاي بنظرةٍ جريئةٍ قبل أن تجيب :

«نشرتُها في المدوَّنة طبعًا .»

«نعم ، ولكن في أيَّةِ مدوَّنة؟» استمرَّ كاي في السؤال واثقًا من نفسه .

يبدو وكأنَّ أنَّا أُصيبت بالهلع . لم أفقه من الأمر شيئًا . ما الذي يجعل أنَّا تنشر صورة لكاي في مدوَّنتها؟

«ماذا تعني؟» سألتْ أنَّا ، وحاولت أن تظهر بمظهر البريئة .

«أيَّةُ مدوَّنةٍ؟» كرر كاي .

«في مدوَّنة أنَّا بانانا أم . . . طفل من ذوي الإعاقة . . .»

«عن ماذا تتحدث؟» قاطعته أنَّا بصوتٍ عالٍ إلى درجة جعلها تشوِّش على باقي الأحاديث كلِّها .

صدم الصوتُ التلميذين الصغيرين الجالسين إلى جانب كلٌّ من أنَّا وكرستينا وهذا جعل أحدهما يقع تقريبًا من المكان الذي جلس فيه على جذع الشجرة .

خيَّم الصمت حول الموقد وتحوَّلت أنظار الجميع إلى كاي وأنَّا وهم يشوون الخبز فوق النار . عن ماذا تحدَّث كاي يا ترى؟

قامت أنَّا من مكانها بسرعة ، ووقفت وجهًا لوجه مع كاي . بصوتٍ

منخفضٍ ولكن عالٍ بما يكفي كي أسمعه قالت :

«اهدأ ، لن أنشرها . حتى وإن ظهرتَ فيها بمظهر المتخلِّف عقليًا .»

ثمَّ سارت بخطًى واثقةٍ مبتعدةً عن الموقد لتجد لها جمهورًا آخر في مكانٍ آخر . قامت كرستينا من مكانها أيضًا ، ورمقتْ كاي بنظرةٍ باردةٍ كالجليد قبل أن تلحق بأنَّا . بقي التلميذان الصغيران المسكينان جالسين في مكانهما ينظر كلٌّ منهما إلى الآخر نظرةً حائرةً قبل أن يجبرهما الإحراج الذي شعرا به على اللحاق بعرَّابتيهما .

لاحق كاي أنَّا بنظراته وهو يرتجف غضبًا . قامت ساري من مكانها واقتربت منه . أمسكت بذراعه وسحبته معها إلى جذع الشجرة . تنفَّس بعنفٍ مراراً ، شهيقًا ثمَّ زفيرًا ، قبل أن يهدأ ، ولكن بعد ذلك بدا وكأنَّه نسي الحدث . استمرَّ بشرب الشوكولاتة الساخنة التي شارك مارتينوس بها بكلِّ سرور ، ثمَّ أكل خبز العود المشويِّ .

تحاشانا كاي طوال طريق العودة من الغابة . قالت ساري إنَّه بحاجة إلى حيِّزٍ من الراحة لذلك لم ألحق به . سرتُ مع تيريه وساري وهذه المرَّة من دون لارش . لسببٍ غريبٍ ما فضَّل لارش السير مع آدم ، على الرغم من أنَّه قال «لا ، شكرًا» على عجينة الخبز المشويِّ .

لم يتسنَّ لي الحديث مع ساري عمَّا حدث قبل أن نستقلَّ الحافلة في طريق عودتنا إلى المدرسة .

«كانت رحلةً مشوِّقةً» ، بدأت ، قبل أن أصل إلى النقطة التي أردتُ الحديث عنها ، «ما عدا ذلك الذي حدث لكاي . كان حدثًا عجيبًا حقًا .»

«أجل» ، قالت ساري ، «لكنِّي أفهمه حقًا . لقد صوَّرتْ أنَّا كاي وهو يتناول شراب الشوكولاتة الساخن ويلطِّخ ثيابه كلَّها به ، لذلك ليس من الغريب أن يغضب .»

«هل حدث ذلك فعلًا؟ ثمَّ هل نشرت الصور؟» سألتُها .

«لست أدري . لا أظنُّ ذلك» ، أجابت ساري وبدت وكأنَّها لم تفكِّر كثيرًا في الأمر .

«هي تفعل ذلك كثيرًا» ، تابعتُ حديثي . «أي أنَّها تصوِّر فيديوهات للآخرين .»

«نعم» ، قالت ساري . «لكن ما الذي يدفعها لفعل ذلك حقًا؟»

«لا أدري . . .» أجبت ، وبدأت أفكِّر بالأمر أكثر . أنَّا تلتقط الكثير من الصور وتصوِّر الفيديوهات ، لكن قدرًا قليلًا جدًا من تلك المواد يظهر في مدوَّنتِها . مدوَّنتُها التي تعجُّ بأمورٍ مثل «إطلالة اليوم» وشراب الشوكولاتة مع الحليب ، لكن لا أثر لصور زملاء المدرسة هناك وهم يقومون بتصرُّفاتٍ مخزية ولا أشياء لئيمة أخرى . ترى ما هو مصير تلك الصور؟

9

علينا أن نجدَ هاتف كاي

لقد مرَّت عدَّة أيَّام على رحلتنا إلى الغابة ، لكنِّي لم أنجح حتى الآن بالكفِّ عن التفكير في اللغز . ما الذي حدث بين أنَّا وكاي ذلك اليوم؟

«كان الأمر عجيبًا جدًّا!» قلتُ بحماسةٍ لساري التي بدت وكأنَّها تستمع إلَيَّ بنصف أذن من أذنيها .

«ثمَّ إنَّني حين أرى أنَّا وهي تلتقط الصور أو تصوِّر الفيديو ، وأعلم أنَّها تنشر تلك المواد ، حين تنحني بتلك الطريقة فوق هاتفها ، لكن لا شيء منها يظهر في مدوَّنتها!»

«إذًا أنتِ تتابعين مدوَّنتها فعلًا؟» سألتْ ساري مرتابةً ، وأجبتُها بإيماءةٍ خجولة من رأسي .

كنَّا في زاويتنا المعتادة من ساحة المدرسة على مقاعد خشبية . لفَّتْ ساري نفسها بشالٍ كبيرٍ حيك من الصوف ، فلم يظهر منها سوى

خصلة من شعرها الأشقر .

«لماذا تهتمِّين بأمرها؟» سألتني بعد مرور لحظاتٍ من الصمت .

«أهتمُّ وحسب!» صحتُ تقريبًا . «ماذا لو أنّ لديها مدوَّنة سريَّة؟»

«نعم؟ وماذا لو؟» أجابت ساري . «لا أظنُّ أنّنا بحاجةٍ إلى المزيد من الاقتراحات حول مساحيق التجميل؟»

«لا ، لسنا بحاجة إلى ذلك . . .» اعترفتُ ولم أتابع النقاش .

ساري محقَّةٌ ، وماذا لو كانت لدى أنّا مدوَّنةٌ سريَّةٌ سطحيَّةٌ أخرى تتحدَّث عن البيكيني ، ووصفات الكاب كيك؟ لماذا أكترث للأمر؟ لأنَّ عدم الاكتراث صعبٌ جدًا .

أتى كاي متقدمًا نحونا عبر ساحة المدرسة . لم أتحدَّث معه بعدُ عمَّا حدث خلال الرحلة إلى الغابة ، لأنّني عندما حاولتُ في المرَّة الأولى رفض مناقشة الأمر بشدَّة ، وكأنَّه قد نسيه برمَّته .

«هل نشاهد فيلمًا سويًا خلال عطلة نهاية الأسبوع؟» سأل .

رمى حقيبة الظهر ، وكيساً على الأرض ثمّ جلس على الطاولة المقابلة للمقعد الذي جلسنا عليه أنا وساري ونظر إلينا .

«أجل ، نستطيع فعل ذلك» ، قلتُ ووافقتْ ساري على ذلك أيضًا .

«حسنًا!» قال كاي وبدأ يعدُّ بحماسة الأفلام التي نستطيع مشاهدتها . «حرب النجوم ، حكاية لعبة ٢ ، مباريات الجوع .»

«هاري بوتر؟» حاولتُ ، لكن اقتراحي لم يلقَ إعجاب أيٍّ من ساري أو كاي .

«في عيد الميلاد ربَّما» ، حاولتْ ساري مواساتي وتابع كاي :

«وحيدٌ في المنزل! الجزء الأوَّل! إنَّه فيلم كلاسيكي ، لكنَّه ربَّما فيلمٌ يلائم عيد الميلاد أكثر؟»

تحدَّث بحماسة عن لائحة أفلامه ، ولم يلاحظ الرسالة التي وصلت إلى هاتفه . وضع الهاتف على الطاولة إلى جانبه والشاشة واضحة للعيان فظهرت الرسالة أمامي ، لكنَّ كاي لم يرها . ليس من عادتي التجسس على هواتف الأخرين ، لكنِّي لم أستطع تحاشي ذلك في تلك اللحظة :

أنّا ميكايلسون : مرحبًا جميعًا ، لقد نشرت لتويٍّ موادَ جديدةً على موقع معاق كثيرًا جدًا (لذوي الإعاقة) . استمتعوا!!

معاق كثيرًا جدًا؟! ليس ذلك الاسم غريبًا عنِّي .

كنت على وشك طرح السؤال على كاي عندما التفت إلَيَّ فجأة ثمَّ خطف الهاتف من أمامي . نظرت إليه متسائلةً عن سبب تصرُّفه وأظنُّ أنَّه لاحظ ذلك ، لأنَّه قام من مكانه في وسط الجملة ، أخذ أغراضه وبدأ يسير عابرًا ساحة المدرسة .

«علَيَّ الذهاب إلى الحمام!» صاح مغادرًا وتبادلتُ وساري نظرات التساؤل .

«حسنًا ، ما الذي جرى له؟» سألتْ ساري مبتسمةً قبل أن تكمل :

«لا بدَّ من أنَّه يعاني من نزلةٍ معويَّةٍ .»

«معاق كثيرًا جدًا» ، همستُ في الهواء الطلق .

«لا ، نزلةٌ معويَّةٌ» ، صححت ساري مقولتي ببراءة . «لكن ، ما الذي قلتيه؟»

«معاقٌ كثيرًا جدًا؟!» ، قلتُ ثانيةً ، وكأنّني زومبي قبل أن تخطر لي فكرةٌ ، كبرقٍ ورعدٍ من سماءٍ صافيةٍ ، فصرختُ : «ساري!»

كادت ساري تقفز من مكانها .

«ما بكِ؟؟» ردّتْ بعصبيّة .

«معاقٌ كثيرًا جدًا! ، لا بدّ من أنّه اسم المدوّنة السريّة!»

«ما الذي تقولينه؟ المدوّنة السريّة؟» قالت ساري .

«مدونة أنّا!» قلتُ وما زلت أتحدثُ بصوتٍ عالٍ . «تنشر هناك كلَّ ما تمتنع عن نشره على مدوّنتها العاديّة . وأظنُّ أنَّ كاي يعرف ذلك!»

ما زالت ساري تجلس ، وتحدِّق بي ، وقد مالتْ برأسها ، وتابعتُ حديثي :

«وأعلم الآن أين سمعت ذلك العنوان! أثناء الرحلة! عندما أخذت أنّا صورة لكاي . هدّدها حينها بأن يفضح أمر مدوّنتها السريّة إذا نشرت الصورة هناك! هل تتذكرين ذلك؟ لقد قال لها : أيّةُ مدوّنةٍ؟ و : أنّا بانانا أم معاق . . . لكنّه لم يجد متسعًا من الوقت لقول المزيد لأنَّ أنّا أصيبت بالهستيريا .»

«لا أفقه من الأمر شيئًا» ، قالت ساري وكان علَيَّ أن أشرح لها كيف وقعت القطع في أماكنها الصحيحة حتى اكتملت الصورة .

«لدى أنّا مدوّنةٌ سريّةٌ! أعلم ذلك . لا بدَّ من أنّها تنشر هناك نصف ما تلتقط من صور وفيديوهات ، إذ لا أثر لها في المدوّنة الأخرى حيث تكتب عن مساحيق التجميل!»

التقطتُ أنفاسي ، ونظرتُ إلى ساري التي بدتْ وكأنّها بدأتْ ترى السياق :

«واسم المدوَّنة معاقٌ كثيرًا جدًّا؟» سألتني مرتابةً . هل «تعلمين ماذا يعني ذلك؟»

«نعم» ، بدأت . «ذلك يعني . . .معاقٌ . . . وكثيرًا جدًّا!»

أجبتُ وكأنَّ الأمر يتعلق بواجبٍ مدرسيٍّ ، لكن حقيقةً من دون أن أتعمَّقَ في معنى تلك الكلمات .

«إذًاااا . . .» بدأت ساري قبل أن تصل إلى الخلاصة ، «ذلك ليس بالأمر الإيجابيِّ .»

«لا» ، أومأتُ برأسي ، وبدأتُ أدرك المعنى الحقيقي لتلك الكلمات . «ما هو الهدف منها حسب اعتقادك؟» سألتُ بعد مرور بضع ثوانٍ .

«ليس لديَّ فكرة على الاطلاق» ، أجابتْ ساري وهزَّتْ برأسها قليلًا .

«يجب أن نتحقَّق من الأمر برمَّته» ، أكَّدتُ .

«أوافقك الرأي» ، قالتْ ساري ، وأعلمُ أنَّها تأخذ الأمرَ على محْملِ الجدِّ ، بالضبط كما أفعل أنا .

«لكن كيف؟» تابعتْ ساري . «يبدو أنَّ أنَّا لا تريدنا في مجموعتها السريَّة .»

«يبدو الأمر كذلك» ، أجبتُ . «لكن كاي واحد من المجموعة! لولا هاتفه الجوَّال لما رأيت اسم المدوَّنة! الآن بالضبط!»

«حقًّا؟!» قالت ساري .

«نعم! ذلك هو السبب الذي جعله يهرع إلى الحمام! إنّه يخفي عنّا أمرًا ما!»

بقينا جالستين تنظر كلّ منّا في عيني الأخرى لثوانٍ معدودة وكلٌّ منّا تفكّر بذلك الخذلان . كاي الذي ظنّتْ كلٌّ منّا أنّه جزءٌ وطيد لا يتجزّأ من الثلاثي الذي نشكّله سويًا ، أخفى عنّا الحقيقة وصار يتعامل مع العدوّ بدلًا منا ، وهذا أمرٌ على قدرٍ من الفظاعة تجعله أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة .

«علينا أن نسبر غور هذا الأمر . هل تريدين مساعدتي في ذلك؟»

«بكلِّ تأكيد» ، أجابت ساري من دون أن يرمش لها جفن حين واجهتْ نظرتي الجادّة .

يلعب أطفالٌ من كلِّ الأعمار حولنا تحت قبّة السماء الرماديّة . بعضهم يقفز من فوق الحبل وبعضهم يتسلّق إطارات التسلُّق بينما دارت مباراة كرة قدم في الملعب كالعادة . نظرتُ من حولي ، وفكّرتُ بمن يعرف المدوّنة السريّة . من يعلم بأمرها؟ من في ساحة المدرسة يتابع مدوّنة «معاقٌ كثيرًا جدًا»؟ وماذا يرون حين يدخلون الموقع؟

نعم ، علينا أن نسبر غور هذا الأمر .

«لكن ما السبيل إلى ذلك؟» سألتُ . هل علينا أن نصبح أصدقاء لأنّا وكرستينا؟»

«لا . . .» ، بدأت ساري حديثها . «أظنُّ أن علينا أن نبدأ بتصفُّح المدوّنة .»

إنّها فكرة بديهيّة وبسيطة غابت عنّي بسبب التشتت الذهنيِّ الذي

أصابني . أخرجت ساري هاتفها الجوّال من جيبها ، فتحت برنامج التصفح وبحثت عن «معاقٌ كثيرًا جدًا» . لم يستغرق الأمر عشر ثوانٍ قبل أن تظهر نتيجة البحث ، وكخيارٍ ثالثٍ ، يلي موقعًا معلوماتيًا وموقعًا أميركيًا ساخرًا ، وجدنا مدوَّنة نرويجيَّة .

تبادلنا نظرةً سريعةً قبل أن تفتح ساري الوصلة . وصلنا إلى صفحةٍ برتقاليَّةِ اللون بعنوانٍ ضخمٍ يبدو كصناعةٍ بيتيَّةٍ ، ومربَّعٍ يطلب من القارئ كلمة المرور ، قبل أن يُمكِّنه من مشاهدة المدوَّنة .

نظرت كلٌّ منَّا إلى الأخرى ثانيةً ، نظرةً أكثر قلقًا هذه المرَّة .

«وماذا نفعل الآن؟» سألتُ على حافة الاستسلام .

نظرت ساري إليَّ قبل أن تقول بصوتٍ متزنٍ :

«علينا أن نضع أيدينا على هاتف كاي .»

هل قالت ساري لتوِّها ، ساري حارسة الأخلاق في العادة ، العادلة ، الطيِّبة ، أنَّ علينا أن نسرق هاتف صديقنا المفضل؟

لكنِّي أومأتُ لها برأسي موافقةً . لا مفرَّ من ذلك .

«كيف نفعل ذلك؟» سألتها . «فهو يعلم أنَّنا نعلم بأمرِ المدوَّنة .»

«م» ، بدأت ساري قبل أن تقترح خطَّةً . بدت وكأنَّها سبق وفكَّرتْ بها لأسبوعٍ كاملٍ :

«الحصَّة المقبلة حصَّة الرسم . سنبدأ فيها استعدادات العرض الفنيِّ لعيد الميلاد وسوف تعمُّ الفوضى . ربَّما نستطيع فعل ذلك عندها؟ أعلم أين يحتفظ كاي بهاتفه . الهاتف موجودٌ دائمًا في الجيب

الخارجي لحقيبة الظهر . علينا أن نأخذ الهاتف بطريقةٍ ما من دون أن يلحظ ذلك ، ثمَّ ندخل مدوَّنة معاق كثيرًا جدًا .»

إنَّها خطَّةٌ جيِّدةٌ ، لكنَّها مجازفة ، وكلُّ ما آمل به هو أن يحالفنا الحظُّ . تحت وطأة صمتٍ مفعمٍ بالتوتُّر ، قمنا وسرنا باتجاه صالة الرسم .

حاولتُ وحاولتْ ساري أنْ تبدو على طبيعتها حين دخلنا الصالة . جلس كاي في مكانٍ مختلفٍ كليًا عن المكان الذي نجلس فيه عادة . هو يجلس الآن عند طاولةٍ لم يتبقَّ حولها أيُّ مكانٍ لنا . رمقتني ساري بنظرةٍ سريعةٍ تؤكِّد ما أفكر فيه : لقد اقترفَ كاي فعل الخذلان بحقِّنا فعلًا .

بدأت الحصَّة ، وباشرنا التحضيرات من أجل عرض عيد الميلاد الفنيِّ . ينتابني شعورٌ غريبٌ حين أفكِّر بأمر عيد الميلاد في هذا الوقت المبكر من الخريف ، لكن يانِّه تؤكِّد لنا أنَّنا لم نستبق الأمر ولو بدقيقةٍ واحدةٍ . خاصَّة حين نفكر بكلِّ التحضيرات التي تنتظرنا . عرض عيد الميلاد مسؤوليَّةٌ كبرى لا تُلقى إلَّا على عاتق صفوف العرَّابين والتلامذة الذين تبنَّوهم . لا أريد القول إنَّني لم أتشوَّق لعرض عيد الميلاد . غير أنِّي الآن منهمكة جدًا في كثير من الأمور بحيث يجعلني عاجزةً عن الشعور بالمتعة حين أفكِّر أنَّ دورنا هذه السنة قد أتى ، أنا وزملائي في الصفِّ ، للقيام بعرضٍ فنيٍّ لعيد الميلاد من أجل أهلنا .

اقترحتْ يانِّه أن نبدأ بالبحث عن المواد الموجودة قبل أن نصنع أشياءَ جديدةً . هناك كمٌّ من زينة العيد وملابسَ على هيئة حيواناتٍ

من أجل العرض نفسه . يجب تحضير الكثير ، وهناك ما يحتاج إلى الخياطة والتلصيق .

«علينا أن نبحث في هذه الخزائن أوَّلًا لنرى ما لدينا من بقايا قماش ، ثمَّ إنَّني بحاجةٍ إلى مجموعةٍ ترافقني إلى المخزن في أعلى المبنى لنرى ماذا يوجد من زينة العيد وأشياءَ أخرى هناك» ، قالتْ يانِّه .

اختير لحسن حظِّنا كاي للصعود إلى الطابق العلوي من المبنى مع اثنين آخرين . نظرتُ إلى ساري ورأيتُ أنَّها هي أيضًا تكاد لا تصدق أنَّ الحظَّ حالفنا إلى هذا الحدِّ .

جلسنا ساكنتين على الكراسي ، بينما بدأ الجميع من حولنا بالقيام بمهمَّاتهم ، إلى أن غادرت يانِّه ومجموعتها القاعة باتجاه الطابق العلويِّ . قامتْ ساري ببطءٍ ، وبدأتْ تتجهُ نحو المكان الذي جلس فيه كاي .

علَّق كاي حقيبة الظهر على ظهر الكرسيِّ ، ورأيتُ وحدي كيف مدَّتْ ساري يدها بسرعةٍ داخل الحقيبة لتلتقط من هناك شيئًا ثمَّ تخفيه في جيبها . سارتْ خارج غرفة الصفِّ بخطًى تكاد تكون طبيعيَّةً . لم تكد تقفل الباب خلفها حتى فتحتُه وتسلَّلتُ عبره لأحقَ بها .

«أسرعي!» كادت تصرخ بصوتٍ منخفضٍ عندما صعدت الدرجات الأخيرة باتجاه منصَّة الدرج . كنَّا هناك وحيدتان ؛ لأنَّ باقي

تلاميذ المدرسة منشغلون في الحصص .

«هل الهاتف بحوزتكِ؟» سألتُها ، مرتابة .

«نعم ، بالطبع» ، أجابتْ ساري . «لكن علينا أن نسرع! إنَّه موقفٌ يتسبَّبُ بالكثير من التوتر .»

«حسنًا» ، قلتُ ودخلتُ في الموضوع مباشرةً . «الرسالة التي رأيتها رسالة من نوعٍ يُرسل إلى مجموعة ، وأظنُّ إنْ أردنا العثور على كلمة المرور ، لا بدَّ من أنَّها هناك بين تلك الرسائل ، في مكانٍ ما؟

أمسكتْ ساري بالهاتف وفتحته بالرقم السريِّ كأنَّه هاتفها هي .

«أعرف الرقم السريَّ لهاتفك أيضًا» ، قالتْ حين لاحظتْ نظرتي المندهشة .

«حقًّا؟» أجبتُ وفكَّرتُ أنَّه ربَّما لا ضير من ذلك . في كلِّ الأحوال وجدت نفسي ممنونةً لكونها تعرف أرقامنا السريَّة في هذه اللحظة بالذات .

«سوف نرى . . .» ، تابعتْ ساري ونظرتْ إلى الشاشة التي ظهرَ فيها عددٌ كبيرٌ من التطبيقات . بعد مرور ثوانٍ ضغطت على أيقونةِ الرسائل ، وظهرت جميع رسائل كاي الخاصَّة . شعرتُ بوخز الضمير جعلني أتساءل عمَّا نحن بصدد فعله حقًّا . لقد سرقنا وفتَّشنا في هاتف شخصٍ آخر . كنتُ على وشك أن أوقف ساري عن فعل ذلك ، لكن إرادة حلِّ اللغز أقوى ، لذلك تركتُها تستمرُّ بما تقوم به .

ظهر اسم أنَّا في قمَّة لائحة البريد الوارد ، ومن دون أيِّ تردد

ضغطت ساري على الاسم .

ظهرت الرسالة التي سبق وقرأتها على شاشة كاي مع جميع الرسائل الأخرى في ذلك الخطِّ . معظمها من أنَّا ، وبعضها من كرستينا ، والبعض الآخر من تلاميذَ آخرين في الصفِّ . الكثير من تلك الرسائل إشاراتٌ إلى تحديثاتٍ حصلت في الموقع مثل تلك التي حصل عليها كاي أثناء فترة الاستراحة ، تُعلمه بنشر مادَّةٍ جديدةٍ أو تعليقٍ على موقعٍ معاق كثيرًا جدًا .

يبدو أنَّ كاي لم يجب على رسالةٍ واحدةٍ من تلك الرسائل كلِّها .

تصفحت ساري الرسائل بسرعةٍ وأدركتُ السبب وراء ذلك . أرادتْ أن تصل إلى بداية تلك الرسائل ، حيثُ لا بدَّ من أن تكون كلمة السرِّ هناك . بينغو! في واحدة من أولى الرسائل ، يعود تاريخها إلى حوالي ثلاثة أسابيع مضت ، كتبتْ أنَّا :

«مرحبًا جميعًا! كلمة المرور إلى المدوَّنة هي لارش يا لوول . استمتعوا!»

«لارش يا لوول؟» لارشي أنا؟ كنت على وشك أن أقول شيئًا بذلك الصدد ، لكن ساري رفعتْ يدها مشيرةً أن لا وقتَ لدينا لنقاشِ ذلك . ثمَّ فتحتْ متصفِّح كاي ، وبدأتْ تكتب معاق في مربع البحث ، فظهر عنوان المدوَّنة كاملًا كاقتراحٍ أوَّلٍ . ضغطتْ على العنوان المقترح ، وظهرتِ الصفحة البرتقاليَّة اللون . كتبت في المربع المخصَّص لكلمة المرور : «لارش يا لوول» .

ظهرتْ صفحةٌ جديدةٌ ، وكدتُ أعجز عن تصديق ما رأت عيناي :
تحت عنوان معاق كثيرًا جدًا ظهرتْ صورةٌ للارش أمامنا . التُقِطَت الصورة في اللحظة التي تعثَّر فيها لارش في ساحة المدرسة وبدأ يبكي . ظهرتْ في الخلفية يانِّه المضطربة وهي تعدو باتجاهه ، وبعضُ ملامحي وأنا ألتفتُ باتجاه الجلبة .

«ما هذا؟»

تصفحتْ ساري الموقع نزولًا ، ومع كلِّ صورة ظهرتْ أمامنا صَفعتْني خطورة الأمر كصدماتٍ كهربائيَّةٍ ضعيفةٍ نابضةٍ جعلتني أشعر بالغثيان والشلل :

رأينا صورةً تلو الأخرى للارش في أوضاعٍ ومواقفَ محرجةٍ للغاية ؛ لارش يقف وحيدًا في ساحة المدرسة وينطق بالعبارات السحريَّة ، لارش الذي يتناول عصيدة الشوفان فتقع كتلٌ منها وتلوِّثُ سترته ، لارش يحمل الرايات الصغيرة في قاعة الرياضة ، لارش من الخلف حيث يبدو سرواله وكأنَّه هبط أكثر من اللازم عن خصره فيظهر أعلى الشقِّ في مؤخِّرته للعيان فوق حزام السروال . صورٌ لا تعدُّ ولا تحصى تُظهر لارش الأعزل الذي لا علم له ولا إدراك بأنَّ أحدًا ما يصوره .

لكلِّ المواد المنشورة عناوين لئيمة ، وتتبعها تعليقاتٌ لئيمةٌ تضع لارش في وضعٍ لا يحسد عليه .

«اتَّصل العاملون في حديقة الحيوان البارحة ، ويطالبون بإعادة القرد إلى مكانه .»

«تعلمتُ تناول الطعام البارحة ، يا لوول .»

«معاق كثيرًا جدًا؟؟؟»

«هاري بوتر – النسخة المعاقة!»

«لارش يا لوول فعلًا .»

أصابتني موجةٌ من الحنق ، وفي الوقت نفسه موجةٌ من الحنان على لارش . لارش يا لوول . اللعنة على الشيطان لهذا القدر من اللؤم! التقتْ نظرتي بنظرةِ ساري المليئة بالصدمة والعجز عن تصديق ما رأتْ .

«اللعنة على الشيطان!» قالت كأنّها قرأت أفكاري .

«ما هذا القدرُ الخرافيُّ من اللؤم!»

لا أجد ما أقوله ، ألفُ فكرةٍ تدور في رأسي متسارعةً . صفحةُ البلطجةِ هذه فظيعةٌ بقدرٍ يصعب تصديقه . ما تصوَّرتُ فظاعتها ولا في أكثر جولاتِ خيالي شراسةً . بدأتُ في الوقت نفسه أشعرُ بنوعٍ من الهلع ، إذ كيف أستطيع إيقاف تلك الصفحة من دون أن ألفتَ الأنظار إلى لارش أكثر من اللازم؟

«أظنُّ أنَّ علينا أن نعود إلى الحصَّة الآن . . .» سمعتُ ساري تقول .

«أعلم ذلك» ، قلتُ شاردة الذهن ، وعدنا بخطًى صامتةٍ إلى قاعة الرسم . ما زال كمٌّ كبيرٌ من الأفكار المتناقضة يتسارع في رأسي ، وأحاول العثور على خطَّةٍ لإنقاذ لارش من دون أن أكشف نفسي . إذ ما هو عقاب الوشاية بأنّا وكرستينا؟ كم عدد الآخرين المشاركين؟ ومن

هم أولئك الذي سأشي بهم في الوقت نفسه كتحصيل حاصلٍ؟ وهل آدم أحد المشاركين في ذلك؟

استقبلنا لارش في الباب ، وهو يمسك بدمية أحد الأقزام العاملين في مصنع بابا نويل للهدايا ، لكنِّي عجزتُ تقريبًا عن لقاء نظرته المليئة بالفرح . نظرتُ إلى زملائي في الصفِّ بنظرةٍ مليئةٍ بالشكِّ الممزوج بالاشمئزاز الذي أصابني فجأة .

تسلَّلتْ ساري بصمتٍ عبر القاعة ، وأعادتِ الهاتف إلى حقيبة كاي في اللحظة التي عادتْ فيها مجموعتُه من مخازن الطابق العلوي ، وهم يحملون صناديقَ كبيرةٍ تحتوي على زينة العيد .

نظر كاي بقلقٍ في طول القاعة وعرضها ، لكن ساري كانت سريعةً ، فإذا بها تقف وتفرز أغراض العيد في إحدى الزوايا . نظرت إلَيَّ نظرةً سريعةً أجبتها بإيماءةٍ ضئيلةٍ . كلٌّ منَّا تعلم أنَّ هناك واجبٌ علينا القيام به .

10

مجرَّدُ مزاحٍ

وقفتُ وحيدةً في زاوية ساحة المدرسة بعد حصَّة الرسم أنتظرُ خروج ساري من القاعة . رأسي مليءٌ بالمشاعر والأفكار ، التي أفشل بترتيبها أو توفيقها ، لأنَّها متناقضة للغاية . أفكِّر في لارش وبأنَّ علَيَّ إنقاذه ، وفي الوقت نفسه أفكِّر بأنِّي أفضِّل عدم الاكتراث بالأمر برمَّته .

ماذا أفعل الآن يا ترى؟ هل أخبر يائِّه بالأمر؟ هل أخبر بانت؟

أعلم أن ما علَيَّ فعله واضحٌ للغاية ، وأعلم ما ستقترحه ساري ، لكنِّي غير متأكدةٍ من شيء على الرغم من ذلك كلِّه . أفكِّر بأنَّ الأمر سيزداد سوءًا عندها . آخر ما أريده أن يعلم لارش بالأمر ، أن يكتشف أنَّ هناك حملةَ بلطجةٍ حقيقيَّةٍ على الإنترنت ، موجَّهة ضدَّه وحده . أريد أن أرحمه من معرفة ذلك .

فكَّرتُ أن أعتني بتلك المشكلة بنفسي من دون إفشاء أمرها

للعلن . شعرت فجأةً بشيءٍ من الندم على إقحام ساري في الموضوع . أدرك أنّها سوف تنوي القيام بالتصرُّف السليم ، أي أن تذهب إلى يانِّه مباشرةً أو أن تتَّصلَ بأولياءِ أمورِ أنّا وكرستينا .

لكن قبل أن أرى قدومها باتجاهي في ساحة المدرسة اتَّخذت قرارًا ، علَيَّ أن أقنع ساري بعدم القيام بالتصرّف السليم . علَيَّ أن أقنعها بأن تمنحني بعض الوقت كي أرى ما لدينا من احتمالات ، حتَّى وإنْ عرفتُ أنّها حلولٌ تقع في منطقةٍ رماديَّةٍ ، ما بين الأبيض والأسود .

«علينا أن نخبر يانِّه بالأمر ، الآن» ، قالت ساري في الحال .

«لا!» قلتُ بسرعةٍ فائقةٍ .

«ماذا تعنين بلا؟» أجابت ساري مندهشة .

«أعني . . .أنَّ علينا أن نفكِّر في الأمر قليلًا كبدايةٍ . لا أريد أنْ يعلمَ لارش شيئًا عن الأمر .»

«حسنًا؟» سألتْ بنبرةٍ حادَّةٍ ، وأعلم أنّها محقَّةٌ في ارتيابها ، لكنِّي أحاول على الرغم من ذلك :

«أريد أن نجد طريقة نحلُّ بها المشكلة من دون أن يؤدِّي ذلك إلى الكثير من الضوضاء ولفْتِ الأنظار . هل تفهمين ما أعني؟»

نظرتُ إلى ساري نظرةً ظننْتُ أنّها مقنعةٌ وبريئةٌ ، لكنّها اكتشفت الحقيقة .

«كلُّ ما تريدينه هو ألّا تتدخلي في الموضوع ، أليس كذلك؟» قالتْ .

لا أريد أن أتدخل في الموضوع . أتمنّى لو أنَّ المشكلة تحلُّ نفسها بنفسها ، أنْ تُعالَجَ وتختفي بطريقةٍ سحريَّةٍ من دون أن أحتاج إلى رفع إصبعٍ من أصابعي أو أن أضطرَّ إلى اتخاذ موقفٍ منها أساسًا . لكن إن لم يحصلِ ذلك ، أريد على الأقل أن تُحلَّ بطريقةٍ سريَّةٍ .

«لنفكِّر بالأمر حتَّى يوم غدٍ ،» قلتُ . الغريب في الأمر أنَّ ساري وافقتْ على اقتراحي بعد مرور بضع ثوانٍ .

«لديك مهلةٌ حتى يوم غدٍ ، لكن أنتظرُ عندها أن تأتي بخطَّة أفضل من خطَّة الذهاب إلى يانِّه . وإلَّا ، فأنا أعرف تمامًا ما علينا فعله!»

لست أدري إن اشتريتُ لنفسي بعض الوقت بتلك الطريقة ، أم أنَّني انخرطت في الأمر أكثر ، لكنَّ شعورًا ينتابني بأنَّني سأنجح في التَّوصل إلى حلٍّ حتى يوم غدٍ .

غادرتُ برفقة ساري ساحة المدرسة ثمَّ افترقنا . كانت ساري ذاهبةً للقيام بالتمارين الرياضيَّة ، وكان علَيَّ أن أعودَ إلى البيت كي أساعَد أبي في تحضير طعام العشاء . وعدتْهُ بأن أساعدَه في تحضير مرقة الباستا بالكوسى حسب الوصفة التي وضعها بانت .

الأرض مغطاةٌ بأوراق الشجر المبلَّلة . بدأتْ قطراتٌ ضئيلةٌ من المطر تتساقط من السماء فغطَّيتُ رأسي بالقبَّعة . كنت بحاجة إلى التَّفكير ، وشعرت أنَّ القبَّعة تساعدني على التركيز . كلُّ ما أراه هو قدمَاي اللتان تسيران بخطواتٍ خافتةٍ على الإسفلت المبلَّل .

اصطدمتُ فجأةً بشخصٍ ما .

«آسفة!» قلت . عندما نظرت إلى ذلك الشخص وجدت أنّني سرتُ حتى اصطدمتُ بكرستينا ، التي تقف إلى جانب أنّا .

ذلك الشعور الضئيل بالتفاؤل الذي تكوّن في داخلي بفضل فكرةِ حلِّ مشكلةِ البلطجة والاضطهاد ، تداعى الآن في داخلي كأنّه خرقةٌ باليةٌ متّسخةٌ .

أنّا وكرستينا واقفتان تحت مظلّةٍ كبيرة تحميهما من المطر . ترمقني كلٌّ منهما بنظرةٍ مستاءةٍ وشخرتْ أنّا بصوتٍ منخفضٍ «مرحبًا» .

«ما الأخبار؟» سألتْ كرستينا .

«ليس هناك أخبار» ، أجبتُها .

«حسنًا؟» تابعتْ كرستينا ، ورفعتْ هاتفها الأحمق وصوّبته ناحيتي .

«لا تفعلي ذلك» ، قلتُ بنبرةٍ صارمةٍ ، ووضعتُ يدي أمام وجهي كي أخفيه .

«ماذا؟» قالتْ كرستينا ، وتظاهرتْ وكأنّه ليس من الواضح تمامًا أنّها تصوّرني .

«توقّفي عن تصويري أو هذا الذي تفعلينه مهما كان .» قلتُ بنبرةٍ غاضبةٍ .

«واو ، خائفة جدًا؟ أم ماذا؟»

«معاق كثيرًا جدًا؟ أم ماذا؟» نفثتُ الكلام بوجهها ، وهجمتُ على كرستينا كي آخذ منها الهاتف .

منعتني أنّا التي وقفت بيني وبينها . كانت عيناها تشعان شماتةً . لقد أوصلتني إلى حيثُ تريد بالضبط .

«لا تتوتري!» صرخَت في وجهي وراحت تنظر من حولها في الوقت نفسه كي تتأكّد من عدم وجود جمهورٍ يشاهد ما يحدث .

«إنّني على علم بالمدوَّنة التي تديرانها» ، قلتُ بنبرةٍ مهددةٍ .

«ماذا قلتِ؟» قالتْ كرستينا ببطءٍ ، وهي توجِّه الهاتف نحوي .

«إنّني على علم بمدوَّنة معاق كثيرًا جدًا» ، كرَّرت .

«ثمَّ ماذا؟» أجابت أنّا بنبرةٍ كالجليد . «هل هذا تهديدٌ من نوعٍ ما أم ماذا؟»

«لقد كنتِ موضوعَ المادة المفضلة التي نشرناها هنا!» ضحكتْ كرستينا بسخريةٍ ثمَّ أضافت : «الموضوع الذي صوَّرناه في قاعة الرياضة حصد أكبر عددٍ من المعجبين .»

قاعةُ الرياضة؟ هل نشرتَا الموقف الذي أنقذت فيه لارش من فشل العبارات السحريَّة في مدوَّنة معاق كثيرًا جدًا؟ لم أشاهد ذلك عندما تصفَّحت مع ساري المدونة من هاتف كاي .

«لذلك ، أنتِ ظاهرةٌ أحدثت ضجَّةً على النت!» أضافت كرستينا .

«ماذا تعنين بذلك؟» سألتْ ولم أستطع تحاشي الضعف الذي أصاب صوتي .

«أعني أنَّك أيضًا مصابة بمتلازمة داون تقريبًا .»

من رأى تلك الصورة لي؟ هل رآها كاي؟ هل ضحك وتابع

التصفح؟ من دون أن يخبرني بذلك؟ يبدو ذلك عجيبًا إلى درجةٍ يصعب تصديقها . وآدم؟ لا بدَّ من أنَّه رآها وضحك حتى انثنى على طوله إلى نصفين . لا بدَّ من أنَّه أراها لأصدقائه ثمَّ ضحكوا معًا بصوتٍ أعلى . بدأت عيناي تسخنان بفعل الدموع التي عجزتُ عن حبسها . بدأ جسدي كلُّه يرتجف حنقًا وانتابتني رغبةٌ في أن أضرب أنَّا ، لكن بدلًا من أن أفعل ذلك ، ظللتُ واقفةً أحدِّق بالأرض أمامي بطريقةٍ غبيَّةٍ . تساقطت حبات المطر ، واختلطت بدموعي التي سقطت على الإسفلت كأحلامٍ صغيرةٍ محطَّمةٍ .

«هاها! كُفّي عن التوتر .» صوت كرستينا لزجٌ ، لكنَّه مواسٍ بطريقةٍ عجيبةٍ . «إنَّه مجرَّد مزاح .»

مجرَّد مزاح؟ فكَّرتُ مرتبكةً .

«إنَّه اضطهاد وبلطجة» ، قلت بعد استراحةٍ وجيزة .

«لا» ، دافعت أنَّا عن نفسها . «إنَّه نوعٌ من المرح . إنَّها تسليةٌ! هاها! هل تفهمين معنى ذلك؟»

لم أفقه الكثير في تلك اللحظة ، لكن لم تكن لديَّ النيَّةُ بالإفصاح عن ذلك لأنَّا وكرستينا . حاولتُ بدلًا من ذلك أنْ أشارك باللعبة ، وبدأتُ أمسح دموعي .

«هل هناك المزيد من الصور لي؟» سألتُ عندما بدأتُ أستجمع ذاتي .

«م ، نعم» ، قالتْ كرستينا ، وبدأتْ تبحث عن شيءٍ ما في هاتفها .

«انظري هنا» ، قالتْ بصوتٍ رقيقٍ إلى درجةٍ جعلتني أكاد لا أعرفه .

عرضتْ علَيَّ صورةً أساعد فيها لارش على غسل يديه بعد حصَّة الرسم . بلَّلت سروالي ذي اللون البنيِّ الفاتح بالماء ، فبدا الأمر وكأنَّني قد تبوَّلت في ثيابي . أتذكَّر ذلك اليوم جيِّدًا . لكنِّي لم أعتقد أنَّ أحدًا سواي تذكَّره .

«معاقةٌ كثيرًا جدًّا؟» سألتْ كرستينا بلطفٍ ثمَّ ضحكتْ .

«لا بدَّ من أن تعترفي أنَّ الأمر مسلٍّ جدًّا» ، أضافت أنَّا .

لا أريدُ أن أعترف بشيءٍ على الإطلاق . كم تمنَّيتُ لو أنَّني ألَّفت عبارةً سحريَّةً قادرةً على أن ترفعني من هناك وتحملني بعيدًا عمَّا يدور من حولي ، إلى حياةٍ أخرى ، لا أكون فيها عرَّابةً لشابٍّ مصابٍ بمتلازمة داون ، يلتقط الناس صورًا له ويضطهدونه ؛ عبارةً سحريَّةً قادرةً على أنْ تحملني إلى عالمٍ لا دخل لي فيه بهذا كلِّه ، عالمٍ لا يراني فيه أحدٌ ، عالمٍ أعيش فيه بسلامٍ تامٍ .

«لكن هل تعلمين؟» أيقظتني كرستينا من عالم أحلامي بصوتٍ ناعمٍ كالحرير . «سوف أمحوها!»

قامت ببضع حركاتٍ سريعةٍ بإصبع الإبهام على شاشة الهاتف ، ثمَّ أرتني إيَّاها ثانيةً .

«هكذا! لقد اختفت!»

هدلتُ كتفَيَّ وتنفَّستُ الصعداء . إذا أزالوا الصور التي التقطوها في

قاعة الرياضة ستختفي مشاكلي كلُّها .

«ماذا عن الصورة الثانية؟» سألتُ بصوتٍ أقرب إلى الصمت .

«ألا تشعرين بالامتنان؟» أضافتْ أنَّا .

«بلى» ، قلتُ وحدَّقتُ بالأرض أمامي .

«جيِّدٌ جدًا» ، قالتْ أنَّا من موقع سلطتها تحت المظلَّة .

«امحها» ، قالتْ وأعطتْ بذلك الأمر لكرستينا ، التي أطاعتها في الحال .

«شكرًا» ، سمعت نفسي وأنا أقول ، وأشعر ، أكثر ممَّا أرى النظرة التي تبادلتها كلٌّ من أنَّا وكرستينا . لا أستطيع أن أصدِّق أنَّني من قال ذلك ، لكنَّني قلتها ، وأنا أشعر بالامتنان حقًّا .

«وما هي الطريقة التي سترِدِّين لنا الجميل بها؟» سألتْ أنَّا .

نظرتُ إليها من دون أن أفهمَ ما تعني حقًّا . الجميل؟

«ماذا ستقدمين لنا ما دمنا قد فعلنا ما فعلناه من أجلك؟» أوضحتْ كرستينا .

ظللتُ واقفةً أفكِّرُ فيما قطرات المطر تضربني وتتسلَّل ببطءٍ إلى ما تحت سترتي .

«لديَّ بعض الصور أيضًا» ، خرجت تلك العبارة من فمي فجأةً .

ما هذا الذي أفعله؟

«ماذا تقصدين؟ هل تقصدين أنَّ لديك صورًا للارش؟ أم ماذا؟»

«نعم» ، قلت .

لم أدرِ إلى أين تتَّجهُ الأمور ، لكنِّي رغبتُ في الابتعاد عن تلك الناصية وعن أنَّا وكرستينا ، مهما كلَّف الأمر .

أخرجت هاتفي من الحقيبة من دون أن أقول المزيد . حركاتي بطيئة ، كأنَّ كلَّ شيءٍ يسير ببطءٍ ميكانيكيٍّ . دخلتُ ملفَّ الصور الذي احتفظتُ فيهِ بصور الرحلة ، ما لا يقلُّ عن عشرين صورة . بحركاتٍ من أصابعَ سريعةٍ ، قصصتُ الصور التي ظهرتُ فيها فلم يبقَ سوى لارش الذي وقف فيها وحيدًا مع مجموعة من أسوأ تعابير وجهه ؛ اللسانُ ظاهرٌ في واحدة ، والعينان محولَّتان في أخرى ، وصورةٌ أخذت من زاويةٍ جعلت المشاهد يرى فتحتي الأنف المتسختين بالمخاط .

وجدت رقم هاتف أنَّا وأرسلت اليها الصور جميعًا . في اللحظة التي أُرسلَتْ فيها الصورةُ الأخيرةُ تنفَّست الصعداء . لم أكن قادرة على أن أدرك ، في اللحظة والمكان ، الثمن الباهظ الذي دفعته من أجل حريتي ، لكنِّي شعرت أنَّني مرتاحة على الرغم من ذلك .

«شكرًا ، أماندا . إنَّها فعلًا خدمةٌ لطيفةٌ منك» ، قالت أنَّا وابتسمت لي ، ولم تكن ابتسامتها مزيَّفةً ، بل ابتسامة لطيفة ، محتوية ودافئة .

عندها فقط ، بدأتُ أشعر بالهلع .

11

شكرًا جزيلًا يا أماندا!

في صباح اليوم التالي انتظرتُ ساري في الزاوية المعتادة ، لكنِّي عجزتُ عن الوقوف ساكنةً . بدأتُ أسير وأسير في دائرةٍ صغيرةٍ . أسير وأسير في حلقاتٍ ، والأفكار تدور في رأسي .

هناك قلقٌ شنيعٌ يتنامى في داخلي ويملؤني منذ ما حصل يوم أمس . تأنيبُ الضمير تُجاه ما فعلته بلارش يعذِّبني إضافةً إلى الخوف مما ستفعله أنَّا وكرستينا بالصور التي أعطيتهما إيَّاها . كلُّ ذلك امتزجَ أيضًا بخيبة الأمل التي شعرت بها تُجاه نفسي وما فعلت . أعلم دائمًا أنَّني شخصٌ ضعيفٌ ، لكنِّي لم أدرك على الإطلاق أنَّني ضعيفة إلى هذا الحدِّ .

بحقِّ السماء ، لماذا أعطيت الصور إلى أنَّا وكرستينا؟ كفَّة الميزان راجحةٌ لحسابي . أستطيع أن أذهب إلى يانِّه وأشي بهما في الحال .

عندها سأجد المدرسة برمَّتها والأهل جميعًا في صفِّي . لكن عندها ، لا بدَّ من أن يعرفَ لارش بأمر المدوَّنة ، هو وكل من لا يعرف بأمرها حتَّى الآن .

أستطيع أن أتخيَّلَ حجم الحملة ضد الاضطهاد والبلطجة التي ستباشر بها يانِّه . ولن يكون للمدرسة كلِّها حديثٌ آخر سوى لارش وكم هو مضحكٌ .

لكنَّ شيئًا ما في ذلك الموقف بدا لي صحيحًا ، بل منحني شيئًا من الرضا تقريبًا . كأنَّني كوفئت على ما فعلت . لقد أردت أن أترك صور لارش تلك للآخرين . لقد أحببت القيام بذلك . لقد شعرت بأنَّني مقبولة ، بأنني واثقة . هل الأمر بسيط إلى ذلك الحدِّ فعلًا؟

لا ، لم يكن الأمر بسيطًا إلى ذلك الحدِّ ، لأنَّ ما خلّفه هو طعم المرارة في الحلق . فكرةُ أن أكون واحدةً من الواثقين بأنفسهم استُبدلَتْ بشعورٍ حقيرٍ سببه أنَّني مارست الخذلان . بذلك الشعور الذي خيَّم حولي كغيمة برقٍ ورعدٍ دخلتْ عبر الباب الخارجيِّ لمنزلنا أمس . نصحني أبي والقلق بادٍ عليه أن آخذ حمّاما دافئا . ولكن خشيت أن تنشر أنَّا وكرستينا الصور في الحال ، ولذلك أسرعت إلى غرفتي وتصفَّحت موقعَ معاق كثيرًا جدًا من دون أن أنزع ثيابي المبلَّلة أوَّلًا .

تصفَّحت الموقع عشر مرات يوم أمس ، لكنِّي لم أجد واحدةً من صوري منشورةً هناك . وقد أمسكت بهاتفي الآن كي ألقي نظرةً على معاق كثيرًا جدًا قبل أن تأتي ساري . لكن الموقع لم يُحدَّث بعد .

«ياهو!» سمعت صوتًا ينادي خلفي وارتجفتْ .

«هل أنتِ جاهزة للمعركة؟» قالتْ ساري فرحةً عندما وصلتْ إلَيَّ .

«ماذا؟» قلتُ مرتبكةً .

«هل أنتِ جاهزةٌ للانتصار على أنَّا وكرستينا؟ علينا أن نخبر يانِّه بالأمر ، أليس كذلك؟»

«ربَّما . . .» أجبت وكلِّي رعبٌ من أن تكتشف ساري أمري .

«ربَّما؟ يا أهل الدار!؟»

«الحكاية هي أنَّني . . . لست متأكِّدةً من أنَّ انتقامًا كذلك سَيَفي بالغرض ، إن كنتِ تفهمين ما أعني .»

«لا» ، أجابت ساري وهي تحدِّقُ بي بنظرةٍ ثاقبةٍ .

«أعني فقط أنَّنا قد نتدبَّرُ الأمر بقدرٍ أكبر من الفعالية إن فعلنا ذلك وحدنا . من دون أن نُدخلَ يانِّه في الموضوع .»

من دون أن نُدخلَ يانِّه ، يعني في أحسن الأحوال أيضًا من دون أن نُدخلَ بانت في الموضوع ، وذلك بدوره يعني ألَّا يتدخَّلَ والداي وبقية العالم . ويعني أيضًا من دون تدخُّلٍ من لارش . لقد أدركت أنَّني لم أعد بريئة كليًا . لكنِّي أظنُّ أنَّ هناك حلًا يمنع سقوطي حين ينهار كلُّ شيءٍ ، حلًا جيِّدًا إلى درجةٍ تجعلني غير مجبرةٍ على الإفشاء بكلِّ شيءٍ لساري أيضًا .

عندما جلستُ في غرفتي يوم أمس ، وفكَّرتُ بحدَّةٍ جعلتْ لرأسي هديرًا ، تذكَّرتُ أنَّ لديَّ أنا أيضًا صورةً لأنَّا منذ تلك الأيام التي كنَّا

فيها صديقتين حميمتين . خلال صيفٍ كاملٍ قضيناه في الكوخ الصيفيِّ رفضت أنّا أن تقضي حاجتها في الغابة ، وأصرَّتْ على الجلوس على نونيّة قديمة زهريَّة اللون . ذلك الصيف موثَّقٌ بصورةٍ وحيدةٍ ، لا يوجد منها سوى نسخةٍ واحدةٍ ، وقد صنتها بالحفظ والأمان في أحد ألبومات والدتي في مكتبة بيتنا . لكنِّي لم أقل شيئًا عن ذلك لساري . كلَّما علمتْ ساري أقل ، كلَّما كان ذلك أفضل ، لذلك اقترحت عليها :

«نستطيع أن نهدِّد أنّا وكرستينا بالوشاية بهما ، وربَّما تكفَّان عن أعمال الاضطهاد والبلطجة .»

رمقتني ساري بنظرةٍ . لقد رفعتْ حاجبيها أيضًا ، وشعرتُ وكأنَّ عينيها الزرقاوين بلون الجليد تُحدِثان ثقبًا فيَّ ، وتحدِّقان بروحي الملوَّثة .

«ثمَّ ندعهما تفرَّان من القصاص؟» قالتْ بنبرةٍ استفزازيَّةٍ .

«م .» قلتُ . أعلم أنَّه موقفٌ ضعيفٌ ، لكنِّي أصررتُ عليه .

«إنِّني أفكِّر في لارش» ، تابعتُ .

«أنتِ تفكِّرين في لارش؟» كررتْ ساري ونظرتْ إليَّ كأنَّها تنظرُ إلى شخصٍ معتوهٍ .

بدأنا نسير نحو المدرسة ، وتابعنا النقاش .

«الانتقام هو بطريقةٍ ما ؛ يمنعهما من الاستمرار؟ أليس كذلك؟ سوف يزعجهما ذلك كثيرًا . . . ثمَّ نتدارك بتلك الطريقة أن نزجَّ بلارش في الموضوع» ، أوضحتُ بكلِّ ما لديَّ من قدرةٍ على الشرح .

وشعرتُ في الوقت نفسه أنَّني أكثر صديقةٍ مزيَّفةٍ في العالم بأسره .

«ربَّما أنتِ محقَّة بذلك» ، قالت ساري ، لكنَّها لم تبدُ مقتنعةً تمامًا .

«لنرى ما يحدث خلال اليوم» ، تابعت . «لنراقب قليلًا لنرى ما سيفعله كاي وكيف يتصرَّف . ربَّما قال لأنَّا وكرستينا إنَّه يشكُّ بأنَّنا نعرف شيئًا؟ ربَّما تفهمان أنَّ عليهما التوقُّف عمَّا تفعلانه؟»

شعرتُ بالألم يتسلَّلُ إلى روحي وأنا أكذب على ساري ، ليس لديَّ خيارٌ آخرُ . علَيَّ أن أعمل وحيدةً من الآن فصاعدًا ، وأفضلُ خطَّةٍ لديَّ هي أن أهدِّد أنَّا بصورتها وهي جالسة على النونيّة .

كان اليوم الدراسيُّ هادئًا أكثر من العادة . لم ألحظ هاتفًا جوَّالًا واحدًا ولم أشهد الشجارات الصغيرة في الممر . لم تأتني فرصةٌ كي أخبر أنَّا بما لديَّ وما أنوي ابتزازها به ، ولكن علَيَّ أن أعترف أيضًا بأنَّني لم أكن متحمِّسة للأمر كثيرًا .

نجلس عادةً قبل الاستراحة الطويلة على مقاعدنا الخاصَّة ، ونقوم بمهامٍ دراسيَّةٍ متبقيةٍ ، ولسببٍ ما تطوَّعتُ لترتيب الكراسي في قاعة الرياضة خلال الاستراحة . لدينا محاضرةٌ في علوم الطبيعة هناك لاحقًا .

لم أتحدَّث إلى ساري منذ الصباح تقريبًا ، لكنَّها أتتْ إلَيَّ فجأةً حيث أقف في الجزء الخلفيِّ من قاعة الرياضة ، ووضعتِ الكراسي الأخيرة في أماكنها .

«ما زلتِ ترين أنَّ علينا أن نكتم الأمر؟» سألتْ بارتيابٍ .

«م» ، قلتُ في محاولة منِّي لاكتساب بعض الوقت .

«لم يُلقِ كاي التحيَّةَ عليَّ اليوم» ، تابعتْ ساري . «هذا هو الجنون بعينه . لا بدَّ لنا من أن نفعل شيئًا لمعالجة الموقف ، كي يعودَ كلُّ شيءٍ إلى ما كان عليه .»

«ليعود كلُّ شيءٍ إلى ما كان عليه؟» قلتُ وأنا أسير أمامها باتجاه مكانين في مقدِّمة القاعة .

«في كلِّ الأحوال ، لا يمكننا فعل ذلك الآن» ، تابعتُ ، «لكنَّا نستطيع الحديث عن ذلك بعد انتهاء المحاضرة .»

إذا أسرعتُ وتحدَّثتُ إلى أنَّا قبل المحاضرة ، أستطيعُ ربَّما تفادي أن تزجَّ ساري بيانِّه في الموضوع . ألاحظ أنَّ صبرها بدأ ينفد .

«نستطيع الحديث عن ذلك؟» قالتْ بغيظ .

«م» ، أجبت متهرِّبة ولحسن الحظِّ قاطع الجرس حديثنا . امتلأتْ قاعة الرياضة بسرعةٍ بنداءاتِ وضحك التلاميذ الآخرين الذين دخلوا من الساحة ، وجلسوا على الكراسي التي وضعتها في أماكنها .

اقترب منَّا فجأة شابٌّ أشقرُ الشعر يغطِّي النمش وجهه بكامله . إنَّه لارش .

«مرحبًا» ، قال بصوتٍ منخفضٍ .

«مرحبًا» ، أجبتُ وابتسمت له ابتسامةً مرتابةً .

حاولتُ في الحقيقة تحاشي لارش طوال اليوم ، لأنَّه في اللحظة التي تلتقي فيها عيناي بعينَيه ، تهبُّ عاصفةٌ فظيعةٌ من المشاعر داخلي .

أحاول ألّا أنظر إليه كثيرًا ، أو أهتمّ به أكثر ممّا هو ضروري . ركّزت نظري ، بدلًا منه ، على مؤخر رأسٍ تغطيه خصلٌ من الشعرٍ البنيٍّ القاتم ؛ آدم .

وكأنّه ليس لديَّ ما يكفي من الأمور التي أحتاج إلى التفكير بها . دفءٌ غريبٌ يمتدُّ من القلب حتى أطراف أصابعي ، ويمتزج بالقلق الحادِّ الذي يسبح في شراييني كالسمِّ .

أحاول التركيز على أحد أمرين ، إمّا العلوم الطبيعيّة ، أو عمليّة الانتقام من أنّا ، لكن ذلك صعب وآدم على هذه المسافة القريبة .

صعد ستين فيدار منصّةً بناها من بعض العارضات الخشبيّة التي وضعها فوق بعضها ، وراح يعمل على ضبط التقنيات . كان التلاميذ الآخرون يتهكّمون ويضحكون عليه ، لكنّه نجح في نهاية المطاف من أن يصل الحاسوب بجهاز الإسقاط أمام شاشةٍ بيضاءَ كبيرةٍ .

آخر الداخلين إلى القاعة أنّا وكرستينا . راحتا تنظران إلى تلامذة الصفوف الثلاث الذين اجتمعوا هنا وحين لمحتاني لوّحتا لي بيديهما . كنت على وشك أن ألوِّح بيدي لهما كجوابٍ عن التحية حين التقت نظرتي بنظرة ساري . كانتْ عاجزةً عن تصديق ما رأته عيناها .

«ما الذي تفعلينه؟» قالتْ بحنقٍ وبصوتٍ عالٍ إلى حدٍّ جعل لارش يرتجف .

«لا شيء» ، همستُ وأتتني النجدة لحسن الحظِّ ، من قبل ستين فيدار الذي تنحنح كي يلفت انتباه الجميع .

لم يكن لديه ما يكفي من الطاقة كي يستخدم الميكروفون ، ولذلك بدأ يتحدث بصوتٍ عالٍ إلى حدٍّ جعله يصيح :

«يا أولاد! المدرسة ليست هرجًا ومرجًا فقط! إنَّها أيضًا فترة من النمو والتطور واكتساب المعرفة .»

نظر إلى التلاميذ نظرةً مفعمةً بالرضا ، قبل أن يتابع :

«سنتعلَّم اليوم بعض الأشياء التي تخصُّ المصادر الطبيعيَّة في بلادنا ، من الجبل حتى البحر . النرويج ذات مساحةٍ واسعةٍ مستطيلةٍ ، ولذلك لديها الكثير من الخيرات . ربَّما ليس فيها المقدار نفسُه من الخيرات الموجودة في الكويت مثلًا ، وعلى الرغم من ذلك ، لديها الكثير . . .»

بينما تابع حديثه ، ضغط على الحاسوب المحمول أمامه . يبدو أنَّه يريد أنْ يعرض الصور ، وها هو يحاول إيجادها . حين شغَّل الشاشة ، ظهرت صورةُ خلفيَّةِ حاسوبه على شاشة العرض الكبيرة . إنَّها صورةٌ خاصَّةٌ به ، يظهر فيها بلباسِ ركوبِ الأمواج ، ضيِّقٍ للغاية ، على شاطئٍ رمليٍّ بلون اللؤلؤ .

«أجل ، هذه الصورة . . .؟» تمتم ستين فيدار . «التقطُّها في جزر المالديف . تستطيعون رؤية ذلك في لون الرمل . يعتقد الكثيرون أنَّها أُخذَت في فيجي ، وحينها ، صدِّقوني ، أضحك كثيرًا!»

ضرب بيده على فخذه وضحك . حاول الجالسون من حولي كتم ضحكهم . أمَّا أنا ، فمتوترة إلى درجة جعلتني أحاول التقاط أَنفاسي ،

ما جعل ساري تنظر إلَيَّ رافعةً حاجبيها .

«هل حدث شيء ما؟» همست لي فأجبتها نفيًا بهزَّةٍ من رأسي .

حتى لارش نظر إلَيَّ نظرةً قلقةً .

أخيرًا بدأ كلُّ شيءٍ يعمل في خدمة ستين فيدار عند المنصة ، فضغط حتى وصل إلى ملفِّ الصور المطلوب . ظهرت على الشاشة صورة تُظهر الأرخبيل النرويجي ؛ صخورٌ رماديَّةٌ ضخمةٌ تشكِّل جروفًا حادَّة تهوي نحو بحرٍ داكن الزرقة يلمع عبر المدى باتجاه الأفق . ثمَّ تبدَّل المشهد فصار العلم النرويجي مرفرفًا في الريح .

بدأ ستين فيدار المحاضرة :

«طبيعةٌ جميلةٌ! لكن هل تفيدنا بشيء؟»

طرح عددًا من الأسئلة المماثلة ، وهو ينتقل من واحدة إلى أخرى من سلسلة الصور . فعقبت صورة لقمَّةِ جبلٍ مغطاةٍ بالثلوج ، صورة أخرى لبضعة أكوامٍ من الروث .

«من أعلى قمة جبلٍ إلى أعمق وادٍ سحيق ، نجد أنَّ النرويج أمَّةٌ غنيَّةٌ بالموارد الطبيعيَّة . تكمن المشكلة في أنَّنا لا نجيد الاستفادة من هذه الموارد من دون أن نخلِّف الخراب للأجيال القادمة ؛ أجيالٌ مثلكم . فأنتم أيضًا تريدون الاحتفال بعيدنا الوطني في المستقبل وإلى الأبد ، أليس كذلك؟» سأل الحاضرين الذين لا يتعدُّون كونهم مجموعة من التلاميذ الحائرين .

ضغط ستين فيدار مرَّةً أخرى على أزرار حاسوبه فظهرت صورةٌ

جديدةً : لثلاثةٍ من قنافذ البحر على شاطئٍ ما .

«بدل أن نحفر بحثًا عن النفط ، ربَّما نستطيع تصدير هذه العفاريت الصغيرة؟ تعتبرُ هذه الكائنات واحدةً من أشهى الأطعمة في اليابان! أنا متأكِّدٌ من ذلك لأنَّني الآن هناك!»

بعدما عاد من حلم اليقظة بشوارع طوكيو لبضع ثوانٍ ، ضغط ستين فيدار على الحاسوب مجدَّدًا . صورة لطفلين صغيرين في مرجٍ من الزهور تبعتها صورةٌ لأحد حيوانات الأيل وسط غابةٍ خضراءَ . علَّق ستين فيدار :

«الأيل ملك الغابة . لماذا؟ لأنَّه يعرف كيف يحافظ عليها ، أليسَ كذلك؟ إنَّه يرعى مصالح رعيَّته ورخائهم ، بما في ذلك الأشجار التي يأكل قشورها! أريد أن تتذكَّروا هذا بالذات!»

ضغط ستين فيدار على الحاسوب ثانية وحلَّتْ محلَّ صورة الأيل ، صورةٌ لولدٍ مصاب بمتلازمة داون وهو يكشِّر تكشيرةً قبيحةً .

ظهرت أمامنا صورةٌ ضخمةٌ للارش وكتبت على الصورة عبارة **لارش يا لوول** بأحرفٍ ضخمةٍ امتدت فوق جبهته كعنوانٍ سوقيٍّ .

شهق الجميع . حتى ستين فيدار توقَّف عن الحديث حين لاحظ أنَّ الجميع ينظرون إليه . استدار بسرعة ليرى ما الذي يحدث في الشاشة ، وحين رأى الصورة قال مندهشًا :

«ماذا؟! لارش يا لوول؟»

تجمَّد الدم في عروقي إلى جليد . تململ كلٌّ من لارش وساري

بضيقٍ على كرسيه إلى يساري ويميني .

حاول ستين فيدار إزالة الصورة من على الشاشة مستقتلًا ، لكن حين ضغط على زرٍ لينتقلَ إلى صورةٍ أخرى ، ظهرت صورةٌ جديدةٌ للارش . كانت صورةً أبشع وأكثر إحراجًا له من الأولى . تعالت أصوات الكلام والضحكات الساخرة في أرجاء القاعة ، وكلُّ ما أردته هو أن أضع يدي على أذني كيلا أسمعَ ما يجري . لكن بدل ذلك ، جلستُ واضعةً يدَيَّ على ركبتَي بهدوءٍ من دون أن أحرِّك عضلةً واحدةً من عضلات جسمي . استرقتُ نظرةً جانبيَّةً إلى لارش ، ورأيتُ أنَّه ينظر إلَيَّ بريبةٍ ، لكنِّي لم أجرؤ على النظر إلى عينيه .

سمعت في الوقت نفسه يانِّه تقوم ، خلفي في مكان ما ، وتسير إلى مقدِّمة القاعة .

«ما هذا الذي يحدث؟» سألتِ التلامذة من دون أن يجيبها أحد .

ثمَّ أصيب ستين فيدار بالهلع ، وراحَ يضغط أزرار الحاسوب لينتقلَ في سلسلة الصور التي تكاد لا تنتهي إلى الأمام . لكن كلَّما ضغط تظهر صورةٌ أفظع للارش . أخيرًا وصل ستين فيدار إلى الصورة الأخيرة من السلسلة ، تطلُّ مباشرةً على فتحتي أنف لارش ، تزينها عبارة : شكرًا جزيلًا لأماندا!!

لقد انتهتْ حياتي .

«اللعنة على الشيطان!» سمعتُ ساري تزأرْ .

قام لارش من مكانه إلى جانبي . جريحًا ، يتصبَّب عرقًا وقد احمرَّ

لونه . سالتْ قطراتٌ صغيرةٌ من الدموع على وجنتيه اللتين يغطيهما النمش . التفت إلَيَّ مشيرًا بإصبعه إلى عمق روحي ، وهو ينادي أمام الجميع :

«أماندا!»

ثمَّ سالتْ دموعي أيضًا ، لكنِّي لا أجد التعاطف لدى أحد . نظرتْ ساري إلَيَّ بمزيجٍ من خيبة الأمل والخوف . هزَّت برأسها قليلًا ثمَّ أمسكت بيد لارش وقادته بعيدًا عنِّي . عن المسخ .

شعرت بنظرة آدم إلَيَّ ، لكنِّي لم أجرؤ على مواجهتها .

«أماندا؟» تعالى صوتُ يانِّه من وسط القاعة ، حيث توقَّفتْ أثناء بحثها عن الإجابة .

نظرت إلَيَّ نظرةَ استغرابٍ ، قبل أن تنفجر بغضبٍ حارٍّ كالجمرِ :

«أنتِ! اتبعيني!»

قمتُ من مكاني ببطءٍ . كنتُ مذهولة لأنَّني ما زلتُ قادرةً على أن أتحرَّكَ أساسًا ، وأن أتمكَّن من سير العشرين خطوة تلك باتجاه يانِّه . عندما وصلتُ إليها أدارت لي ظهرها وبدأت تسير مغادرةً قاعة الرياضة . أدركتُ أنَّ عليَّ أن أتبعها . عندما مررت بالتلامذة الذين يحدِّقون بي ، رأيت وجهين راضيين يبتسمان ابتسامةً صفراءَ مفعمةً باللؤم نحوي ؛ أنَّا وكرستينا . لا أثر للخوف في ملامحهما .

اجتاحتني موجةٌ عنيفةٌ من الغضب العارم . رغبت في أنْ أشدَّ شعرهما وشعري حتى أقتلعه من مكانه . أردت أن أرمي الكراسي

من حولي ، وأصرخ عاليًا وأنا أمزِّق ورق الجدران . كم أكرههما . كم أمقتهما! كيف تجرأتا على فعل ذلك؟

وكيف تجرأتُ أنا؟

لقد خسرتُ كلَّ شيءٍ . لقد انتهت الحياة التي أعرفها وليس هناك طريقٌ للعودة . مهما كان ينتظرني في مكتب يانِّه ، ومهما كان العقاب الذي سألقاه ، لن ينجح لحظةً في إصلاح الخراب الذي تسبَّبتُ به . واتضحت الحقيقة المحزنة لي : أنا من تستحقُّ الكراهيَّة . من أكرهه هو أنا وليس أحدًا سواي .

12

ما نخسره
نخسره إلى الأبد

اقتادوني إلى مكتب يانِّه مباشرةً ، المكتب الذي تتقاسمه مع ثلاثةِ معلِّمين آخرين . طُلب منِّي الجلوس على كرسيٍّ منخفضٍ وسط الغرفة ، تحيط بي أربعة مكاتب تغطِّيها الأوراق والملفات والقواميس . فاحت من الغرفة الرائحة المعهودة في الغرف المقفلة ؛ العفن والغبار ، كأنَّه لم يُسمح للهواء بدخولها . ثمَّ هبَّت نسمةٌ تحمل رائحةَ علب اللبن القديمة ، وقشور الموز عبر المكتب . لا أعني بهذا أنَّني أستحق الهواء الطلق النَّظيف ، وأرضيَّات غُسلت حديثًا .

غادرت يانِّه الغرفة مسرعةً ، وتركتني أجلس هناك وحيدةً . للشعور المرعب الذي ملأني طعمٌ شنيعٌ . أبدو من الخارج وكأنَّني تمثالٌ ، حجريٌّ ، باردٌ كالجليد ، بلا حراك . قد يصعب على المرء رؤية حركة قفصي الصدريِّ بسبب قصر أنفاسي ، لكنَّ عاصفةً فوضويَّةً من

المشاعر ثارت في داخلي ، وفاض رأسي بأفكارٍ مرعبةٍ .

تمنَّيتُ أنَّ العقابَ الذي ينتظرني عظيمٌ إلى درجةٍ تساوي فظاعة ما فعلت حقًا ، لكنَّ الشكَّ راودني بوجود عقابٍ بذلك الحجم . القسم الأكبر من أفكاري يدور حول لارش ورغبتي في أن أقول له حالًا إنَّني آسفة ، لكنِّي لم أعرف كيف أفعل ذلك . هل أقترب منه فقط وأقول «سامحني» ، وأنتظر منه أن يسامحني فعلًا؟

فكَّرت في ساري وبحجم خيبة الأمل التي أصابتها . إن كنتُ أعرفها جيِّدًا ، لا بدَّ من أنَّها في حلقةٍ مفرغةٍ ، تسير في دوائرَ وتلفظ الشتائم واللعنات بصوتٍ منخفضٍ ، كما تفعل عادةً حين تغضب كثيرًا أو يخيب أملها كثيرًا . فكرة كوني السبب في جعلها كذلك لا تطاق ، لكن فكرة كوني عاجزةً عن مواساتها وتهدئتها أفظع .

فكَّرت في آدم أيضًا . لم أستطع الامتناع عن ذلك ، وعن أن أتساءل : ترى ما هي الأفكار التي تدور في رأسه عني الآن؟

الأمر الوحيد الذي تأكَّدتُ منه أن لا أحد منهم ؛ لارش أو ساري أو آدم ، يريد أن يراني في الصفِّ بعد ما حصل . هل أُطرد من المدرسة؟ هل هذا ما سيحدث؟ لكن حتى ذلك لا يصل إلى درجةٍ من القسوة تكفي كعقابٍ لي .

بعد مرور عشرين دقيقةً دخلت يانِّه إلى المكتب كعاصفةٍ . بعد أن أجلستني في الغرفة عادت وخرجت في الحال ، بكلِّ تأكيدٍ من أجل أن تهدِّئ من روع لارش ، وتضع الموقف في قاعة الرياضة تحت السيطرة .

ثمَّ وقفت أمامي وسط الأرض المغطَّاة بالغبار راحت تنظر إليَّ ، كأنَّها حاولت أن تفهم كيف استطاع مسخٌ بهذا الحجم الاختباء في جسم فتاةٍ صغيرةٍ ضئيلةٍ مثلي . لم تقل شيئًا ، لكنِّي رأيت الشرايين تنبض تحت الجلد عند صدغيها . إنَّها هائجة . لقد سبق ورأيت يانِّه غاضبة ، لكن ما أراه الآن شيءٌ آخرُ ؛ إنَّه الهيجان .

جلست قبالتي على كرسيٍّ ، لكنَّها لم تقل شيئًا .

«آسفة» قلتُ بصوتٍ أشبه بالصمت .

هزَّتْ يانِّه رأسها ثمَّ قالتْ في نهاية المطاف :

«لا أجدُ كلماتٍ للتعبير عن مدى خيبة أملي .»

تحرَّكتُ لأوَّل مرَّةٍ منذ أن جلست على الكرسيِّ . خفضتُ رأسي باتجاه الأرض . سالتِ الدموع من عينَي كالجداول في فصل الربيع .

«آسفة» ، قلتُ ثانيةً ودموعي ما زالت تنهمر .

«لست أدري ما أقول» ، اعترفتْ يانِّه وهزَّتْ برأسها حتى تراقصت خصلاتُ شعرها .

لم تبدُ غاضبة ، بل حزينة ، مرهقة .

«لستُ أدري ماذا سأفعل بك» ، تابعتْ .

«لا» ، أجبتها . لستُ أدري أنا أيضًا .

«لا تستطيعين أن تستمرِّي كعرَّابةٍ للارش ، هذا هو الأمر الوحيد الأكيد على الأقل .»

«حسنًا . . .» ، أجبتها .

كلُّ الذكريات الجميلة التي احتفظتُ بها من الأوقات التي قضيتُها مع لارش ، تمارين السحر وماكينة الباستا وابتسامته الضئيلة المائلة ، انسابتْ أمام عينَيْ واختفتْ كحلمٍ رائعٍ يتلاشى حين يعلو صوت المنبه . لقد خسرتها إلى الأبد .

شعرت أنَّ يانِّه أدركتْ ، ورأتْ ، أنَّني حزينة فعلًا بسبب ما اقترفتُ ، لكنَّ ندمي لم يكن كافيًا لإقناعها . لذلك تابعتْ :

«لا أستطيع أن أصدِّق أنَّكِ اخترتِ القيام بما قمت به يا أماندا . بعدما أغدقتُ عليكِ المديح والثقة . لقد اخترتكِ أنتِ يا أماندا!»

توقَّفتْ عن الكلام ثمَّ نظرتْ من حولها حائرةً في أرجاء الغرفة . أظنُّ أنَّ الأمر فاجأ يانِّه كليًا ، يانِّه التي قلَّما تكون مستعدةً للتعامل مع المفاجآت ، لكن يبدو أنَّها عاجزةٌ تمامًا عن توقُّع ما حدث بالذات .

«أدركُ أنَّ هناك آخرين شاركوا في هذا الأمر» ، تابعتْ ، «لكن مشاركتك ظهرت للعيان بكلِّ وضوح ومفعمة باللؤم . لقد سبَّبتِ لي حقًا ، حقًا ، خيبة أملٍ كبيرة يا أماندا .»

لم أتمكَّن من إجابتها ، وبقيتُ جالسةً في مكاني مطأطئةً رأسي أذرف الدموع التي تساقطت على الأرض لتمتصَّها السجَّادة .

«أريدكِ أن تخبريني بكلِّ ما حدث» ، قالتْ يانِّه .

ومن دون أيِّ تردُّد فعلتُ ذلك بالضبط . أخبرتها بكلِّ شيءٍ تمامًا كما تذكَّرتُ تسلسل الأحداث ، فبدأتُ من شكوكي الأولى أثناء الرحلة إلى الغابة .

«لكنِّي أظنُّ أنَّ الأمر مستمرٌّ منذ فترةٍ طويلةٍ جدًا، لأنَّ أنَّا وكرستينا دائمًا تلتقطان الصور والفيديوهات للارش .

لم أكن خائفةً من إفشاء الأسماء، لأنَّه لم يتبقّ لديَّ أيُّ طموح بالبقاء محايدة . يجب أن يكشف كلُّ شيءٍ، حتى آخر التفاصيل الصادقة .

أخبرتُها عن هاتف كاي وكيف أخذته أنا وساري وبحثنا فيه . أخبرتُها كيف اكتشفنا وجود موقع معاق كثيرًا جدًا وكيف وجدنا كلمة المرور . أعطيت يانِّه عنوان الموقع وكلمة المرور . استدارتْ بسرعةٍ وسارتْ نحو مكتبها، وتصفَّحتِ المدوَّنة عبر حاسوبها . بدتِ الصدمة في ملامح وجه يانِّه بوضوحٍ، وبانتْ علامات عدم تصديق ما رأتْ على شكلِ طيَّاتٍ في جبهتها . همستْ بصوتٍ منخفضٍ «يا إلهي» عندما أدركتْ حجم حملة الاضطهاد والبلطجة تلك . عندما عادتْ واستدارتْ نحوي، رأيتُ أنَّها تحاول مسح الدموع عن خديها .

عندما وصلتُ إلى الحديث عن كيف حرَّرتُ صور لارش وأرسلتُها إلى أنَّا، لم أجد كلماتٍ للتعبير . الحديث عن الأمر بصوتٍ عالٍ جعله يبدو أكثر سوءًا ورأيت أنَّ خيبة أمل يانِّه تفاقمت .

«كيف استطعتِ أنْ . . .» علَّقتْ بهدوء .

أدركتْ أنَّني لم أكن جزءًا من حملة الاضطهاد منذ البداية، لكنَّها أكَّدتْ على أنَّ ما فعلته على الدرجة نفسها من السوء كما لو أنَّني كنتُ وراء الحملة برمَّتها . أومأتُ برأسي إيجابًا، لأنَّني وافقتها الرأي .

«إنِّي نادمةٌ جدًا» ، قلتُ بعدما أخبرتها بكلِّ شيءٍ .

«أفهمُ ذلك» ، قالتْ يانِّه ، «وجيِّدٌ أنْ تعترفي بذلك . وعلى الرغم من هذا ، أظنُّ أنَّ طريق العودة سيكون صعبًا للغاية .»

عدتُ إلى البيت مباشرةً حالما خرجتُ من مكتبها . قالت إنَّها ستبلِّغ والدَيَّ بالأمر ، لكنَّها تريد إعطائي نصف يومٍ أخبرهما فيه أوَّلًا . شعرتُ بكمٍّ من القلق كاد يدمِّرني في طريقي إلى البيت ، لكنِّي أدركتُ أنَّه ليس لديَّ منفذٌ آخر . لذلك أوَّل ما فعلته حين وصلت البيت أن جلست إلى طاولة الطعام في المطبخ وكتبتُ رسالةً إلى أبي وأمِّي ، رسالةً اعترفتُ فيها بكلِّ ما ارتكبتُ من فظائعَ .

عندما عادا إلى البيت – وأوَّلُ من عاد هو أبي ، حاملًا أكياس المؤن وماكينةً جديدةً لصناعة الباستا ، ثمَّ تبعته أمِّي حين عادت وبين ذراعيها كميَّةٌ كبيرةٌ من الأوراق والصحف المتعلِّقة بعملها – طلبتُ من كليهما الجلوس حول الطاولة . أعطيتهما الرسالة من دون أن أنبس ببنت شفة ، ثمَّ نهضتُ من مكاني ، ودخلتُ غرفتي . أقفلتُ علَيَّ باب الغرفة ، واستلقيتُ فوق سريري . تكوَّرتُ حول نفسي ككرةٍ صغيرةٍ ، وأنا أعرف أنَّهما يجلسان في الخارج ويقرآن .

كتبتُ في الرسالة :

«أمي وأبي الحبيبان ،

لقد خيَّبت أملكما ، ولا أستطيع أن أكون ابنتكما بعد الآن .

لقد خيَّبتُ أملي بنفسي أيضًا . لكن أكثر من خيَّبتُ أمله هو لارش ، لأنَّني خذلتُه وعرَّضتُه للاضطهاد . اكتشفتُ يوم أمس أنَّ أنا وكرستينا تشنَّان حملة اضطهادٍ ضدَّه على الشبكة العنكبوتيَّة ، حيث تنشران صورًا عجيبةً له وتكتبان عنه نصوصًا لئيمة . أردت في الواقع أن أقوم بعملٍ ما لإنقاذه ، لكنِّي بدلًا من ذلك ، أعطيت أنا وكرستينا المزيد من الصور اللئيمة للارش . . . سامحاني . عندما استمعنا إلى محاضرةٍ في قاعة الرياضة اليوم ، وضعتْ أنا وكرستينا الصور التي أعطيتهما إياها في المادة التي قدَّمها ستين فيدار فعُرضت على تلاميذ السنة النهائيَّة كلِّهم .

أرجو أن تسامحاني . إنَّني آسفةٌ جدًا ونادمة كثيرًا على ما فعلت .

أماندا»

بقيتُ طويلًا في غرفتي . أتى أبي وقرع الباب مرَّتين بصوتٍ منخفضٍ «أماندا؟» عبر الباب ، وحاولتْ أمِّي بصوتٍ أعلى مرَّةً . من جهة ، لم يكن لديَّ ما يكفي من الطاقة ، ومن جهة أخرى لم أعرف بماذا علَيَّ أن أجيب إن سألاني «لماذا؟» .

فكَّرت لثانيةٍ أن أحزم أمتعتي كلَّها ، لأنَّني فكَّرت أنَّ أبي وأمِّي يريدان إرسالي ربَّما إلى مكانٍ بعيدٍ يليق بمن هم على شاكلتي . لكن لم أجد الطاقة على فعل ذلك أيضًا . كأنَّ جسدي كلَّه تجمَّد ، وكأنَّ

الحركة الوحيدة التي استطعت القيام بها أن أرتجف .

سمعتُ صوت أمِّي وصوت أبي في الرواق ، يتحدَّثان معًا ، ويتحدَّثان في الهاتف مرارًا . أظنُّ أنَّهما تحدثا مع يانِّه أوَّلًا ، ثمَّ مع بانت . سمعت تمتمةً وأجزاء من جملٍ على طراز «نحن حزينان جدًا» و«أوافقك الرأي تمامًا ، لا بدَّ من معالجة الأمر» . ألَّف الصوتان معا لحنًا حزينًا تردَّد صدى رنينه عبر أرجاء المنزل .

على الرغم من ملايين الأفكار التي دارتْ في رأسي ، وعلى الرغم من تراكم المشاعر في جسدي إلى درجةٍ جعلتني أرتجف ، إلَّا أنَّني غفوت في النهاية . كان نومي مفعمًا بالقلق وحلمت بأنِّي أسير في ساحة المدرسة بينما الجميع يرميني بحبَّاتٍ من البرتقال المتعفِّن . نهضتُ مرتجفةً . عندما غفوتُ ثانيةً حلمتُ بأنِّي طُردتُ من المدرسة ، ووجدت نفسي واقفةً على الرصيف في الجهة الأخرى من البوَّابة أنظر بشوق إلى أصدقائي القدماء .

كان اليوم التالي كابوسًا حقيقيًا . أُجبرت على الذهاب إلى المدرسة ، لأنَّ أبي وأمي لم يسمحا لي بالبقاء في البيت . كما في الحلم تمامًا ، وقفت لعدَّة دقائق على الرصيف في الجهة الأخرى من الشارع ونظرتُ إلى المدرسة . ترى ، هل ما زال لي مكان هنا؟ هل سيرمونني بالبرتقال المتعفِّن ، كما فعلوا في الحلم؟ هل سيتجاهلني كلٌّ من ساري وكاي ولارش؟ وكأنَّني لم أعد موجودة؟

في الحقيقة ، لا أعتقد أنَّني سأتخطَّى المأزق بهذه السهولة ، ولذلك

رحت أستعدُّ لسماع أصوات الشجب العالية ، ولرؤية مشنقةٍ عُلِّقت في وسط ساحة المدرسة . عندما دخلت عبر البوَّابة ببطءٍ ، لم أجد مشنقةً هناك ، بالطبع ، لكنِّي شعرت بنظرات الجميع تتَّجه إليَّ .

لم يرمني أحدٌ بالبرتقال ، لم يصرخ أحدٌ في وجهي ، لكن الهمس أفظع من ذلك . سرت بخطًى سريعةٍ عبر الساحة ، منكِّسةً رأسي ، وتسلَّلتُ عبر الباب ثمَّ سرت عبر الممرِّ الطويل الذي يؤدِّي إلى غرفة الصفِّ . عدد الناس هنا أقلُّ فتنفَّستُ الصعداء ونظرت أمامي ، لأجد فقط أنَّ في طريقي عقبة ، عبارة عن فتاتين ربطتْ كلٌّ منهما شعرها بجديلة حازمة ، وفي شحمة أذنَي كلٍّ منهما أقراطٌ من اللؤلؤ .

«مرحبًا ، يا شريكة» قالت أنَّا بانشراح .

«مرحبًا» ، أجبتها بلا مبالاة ، لأنَّه لم يكن لديَّ ما يكفي من الطاقة كي أبالي .

عندها اكتشفت أنَّ هناك جانبًا إيجابيًا ضئيلًا لكلِّ ما حدث . لأوَّلِ مرَّةٍ على الإطلاق شعرت أنَّني فعلًا لا أبالي بما تقوله ، أو تفعله كلٌّ من أنَّا وكرستينا .

«ماذا تريدان؟» سألتُ بصوتٍ يخلو من أيَّةِ نبرةٍ .

«نريد أن نتحدَّثَ فقط» ، قالتْ كرستينا ، وهزَّتْ كتفيها .

بدأتُ السير عبر الممر من دون أن أجيب .

«لا ضرورة للتوتر» ، قالتْ أنَّا ، «إنَّني أعني ما أقول ، نريد أن نتحدَّث إليك فقط .»

توقَّفت وفقًا لعادتي القديمة كأنَّني مدينةً لها بشيءٍ ، ووقفت ، ورحت أتمايل قليلًا . كنَّا وحيداتٍ تمامًا في الممر .

«أو بالأحرى» ، بدأتْ أنَّا تقول ، «نريد في الحقيقة إخبارك بأنَّنا أدركنا أنَّك وشيتِ بنا ، أيَّتها الواشية .»

ضحكت كرستينا بسخريةٍ . بدتْ ضحكتها كشخير حصانٍ ينفخ الهواء من أنفه وفمه فرحًا حين تُقدِّمُ إليه جزرةً صغيرةً . هززت رأسي ، واستمتعت بالشعور بأنَّني لم أعد أخشاهما .

«من الواضح تمامًا أنَّني سأفعل» ، أعلمتهما .

«لا» ، قالت أنَّا . كان بإمكانك أن تتركي المدوَّنة وشأنها . ظننَّا فعلًا أنَّك صرت واحدةً منَّا .»

أن أصبح واحدةً منهما كان حلمًا بالنسبة إلَيَّ . أو فكرةً كانت تسليني عندما لم أكن بصحبة ساري ، أو عندما أسمع أنَّ أنَّا وكرستينا في زيارةٍ إلى أحد الأسواق التجارية ، أو أحد الملاهي المائيَّة أثناء عطلة نهاية الأسبوع ، والتقتا بشبَّانٍ من شبَّان المدارس الأخرى . لكن ذلك الحلم بدا الآن قصيًا إلى أبعد الحدود ، ولذلك ضحكت بوجه أنَّا ضحكةً ساخرةً .

«في كلِّ الأحوال» ، تابعتْ أنَّا ، «العقوبات الجماعيَّة والعقوبات الجسديَّة ممنوعة ، لذلك لم تستطع يانِّه فعل أيِّ شيءٍ . كلُّ ما فعلته أنَّها قالت إنَّ علينا أن نعمل كعمَّال المسرح أثناء عرض عيد الميلاد الفنيِّ ، بدلًا من القيام بدور وحيد القرن . ثمَّ إنَّ علينا أن نذهب إلى

أخصائيَّةٍ اجتماعيَّةٍ لنجلس في مجموعة ونتحدَّث عن الاضطهاد . . . فليكن إذًا . أبي وأمي في جزر المالديف ، وليس في البيت سوى خادمتنا الفليبينية كساندرا . لم تفقه من الأمر شيئًا ، وضحكت فقط حين قلت لها (مضحكٌ) ، كما في **لارش مضحك** .»

«مضحكٌ» ، نبحت كرستينا ، التي بدا لونها على درجة أكثر بهتانًا من البارحة .

«هاها ، حسنًا» ، قالت أنَّا قبل أن تتابع كأنَّني صديقتهما حقًا ، «والعقاب الذي تلقَّته كرستينا هو أنَّها منعتْ من مغادرة المنزل في أوقات الفراغ . لكن الأمر فعلًا يستحقُّ كلَّ هذا . الأثمان كلها لا تساوي شيئًا مقابل ما فعلناه بكِ . ما فعلناه بكِ أفضل من كلِّ ما يتعلق بموقع معاق كثيرًا جدًا .»

فكَّرت في قول شيءٍ عن الصورة التي أحتفظ بها في البيت ، الصورة التي تبدو فيها أنَّا عارية وهي تجلس على نونية زهرية اللون على الرغم من أنَّها كبيرة جدًا على الجلوس فوقها . عدت وفكَّرت أنَّ ما حدث حتى الآن يكفي . إن واصلتُ ستستمرُّ حلقة الشرِّ المفرغة ، وهذا ما لا أريده . أريد فقط وقف الاضطهاد والبلطجة .

«ماذا فعلتُ بكِ؟ حقيقة؟» سألتني كرستينا بفضولٍ حقيقيٍّ .

«لقد خسرت لارش» ، أجبتها باقتضاب .

«هاها!» ضحكتْ أنَّا بسخرية .

«هذا ليس عقابًا في الواقع . لقد تمَّ إعفاؤك في الحقيقة! لقد قدَّمنا

لكِ خدمة جليلة بهذه الطريقة!»

شعرت أنَّ الدموع بدأت تسيل من عينَيَّ ، فاستدرتُ وسرتُ بطريقةٍ سريعةٍ جعلتهما عاجزتين عن إيقافي . تسلَّلت إلى غرفة الصفِّ ، وقوبلت بما يشبه ألف عينٍ جاحظةٍ تحدِّق بي . سالتِ الدموع فوق وجنتَي ، وأسرعتُ نحو الإنسانة التي كانتْ دائمًا بمثابة الأمان بالنسبة إلَيَّ : ساري .

تجلس وكأنَّها تحجَّرت في مكانها ، وظلَّتْ تحدِّق إلى الأمام حين جلستُ إلى جانبها . سالتْ دمعةٌ فوق خدِّي وسقطت على الطاولة أمامي .

«سامحيني . . .» ، همستُ لها ، لكنَّها تجاهلتني .

اكتشفتُ أنَّ لارش لا يجلس في مكانه ، وهذا زاد من شعوري المتصاعد دائمًا بتأنيب الضمير . لم يحضر الحصة الأولى ، ولم يحضر بقية اليوم الدراسيِّ كلِّه . أعلم أنَّني المذنبة حين يغيب التلميذ الذي تبنَّيته ؛ لأنَّه لن يستمتع بيوم دراسيٍّ عاديٍّ ، لكنِّي فكَّرت في الوقت نفسه أنَّ ذلك شيء إيجابي . كلُّ ما يتحدَّث عنه الجميع هو الاضطهاد والمدوَّنة التي نشرت صورًا لئيمة للارش .

سار ما تبقَّى من اليوم كالتالي : حاولتُ منع الدموع من أن تتدفَّقَ من عيني بلا انقطاع ، ساري تجاهلتني ، الناس همسوا من حولي أينما ذهبت ، عجزتْ يائِّه عن النظر إلى عينَيّ ، وأنَّا وكرستينا ضحكتا ضحكاتِ إناث الضباع كلَّما مررت بهما في الممر . عندما حان موعد

الحصة الأخيرة كنتُ قد انتهيت ، لكنِّي أيضًا قد تعوَّدت على سير أيَّامي الجديدة . عندها حدث الأمر غير العادي : دفعتْ ساري بورقةٍ واضعةً إيَّاها أمامي على الطاولة .

حاولتُ أن أنظر إليها لكنَّها نظرتْ بعيدًا إلى الجهة الأخرى . أمسكتُ بالورقة للحظاتٍ قبل أن أفتحها لأقرأها . وجدتُ فيها قصيدةً قصيرةً :

«العائلةُ عبارةٌ عن قرابة الدم .
الأصدقاء هم العائلة التي تختارها أنت .
لكنَّهم قابلون للاختيار مرَّةً واحدةً ، ولا يمكن اختيارهم ثانيةً .
عندما تذبل وردةٌ فقد ماتت ، حتى لو عاد فصل الربيع .
ما نخسره ، نخسره إلى الأبد .»

كلُّ ما حبسته في داخلي طوال النهار خرج دفعةً واحدةً على هيئة نشيجٍ عظيم ، تبعه بكاءٌ فقدتُ السيطرة عليه كليًا . تدفَّقتِ الدموع من عينَيّ ، ولاحظتُ أنَّ المخاط سال من أنفي نحو فمي . ناولتني ساري منديلًا والدهشةُ باديةٌ عليها بينما أسرعت يانِّه إلَيَّ .

«لكن يا أماندا . . .» ، بدأت حديثها ، ووضعت يدها فوق كتفي .

تابعتُ النواح من دون أن أتمكَّن من التوقُّف ، وشعرتُ أنَّ ساري وضعت يدها على كتفي الثاني . لماذا فعلتِ ذلك؟ لماذا تواسيني؟

الآن؟ بعدما سلّمتني رسالة الوداع؟ ما نخسره ، نخسره إلى الأبد . حالما قالتْ إنّها لا تريد أن تكون صديقتي ، عائلتي ، بعد الآن؟ في مكان ما في أعماقي هناك أملٌ بأنّ ساري ستسامحني . بأنّها ، أكثر الناس الذين أعرفهم حكمة ، ستنجح في رؤية الأمر من كلِّ الزوايا ، بأنّها سترى من أنا وبأنّها ستساعدني ، كما تفعل دائمًا .

لقد تحمّلتُ تجاهل ساري لي ، وفكّرتُ أنّ ذلك ضروريٌّ . أدركتُ أنّها لا تستطيع أن تسامحني ، وأن تكون صديقتي الحميمة ثانيةً في الحال ، لكنّي لم أتوقع أن تنهي علاقتها بي بتلك الطريقة ؛ أن تخذلني .

كنهرٍ جارفٍ أصابتني موجةُ الشعورِ بالوحدة ، وأغرقتني في مستنقعٍ من الحزن لا قعرَ له . أدركتُ عندها كم أنا وحيدة فعلًا . بلا أصدقاء .

قمتُ من مكاني بسرعة ، ورميتُ حقيبة الظهر فوق كتفَيّ . تمتمتْ يانِّه لتقنعني بالبقاء إلى أن تنتهي الحصّة ، لكنّها توقّفتْ وقرّرتْ أن تسمح لي بالمغادرة .

علَيَّ أن أعود إلى البيت ، لكنّي لا أقوى على اتباع الطريق المعهود . لا أقوى على التفكير بشفقة أبي علَيَّ ونظراته الحزينة حين يلاقيني عند الباب . لا أقوى على التفكير بخيبة أمل أمّي التي تخفيها بالتعمُّق في صحيفةٍ ما ، والتظاهر وكأنّ شيئًا لم يحدث . لا أقوى على أيِّ شيءٍ إطلاقًا ، بل استمرُّ في السير خارجًا على الرغم من تساقط المطر . أصابتني هبّاتٌ عنيفةٌ للريح ، آتيةً من جهة الغرب ، واخترقتْ

سترتي الخارجيَّة إلى أن وصلت عظامي . شعرتُ بأنَّ جسدي تجمَّد ، وتحوَّل إلى جليدٍ ، وصارتْ مفاصلي كلُّها تؤلمني ، لكنَّ ذلك كلَّه لا شيءَ مقارنةً بخسارة أعزِّ صديقةٍ على قلبي .

13

مكتبة ياسمين
telegram @
yasmeenbook

آسفة

الأيَّام التي تلت كانت طويلة ووحيدة . أسير وحيدةً إلى المدرسة وأعود وحيدةً أيضًا . تبعت الآخرين في المدرسة وكأنَّني خفيَّةٌ عن الأنظار ، وفي أثناء الاستراحة وقفت وحيدةً في إحدى الزوايا . شعرت وكأنَّني أفعى سامَّة لا يجرؤ أحدٌ على الاقتراب منِّي ، فيما لو خطر لي أن ألدغه .

أجواء الصفِّ مختلفةٌ تمامًا عمَّا كانت عليه سابقًا – كلامٌ أقلُّ ، ضحكٌ أقلُّ ، حياةٌ أقلُّ . لقد أحضرتْ يانِّه سلةً ووضعتها عند الباب . على الجميع أن يضع هاتفه الجوَّال فيها مع بداية الحصَّة الأولى . ثمَّ يستعيده بعد انتهاء الحصَّة الأخيرة . كان إجباريًا وضع اسم صاحب الهاتف عليه ، وتقوم يانِّه بعدِّها يوميًا . إن لم تجد هاتف أحد التلاميذ تفتّش جيوبه ، ليتثبَّتْ لها أنَّه لم يخفِ الهاتف في مكان ما . حتى أنّا

وكرستينا تبعتا النظام الجديد رغمًا عن إرادتهما .

ما جرى بعد الذي حدث في قاعة الرياضة ، أنَّ يانِّه غيّرتْ أماكن الجميع في الصفِّ . نُقِلتُ من جانب ساري ، وقد شعرتُ بأنَّ ذلك سهَّل الأمور علَيَّ بعد الرسالة القاسية . نُقِلَتْ ساري إلى جانب كاي ، وهذا جعلني أحسُّ بالظلم ، وبغرابةٍ في الأمر ، لكنِّي لم أقدر على الاعتراض . ثمَّ فُرِّقَتْ أنَّا عن كرستينا أيضًا ولم تعودا قادرتين على الجلوس سويَّةً ، بل وُضِعَتْ كلٌّ منهما في ناحيةٍ إلى جانبَي الصفِّ . الوحيدان اللذان بقيا في مكانيهما سويًا هما لارش وآدم . أمَّا أنا فأجلس في الصفِّ بعد الأماميِّ في الجهة الأخرى من الغرفة ، بموازاة المكان الذي جلس فيه لارش وآدم . بالقرب من كارشتن . وكارشتن يحدِّثني فقط عندما يريد أن يستعير ممحاتي .

واضطررت إلى الذهاب إلى الأخصائيَّة الاجتماعيَّة . ذهبت وحدي مرَّتين ثم ثلاث مرَّاتٍ برفقة أنَّا وكرستينا وبعض الآخرين الذين شاركوا في المدوَّنة ، بمن فيهم كاي . لم أقل شيئًا في اللقاءات الجماعيَّة إلَّا عندما أجبرتني الاخصائيَّة الاجتماعيَّة ، ماريت . قلت عندها إنَّني نادمة ، وأتمنَّى لو أنَّني لم أفعل ذلك قطُّ . أومأت عندها ماريت برأسها متعاطفةً بينما شخرت أنَّا وكرستينا وضحكتا ضحكةً متهكِّمةً . ماريت امرأةٌ نحيفةٌ يكاد الشيب يغزو شعرها حول الأذنين . عندما ضحكت كلٌّ من أنَّا وكرستينا تظاهرت ماريت وكأنَّها لم تسمعهما ، فهي تقول إنَّها تقصد تجاهلهما . إذ إنَّها لا تريد أن تقوِّي

موقفهما بطاقةٍ إيجابيَّةٍ تكمن في الانتباه إلى ما تقومان به ، لكنِّي شعرت بأنَّ ذلك خطأ ؛ لأنَّني أعرف كم من التأنيب تستحقَّان .

الحديث مع ماريت أسهل حين أكون وحدي معها . إنَّها تجيد الاستماع ولا تحكم عليَّ بقسوة . تقول أحيانًا أشياء مثل «الضغط الجماعيُّ مسألة صعبة» وإنَّها «تقدِّر موقفي» . وشعرت أنَّني أحيانًا أستمع إلى ما تقول فعلًا ، لكن في معظم الأحيان كلامها يدخل أذني اليمنى ليخرج من اليسرى . فقد جلست عندها أفكِّر بأمورٍ أخرى تمامًا . أتساءل مثلًا عمَّا تفعله ساري في تلك اللحظة ، ومن يرافق لارش حاليًا ، وإنْ كان أيٌّ منهما يفكِّر بي أم أنَّهما نسياني تمامًا؟

في أحد الأيَّام قالت ماريت : «أن يكره المرء نفسه أسهل بكثير من أن يكره الآخرين» ، وأظنُّ أنَّ ذلك صحيحٌ . فأنا أكره نفسي أكثر ممَّا أكره أنَّا وكرستينا حتى وإن بدا الأمر منافيًا للمنطق . يساعدني عندها الحديث إلى ماريت ، لأنَّها تقول إنَّ الخطوة الأولى نحو العفو هي أن يعفو المرء عن نفسه . أحاول أن أعفو عن نفسي ، لكنَّ ذلك صعبٌ للغاية .

باستثناء ماريت ، لا أحد تقريبًا يخاطبني ، ما عدا الأساتذة ، وبعض تلاميذ الصفِّ حين يضطرون إلى ذلك ، أي حين نقوم بعملٍ جماعيٍّ . لست أدري إن كان الحال أفضل بالنسبة إلى لارش . حتى وإن كان الناس يوجهون الكلام له ، وربَّما أكثر من السابق ، فإنَّهم يفعلون ذلك لأنهم يشفقون عليه فقط ، أو بسبب تأنيب الضمير . ثمَّ

إنَّهم لم ينسَوا الصور . لقد أفشت أنَّا كلمة المرور للجميع ، وحتى إنْ لم يعترف أحدٌ بذلك ، أظنُّ أنَّ غالبيتهم زار مدوَّنة معاق كثيرًا جدًا . بعضهم حرص على حفظ الكثير من الصور قبل أن تقفل يانِّه المدوَّنة ، لذلك تمَّ تداولها لفترةٍ بعد الحدث . ثار جنون المسكينة يانِّه حين اكتشفت أنَّ أحدًا ما نسخ الصور وعلَّقها في غرفة تبديل الملابس . لقد زادت أشغالها كثيرًا حاليًا .

لم تخاطبني ساري ولو بكلمة واحدة ، ولم أخاطبها أيضًا بعد رسالة الوداع التي سلَّمتني إيَّاها . تألَّمتُ كثيرًا في الأيَّام الأولى . افتقدتها كثيرًا على الرغم من أنَّها قربي طوال الوقت ، في غرفة تبديل الملابس بالقرب من قاعة الرياضة ، أو حين أراها فجأةً في ساحة المدرسة على بعد بضعة أمتار منِّي . لكنِّي قرَّرت فورًا احترام رغبتها في ألَّا تكون بيننا صداقةٌ بعد الآن .

ابتسم كاي لي بصمتٍ بضع مرَّاتٍ ، لكنَّه لم يكلِّمني حتى الآن . ولم يكلِّمني حتى عندما التقينا عند الأخصائيَّة الاجتماعيَّة ، على الرغم من أنَّه ارتكب أخطاء هو الآخر ويكاد يكون مذنبًا مثلي . أعلم أنَّه أُجبر على الحديث إلى يانِّه ، ومع والديه الصارمين جدًا . أظنُّ أنَّه تلقَّى عقابه . على الرغم من ذلك ، لا أظنُّ أنَّ عقابه قاسٍ كعقابي ، لأنَّه مازال لدى كاي أصدقاء .

لقد قطعت الأمل كليًا في ما يتعلق بآدم . لقد صرت معلِّمةً بتحاشيه ، وأحرص دائمًا على الوقوف في نهاية الطابور في صالة الطعام

حين يقف في أوّله . ثمَّ إنّني أحرص على أن أكون آخر من يدخل الصفَّ بعد الاستراحة حتى لا أضطر إلى لقائه في الممرِّ .

ثمَّ هناك لارش . لا أستطيع النظر إليه من دون أن تسيل دموعي . أكره نفسي بسببِ الذنب الذي اقترفته بحقِّه ، وفي الوقت نفسه لا أعلم كيف أكفِّر عن ذنبي . قلت آسفة ألف مرَّة . لكنَّه عندها ينظر إلَيَّ بصمتٍ فقط قبل أن يسير في طريقه . أرسلتُ إليه رسائل ، لكن حين آتي إلى المدرسة في اليوم التالي أجدها ملقاةً على مقعدي ، من دون أن يفتحها ويقرأها .

ثمَّ إنَّ الذنب ذنبي في أنَّه لا يقضي الكثير من الوقت في الصف بل مع معلِّمه الخاص الذي أعرف أنَّه لا يحبُّه كثيرًا . لا أراه يقف على الخطِّ الجانبيِّ للملعب كي يشجِّع لاعبي كرة القدم أو يصافحهم ، بل أراه يقف وحيدًا في إحدى زوايا ساحة المدرسة ، ويهمس بعباراته السحريَّة للهواء . عندما يقترب أحدٌ من تلاميذ الصفِّ منه ، أو يسأله عمَّا يفعله ، يجيبه باقتضاب أو لا يجيبه نهائيًا . وكلَّما رأيت ذلك يحدث علمتُ أنَّ الذنب ذنبي . لا أستطيع أن أغفر لنفسي ، على الرغم من أنَّ ماريت تقول إنَّها الخطوة الأولى .

قرَّرتُ في أحد الأيَّام وبعد انتهاء دوام المدرسة أن أذهب إلى بيت لارش . شعرت وكأنَّني يائسة لكنِّي شعرتُ أيضًا أنَّ ذلك ضروري . لم ينفع كلُّ ما فعلتُه . فكَّرت أنَّني لو عدتُ وجلستُ في مطبخه ، بين أدوات الرسم كلِّها المنثورة فوق الطاولة ، قد يتذكَّر لارش كلَّ ما كان

جميلًا بيننا ، ويسامحني على الرغم من كلِّ شيء .

عندما عبرتُ البوَّابة ، وسرتُ فوق الممرِّ الضيِّق باتجاه الباب الخارجيِّ للبيت ، فتح بانت الباب . ابتسم لي ولم يبدُ غاضبًا على الإطلاق ، وهذا ما أخافني قليلًا .

«هل لارش هنا؟» سألتُ وكدتُ أعجز عن النظر إلى عينيه .

«لا» ، أجاب بانت . «لم يعد إلى البيت بعد .»

بقيتُ واقفةً في مكاني أنقل ثقلي من قدمٍ إلى قدمٍ ، وحاولت أن أوضِّح :

«أردتُ فقط أن أقول له إنِّني آسفة .»

«أجل ، أفهم ذلك» ، قال بانت برقَّة .

ساد الصمت ثانيةً ، وكنتُ على وشك أن أستدير كي أغادر ، عندما تنحنح بانت :

«م . لكنَّك تستطيعين أن تدخلي وتشربي القهوة مع الحليب خلال انتظارك لارش؟»

«أجل!» قلتُ من دون أن أفكِّر ولو لثانيةٍ . مجرَّدُ التفكير في مطبخ بانت يجعلني أشعر بالدفء في جذور قلبي .

ابتسم بانت ووقف جانبًا كي يفسح لي الطريق لدخول الرواق الذي تعمُّه الفوضى . نزعتُ حذائي برفستين من قدمَيّ كما تعوَّدت أن أفعل هناك . ثمَّ عدتُ والتقطتُ حذائي بسرعة ، ووضعته في الزاوية بوضعٍ أنيقٍ . علَّقتُ سترتي الخارجيَّة على خطَّافةٍ تعجُّ أساسًا بعددٍ

كبيرٍ من سترات بانت ، ووضعت حقيبة الظهر على صندوقٍ وُضع في وسط الغرفة الصغيرة .

دخل بانت قبلي ، وعندما عبرتُ الرواق استغرقتُ وقتًا وأنا أتأمَّل كلَّ ما هناك . الجدران التي تمتلئ بصفوف الملفَّات ، بالأوراق والصور القديمة ، والمرآة المشروخة التي تلوي وجهي بطريقةٍ تجعلني أضحك دائمًا ، لكن ليس هذه المرَّة . رائحة الكتب القديمة والغبار تملؤني بشعور الفقد . أشعر بالحزن حين أدرك أنَّني خسرت كلَّ هذا إلى الأبد . في تلك اللحظة فقط أدركتُ كم يعني لارش وبيته بالنسبة لي . هنا ، في هذا البيت ، شعرتُ أنَّني حرَّةٌ .

عندما دخلتُ المطبخ كان بانت يقفُ منحنيًا فوق ماكينة صنع القهوة .

«قهوة بالحليب؟» سأل بمرحٍ واستدار نحوي .

أومأتُ برأسي إيجابًا وجلست عند طاولة المطبخ التي مُلئَتْ بالصحف وأقلام التلوين وأوراقٍ مليئة بعباراتٍ سحريَّةٍ غير مكتملة . وضع بانت فنجانين ضخمين على الطاولة وجلس قبالتي .

«كيف حالك يا أماندا؟» سألني بلطف .

«آسفة» ، همست ، لأنَّني أردتُ أن أقولَها لبانت منذ فترةٍ طويلةٍ . سامحني على اضطهادي للارش . سامحني على هدمي لكلِّ ما كان بيننا .

«شكرًا» ، أجاب بانت . «سماع ذلك يخفِّف الألم . دُهشت جدًا

عندما اتصلت بي يانّه . كدتُ لا أصدق ما قالتْ .»

«لا . . .» ، أجبتُه وجاهدتُ كي أحبس دموعي .

«ما حدث دمَّرَ لارش تقريبًا» ، تابع بانت . «كان حزينًا جدًا في الحقيقة . الثقة بالآخرين ليست أمرًا سهلًا بالنسبة إليه ، ودخول حيِّز ثقته يكلِّف الكثير .»

أومأتُ برأسي .

«لكنِّي أظنُّ أنّه يفتقدكِ أيضًا» ، أنهى بانت حديثه .

نظرتُ إليه . يجلس حاملًا فنجان القهوة بين يديه وينظر إلَيَّ . كنتُ على وشك أن أقول شيئًا حين قاطعني صوت الباب الخارجي الذي فُتِحَ ثمَّ أُغلِقَ . ظلَّ بانت جالسًا بهدوء ، منتظرًا دخول لارش المطبخ ، كما يفعل دائمًا حين يعود إلى البيت . لاحظتُ أنَّ القلق بدأ ينمو داخلي ، لكنِّي نجحتُ في إخفائه . وكي أفعل ذلك ، حدَّقتُ بلارش بحدَّةٍ .

توقَّف لارش عندما رآني . نظر نظرةً حانقةً إلى بانت قبل أن يقول :

«أماندا غير مُرحبٍ بها هنا .»

أصابتني كلماتُه كطعنات السكاكين في قلبي ، وكان علَيَّ أن أركِّز تفكيري كثيرًا حتى لا تسيل دموعي . نظر بانت إلى لارش للحظة قبل أن يقول بهدوء :

«لقد أتت أماندا إلى هنا لتقول إنَّها آسفة .»

نظر لارش إلى والده نظرةً حادَّةً ، ويبدو أنَّهُ لا ينوى إطلاقًا قبول

اعتذاري . استدار بسرعةٍ وغادر المطبخ . سمعته يسير عبر الممرِّ ويصعد الدرج إلى غرفته في الطابق العلوي . ثمَّ انهمرت دموعي ، وتبعها نشيجٌ عميقٌ . وضع بانت يده على كتفي .

«أنْ نعتذر يا أماندا شيءٌ» ، قال مشفقًا ، «وأنْ نظهر مدى الحزن الذي نشعر به حقًا ، شيءٌ آخر .»

أعطاني بعض الوقت كي أنوح براحتي مرَّاتٍ عديدةٍ قبل أن يتابع :

«تعلمين أنَّ لارش رجلٌ قليل الكلام ، لكنَّه رجلُ أفعالٍ أكثر . ربَّما عليكِ أن تحدِّثيه بلغته ، كي يفهمك بطريقةٍ أفضل .»

ربَّما فهمتُ ما قاله بانت ، وعلى الرغم من ذلك لم أفهم . لكن ما أهميَّة ذلك إنْ كان لارش لا يريد سماع اعتذاري؟ الأمر ميؤوسٌ منه في تلك الحال .

«شكرًا» ، نجحتُ أخيرًا في أنْ أقول ما بين النواح وتدفُّقِ المخاط من أنفي .

«أظنُّ أنَّ الأمور ستكون على ما يرام» ، أجاب بانت متفائلًا ، لكنِّي لم أكن متأكِّدةً من ذلك مثله .

قمتُ وتبعني بانت إلى الرواق حيثُ أخذتُ أغراضي استعدادًا للمغادرة . شعرتُ بالحزن حين فكَّرتُ بأنَّها ربَّما المرَّة الأخيرة التي أدخلُ فيها ذلك البيت ، والمرَّة الأخيرة التي أشرب فيها القهوة بالحليب في مطبخ بانت الأزرق .

«لقد اشترى والدي ماكينة لصنع الباستا» ، قلتُ فجأةً ، وكأنَّها

محاولةٌ أخيرةٌ يائسةٌ للتظاهر بأنَّ كلَّ شيءٍ مازال كما كان في السابق .

«رائعٌ!» قال بانت . «لقد صرتِ محترفة الآن . عليكِ أنْ تعلِّميه كلَّ ما تعرفين عن استخدامها ، وأخبريني إن كان لديكم تساؤلات حولها!»

شكرتُ بانت ، وأنا أعلم أنَّ ذلك لن يحدث أبدًا . وأنَّني حين أخرج من الباب ويغلقه بانت خلفي ، سيكون ذلك الباب مغلقًا في وجهي دائمًا . صار لارش ذكرى لحلمٍ جميلٍ حلمته مرَّةً ، منذ زمنٍ بعيدٍ .

14

من الذي قذف الكرة؟

مرَّت الأسابيع ، ووصلنا فجأةً إلى نهاية تشرين الثاني/ نوفمبر من دون أنْ تحصل تغييرات كثيرة . ما زلتُ أذهب إلى المدرسة ، وأعود إلى البيت وحدي ، وأقضي فترةَ بعد الظهر مع أمِّي وأبي . في لحظات اليأس القصيرة أمسكُ بأحد كتب هاري بوتر وأحاولُ القراءة . لكن الأمر في غاية الصعوبة لأنَّني كلَّما وصلتُ إلى مكانٍ في النص يغريني بالضحك ، شعرتُ بالحزن ؛ لأنَّه يذكِّرني بلارش ، وبكلِّ الأشياء الجميلة التي خسرتُها .

وقفتُ خلال الاستراحة من دون صحبة الأصدقاء في إحدى زوايا ساحة المدرسة . أشاهدُ الآخرين وهم يلعبون كرة القدم أو يلاعبون تلاميذهم بالتبنِّي . عند إطارات التسلق رأيت ساري تساعد تيريه على الصعود ، وإلى جانبها حفرَ كاي ومارتينوس قناةً تجمع كلَّ ما

تساقط هناك من ماء المطر في حفرةٍ . داسَ مارتينوس فجأةً في الماء وبدأ كاي يضحك . ثمَّ اكتشف في ما بعد أنَّ مارتينوس حزينٌ فعلًا ، فسار معه باتجاه الباب ، ليساعده ، بالتأكيد ، على تغيير جوربيه اللذَين تبلَّلا . حتى أنَّا وكرستينا لعبتَا مع تلميذيهما . لقد بنتا ما يشبه المضمار لسباق الحواجز بين المستنقعات الصغيرة التي تجمَّعتْ فيها مياه المطر وسط الساحة .

نظرتُ من حولي ولم أجد لارش ، وتساءلتُ كيف ستكون الأمور لو أنَّني بقيتُ عرَّابةً له . تساءلتُ إن كنت سأبقى على تردُّدي عن اللعب معه على مرأى من الآخرين ، أم سأتعلَّم كيف أتحرَّرُ من الخوف وأنطلق كما أفعلُ في بيته ، عند بانت؟ سأبقى على الأرجح على ما عليه دائمًا من الجبن ، ولن أجدَ الجرأة .

يانِّه مهمومةٌ ؛ لأنِّي أقضي الكثير من الوقت لوحدي . أتتْ إلَيَّ أثناء الاستراحة .

«لماذا لا تشاركين في لعبة كرة القدم؟» سألتني بصوتٍ عالٍ .

«مم ، لستُ أدري» ، أجبتُها . «أحبُّ مشاهدتها .»

«حسنًا» ، تابعتْ . «لكن يا أماندا ، أريدُ أن أسألكِ : هل ترغبين في أن تكوني عضوًا في اللجنة القائمة على العرضِ الفنيِّ لعيد الميلاد؟ هي مؤلَّفةٌ من أشخاصٍ قلائلَ اختيروا ، وتُعقَدُ اجتماعاتُها كلَّ أربعاء بعد انتهاء اليوم الدراسيِّ للتخطيط للاحتفالات .»

لست أدري بماذا أجيبها ، لأنَّني أعرف هدف يانِّه من هذا كلِّه .

إنَّها تحاول أنْ تؤمِّنَ لي بعض الأصدقاء لكن كلُّ ما تفعله في الحقيقة هي أن تجبر الآخرين الذين لا يريدون مرافقتني ، أن يفعلوا ذلك رغمًا عنهم . غير أنِّي شعرتُ براحةٍ لأنَّها حاولتْ أن تُظهر بعض التعاطف معي ، بعد مرور هذه الأسابيع كلِّها ، على منفى المشاعر هذا .

«كاي عضوٌ في اللجنة» ، قالت .

فكَّرت أنَّ الأمر يبدو مشوِّقًا للغاية .

«أتعلمين ماذا؟» ، تابعتْ يائِّه . «فكِّري في الأمر لبضعة أيام ثمَّ اختاري بنفسك إن أردتِ حضور اجتماع يوم الأربعاء أم لا . نلتقي عادةً في غرفة الصفِّ .»

عبرتْ ساحة المدرسة لتتركني وحيدةً مع أفكاري . تساءلتُ إن كان التحاقي باللجنة سيضايق كاي . كان يتجاهلني تمامًا عند الأخصائيَّة الاجتماعيَّة . بدا أحيانًا وكأنَّه يريد أنْ يقول لي شيئًا وفي كلِّ مرَّةٍ يتراجع ويغيِّر رأيه ، ولن يتسنَّى لي أبدًا معرفة ما إنْ كان ينوي قولَ أشياءَ لطيفةٍ أم لئيمةٍ .

نظرتُ شاردة إلى أنحاء الساحة ، وشاهدتُ آدم يركض متحمِّسًا ذهابًا وإيابًا في ملعب كرة القدم . دفعَ أحدَ الشبَّان الآخرين بعنفٍ حين همَّ بأخذ الكرة منه . وقع الشابُّ على الأرض ، لكن آدم أخذ الكرة وعدَا بها فوق أرض الملعب من دون أنْ يلتفتَ إلى الخلف . دحرج الكرة مارًا بها أمام لاعبين آخرين قبل أن يقذفَ بها نحو الهدف ، ويخطِئَه بمسافة لا تزيد عن المتر .

لم أسمع صوته حيث كنتُ ، لكن يبدو أنَّه يشتم . لم أنظر إلى آدم كما أفعلُ الآن منذ فترةٍ طويلةٍ ، وكأنِّي أراقبه . بعد كلِّ ما حدث ، حصل آدم على المكان الأخير في طابور العواطف والأفكار . لكن ما علَيَّ سوى الاعتراف بأنَّني حين أنظر إليه ، تزداد نبضات قلبي سرعةً وعنفًا .

استمرَّ آدم بالعدو ذهابًا وإيابًا فوق أرض الملعب . حبَّاتُ العرق تلمع في جبينه ، وشعره المبتلُّ يتدلَّى حول الوجه والعنق . المطر يسقط كالسياط من سماءٍ رماديَّةٍ والجوُّ باردٌ ، وآدم يعدو بقميصه القطنيِّ فقط ، على الرغم من أنَّ بقيَّةَ الشبَّان يرتدون ستراتهم .

بينما أنظرُ إلى آدم ، رأيتُ لارش فجأةً . يقف وحيدًا عند خطِّ الملعب الجانبيِّ . ابتسمتُ حين رأيته واقفًا يردِّد عبارات السحر وحده . تساءلتُ ما هي العبارة السحريَّة التي ينشغل بها الآن . ثمَّ بدا فجأةً وكأنَّه تذكَّر أمرًا مهمًا ، فقد غيَّرَ اتجاهه ، وسار بخطًى صارمةٍ فوق أرض الملعب مباشرةً .

«اخرج من الملعب!» سمعتُ أحدًا يقول له بصوتٍ عالٍ وهو منزعجٌ .

«ابتعد من هنا!» قال شخصٌ آخرُ ، لكن لارش استمرَّ في سيره إلى الأمام .

تذكَّرتُ حصَّة الرياضة عندما رقص لارش بالرايات الصغيرة . على الرغم من أنَّني شعرتُ أنَّ ذلك اليوم أيضًا جزءٌ من حياةٍ أخرى ، إلَّا أنَّني رأيتُ الحماسة نفسها لديه الآن ، كما حدث يومها . إنَّها حالة

الافتتان السحريِّ نفسها التي تجعل العالم بأسره يغيب من حوله . علَيَّ أن أقوم بشيءٍ ما ، فكَّرتُ . علَيَّ أن أقوم بشيءٍ لإنقاذه . لكنِّي لم أحرِّك ساكنًا . ليس بسبب خوفي ممَّا قد سيظنُّه الآخرين بي ، بل لأنِّي خائفةٌ من ردَّةِ فعل لارش . لقد أوضح تمامًا أنَّه لا يريد أن تربطه أيَّةُ علاقةٍ بي ، وهو ربَّما ليس بحاجةٍ إلى عمليَّةِ إنقاذ؟ هو مرتاح ربَّما ، هناك وسط الملعب؟

لكن صيحات الآخرين استمرت ، وازدادت حنقًا .

«لا تقف هناك! هيا!»

«ابتعد من هناك! إنَّك تعطِّل المباراة!»

آدم هو مصدر الصيحة الأخيرة ، وتدفَّقت المشاعر داخلي .ماذا عساني أفعل؟ ليس السبب رغبتي في أن أساعد لارش علي تخطِّي موقفٍ محرجٍ ، لقد انتهيتُ من ذلك . لكنِّي أريدُ أن أخلِّصه من صيحات الآخرين .

ظلَّ لارش سائرًا في حلقةٍ صغيرةٍ ، ينظر بعينين مرتبكتين إلى التلاميذ الذين راحوا يعدون حوله في الملعب . يبدو أنَّه أدركَ الآن فقط أين هو ، وأنَّه من ينادون عليه . يبدو أنَّه أدرك قيامهُ بتصرُّفٍ خاطئٍ ، لكنَّه مازال في صدد القيام به .

بدأتُ أسير باتجاه لارش . قرَّرتُ أنْ أجعل العمليَّةَ قصيرةً ، أنْ أدخل ثمَّ أخرج به من هناك . سوف أمسك بذراع لارش ، وأقوده بعيدًا عن الملعب .

لكن الصيحات لم تتوقف بل تعالتْ أصواتها :

«ماذا؟ أنتِ أيضًا؟!»

هل يقصدونني؟ ألا يرون أنّني أحاولُ حلَّ المشكلة؟

اقتربتُ من لارش ، الذي مازال يقف حائرًا وسط الملعب . عندما رآني اكفهرَّ وجهه عابسًا ، ذلك الوجه المتسامح اللطيف دائمًا .

«لا!» قال بصوتٍ عالٍ صارم ، وحدَّقَ بي بعينين ضيقتين . توقَّفتُ في مكاني ، وهكذا صرتُ أيضًا واقفةً وسط الملعب أعيق المباراة ، لذلك لم يكن أمامي خيار سوى أن أتابع سيري . خَطَا لارش بضع خطواتٍ مترددةٍ إلى الوراء ، لكنَّه لم يبتعد كثيرًا قبل أن يقاطعه صوتُ رطمةٍ عالٍ .

لقد طُرحتُ أرضًا . قذف أحد ما الكرة صوبي بركلةٍ عنيفةٍ فطارت عبر الهواء لتحطَّ على وجهي . وجدت نفسي فجأةً ممدَّدةً فوق الإسفلت الصلب ، أنظرُ إلى غطاء الغيوم القاتم الذي يغطّي السماء . تساقطتْ علَيَّ قطرات مطرٍ قليلةٍ . لم يأتِ أحدٌ لنجدتي ، ولم يسألني أحدٌ إنْ كنتُ بخير . ليس قبل أن أتتْ يانِّه ، وقفتْ أمامي ومدَّتْ يدها نحوي .

نظرتُ من حولي ، ورأيتُ أنَّ المباراة توقَّفت كليًا عندما أصابتني الكرة في وجهي . وقفَ لارش على بعد ثلاثة أمتار أمامي ، وعلى مسافة مترٍ منه وقف آدم ، وبقيَّةُ اللاعبين ما زالوا منتشرين في أنحاء الملعب .

«هل أنتِ بخير؟ هل تشعرين بدوار؟» سألتْ يانِّه بقلقٍ .

«لا» ، أجبتُ وبذلتُ جهدي كي أبدو هادئةً .

لا أريد أن يشفق علَيَّ أحدهم .

«من الذي قذف تلك الكرة؟» صاحتْ يانِّه ، لكن لا جواب .

«أعود وأكرر! من الذي قذف تلك الكرة؟»

شخصٌ واحدٌ تحرَّك ، وخطا خطوةً إلى الأمام ؛ آدم .

«أنا الذي قذفتها» ، قال بصوتٍ منخفضٍ .

على الرغم من أنَّني لم أعد أكترث لأمر آدم منذ فترةٍ طويلةٍ ، إلَّا أنَّني شعرتُ بالجرح . أصبتُ بصداعٍ وشعرتُ بورمٍ في مؤخِّرة رأسي .

«حسنًا ، أرى أنَّه من الأفضل أن تأتي معي» ، قالتْ يانِّه مسيطرةً على صوتها .

«لا!» سمعتها للمرَّة الثانية .

لارش هو الذي صاح بها ويريد أن يسمعه الجميع .

«كانت مجرَّدَ حادثة» ، تابع .

نظرت يانِّه إلى لارش نظرةً حائرةً . لم يصح بهذه الطريقة ولو لمرَّةٍ منذ عرفناه ، لكنَّه يقف الآن هناك ويطالب بحقِّه ، أو بحقِّ آدم ، بالأحرى .

«بغضِّ النظر عن أنَّ الأمر مجرَّد حادثةٍ أم لا ، علَيَّ أن أتحدَّث إلى آدم . لا يمكنني السماح باللعب بهذا القدر من العنف .»قالت يانِّه

بدأ آدم بالسير نحونا ، لكنَّ لارش مدَّ ذراعيه أمامه ليمنعه من المتابعة .

«حادثةٌ!» ، كرَّر لارش ، ونظر إلى يانِّه نظرةً صارمةً .

«لارش ، ليس بوسعي أنْ أعامل أحدًا معاملةً خاصَّةً . كلُّنا سواسية هنا في المدرسة» ، أوضحتْ يانِّه بصبر .

«لا بل الكلُّ مختلف» ، أجاب لارش . «أنا مثلًا ، مميَّز»

«لكن» ، صاحتْ يانِّه مذعورةً ، «من قال ذلك؟ أنتَ مثلنا تمامًا!»

«لا» ، أكَّد لارش . «أنا مميَّزٌ ، وآدم مميَّزٌ أيضًا .»

رأيتُ آدم يضحك ، ويانِّه تنتفض قليلًا .

«آه . . .» حاولتْ لاحقًا ، «وهل أنا أيضًا مميَّزة؟»

«لا ، أنتِ مملَّةٌ» ، وهكذا نطق لارش بالحكم ، وسار مبتعدًا عن أرض الملعب .

«حقًا؟!» بدأت يانِّه تضحك بصوتٍ عالٍ ؛ كي تخفي مشاعرها الحقيقيَّة . «حسنًا ، المشكلة حُلَّت إذًا . لديكَ تحذيرٌ يا آدم . أماندا ، هل أنتِ بخير؟»

أومأتُ برأسي . وسارتْ يانِّه بخطواتٍ سريعةٍ لتلحق بلارش . ظللتُ واقفةً وسط الملعب ، وكنتُ على وشك أنْ أتسلَّل مبتعدةً من هناك عندما حدث أسوأ ما تخيّلت . اقترب منِّي آدم وقال «مرحبًا» بطريقةٍ عاديَّةٍ جدًا .

لم أجبه .

«كيف الحال؟» سأل .

بدأ الشكُّ ينمو داخلي .

«بخير» ، سمعت نفسي أقول .

«بخير؟» كرَّر آدم ، وتبعتْ سؤالَه ابتسامةٌ سريعةٌ مائلةٌ .

«لا» ، اعترفتُ ، لكن لم أنو قول المزيد .

«أردتُ فقط أن أطلب منكِ أن تسامحيني» ، عاد آدم وقال .

«أسامحك على ماذا؟» سألته .

«لأنَّني أصبتك بالكرة . . .» ، تابع . «لم أقصد أن أقذفها بذلك العنف .»

«لا؟ فعلًا؟»

«وأردتُ أن أقول . . .» تابع ، «إنَّ ما حدث في محاضرة ستين فيدار تصرُّفٌ غبيٌّ في نظري . أقصد موضوع الصور .»

اختار آدم إذًا هذه المناسبة ليقول لي شيئًا عن مشاركتي في الاضطهاد؟ في الحقيقة ، لم يقل أحد سواه شيئًا من هذا القبيل ، ولم يؤنبني أحدٌ قبل الآن . السخرية في الأمر أنَّ الكلام لآدم ، الذي لم يكترث يومًا ما لأمر لارش .

«لكن لماذا كان تصرُّفًا غبيًا في نظركَ؟» قلتُ بنبرةٍ جافَّةٍ قبل أن أتابع ، «فلارش لا يروق لكَ أساسًا .»

«ماذا؟» أجاب آدم ، ونظر إليَّ نظرةً مرتبكةً .

«لم تأكل من عجين العيدان الذي أحضره لارش يوم الرحلة . قلتَ لا ، شكرًا ، ثمَّ قلتَ (ياع) بصوتٍ عالٍ أمام الجميع .»

«لم أقل (ياع)» قال آدم بصوتٍ منخفضٍ . «كلُّ ما في الأمر أنَّني

لم أكن . . .»

«أليس كذلك؟ صدقت!» قاطعتُه ولم يحاول الدفاع عن نفسه ثانيةً .

لا أستطيع تفسيرَ كلِّ هذا الحنق الذي أشعر به . لقد فعلتُ كلَّ ما في وسعي في الأسابيعِ الأخيرةِ كي أبدو متواضعةً ونادمةً . لكنَّ الغيظ يتعاظم في داخلي الآن ، ويتدفَّق على هيئة اتهامات ضد آدم .

«لا يهمُّ» ، قال مستسلمًا قبل أن يستدير ويبدأ بالسير نحو الآخرين . لا بدَّ من أنَّه يفكِّر في الاستمرار بالمباراة البلهاء التافهة .

ظللتُ واقفةً وحدي ، ما زلتُ وسط الملعب ، لكن لا أحد يبالي بي الآن . لاحظتُ أنَّني أرتجف . يداي تهتزَّان بعنفٍ ، فأمسكتُ إحداهما بالأخرى . تدافعت الدموع من عينَيّ إلى الخارج رغمًا عنِّي وأسرعت باتجاه حمَّام الفتيات .

لكن لا أحد يتبعني . خلال لحظاتٍ من الأمل ظننتُ أنَّني سمعت صوت خطًى أعرفها في الخارج . لكن ساري لم تأتِ كما تفعل عندما تراني أركض نحو الحمَّام باكيةً .

15

عليكِ أنْ تتعرَّي تمامًا

لقد مرَّ أسبوعٌ على إصابتي بالكرة في وجهي. عاد كلُّ شيءٍ إلى طبيعته تقريبًا. أعني أنَّ الغالبية تتحاشاني وتتجاهلني. كم أودُّ الحديث مع لارش بعد ما حدث في الملعب، بعدما صاح «لا» في وجهي كما فعل، لكنَّه يتحاشاني بطريقةٍ أكثر فعاليَّةً ممَّا مضى، وينصرف حالما يراني أقترب.

الفارق الوحيد هو أنَّني قرَّرتُ أنْ أوافق على عرض يانِّه بالمشاركة في لجنة العرضِ الفنيِّ لعيد الميلاد، وقد شاركتُ حتى الآن في اجتماعين.

كان الاجتماع الأوَّل بعد يومين فقط من الحادثة، وكنتُ على وشك أن أعود أدراجي؛ لأنَّ أوَّلَ ما وقعت عيني عليه هناك هو آدم. لكن قبل أن أجد متَّسعًا من الوقت للمغادرة صاحت يانِّه بصوتٍ عالٍ

«مرحبًا بكِ!» ووجدت نفسي مجبرةً على الجلوس مع الآخرين حول طاولةٍ مستديرةٍ . كاي هناك وابتسم لي في الحقيقة عندما جلستُ بين يانِّه وكارشتن .

خلال الأسبوع الذي مرَّ من يومها نجحتُ تقريبًا بتجاهل آدم كليًا . ما عدا مرَّة حين اقترح اقتراحًا أحمق . لقد سأل يانِّه إن كان بإمكاننا أن نشوي خبز العيدان في ساحة المدرسة خلال فترة الاستراحة بين فصلَي العرض . شعرتُ بالغضب حين سمعتُ اقتراحه إلى درجةٍ جعلتني أطرق يدي على الطاولة بعنف .

«أنتَ لا تحبُّ خبز العيدان أساسًا!» صحتُ به وأصيبتْ يانِّه بالذعر إلى درجة أنَّها لم تتفاعل ، ولم تسكتني . ابتسم كاي لكن البقيَّة نظروا إلَيّ وكأنَّني مصابةٌ بالجنون .

«آدم . أماندا» ، بدأتْ يانِّه حديثها . «آدم ، إنَّه اقتراح خلَّاق ، لكنِّي لا أظنُّ أنَّ تنفيذه ممكن . سوف أكتب ملاحظةً في بنك الذكريات للمرَّة المقبلة .

أشارتْ إلى رأسها لترينا أينَ هو بنك الذكريات ، قبل أنْ تتابع الحديث عن أمورٍ عمليَّةٍ يمكن تنفيذها حقًا . بعد الاجتماع وجدتُ كاي في انتظاري في الممرِّ خارج غرفة الصفِّ حيث بدأتُ أرتدي ملابسي الخارجيَّة .

«مرحبًا .»

«مرحبًا» ، قلت .

«أعجبني صراخكِ قبل قليل .»

احمرَّت وجنتاي ، لكنِّي هززت بكتفَيّ ، ولم أقل شيئًا .

«يجب أن ترَي ساري يوم أمس» ، تابع كاي . «كانت غاضبةً مثلك تقريبًا ؛ لأنَّها فشلت في فتح إناء مُربى .»

تخيَّلتها أمامي ، لكنِّي لم أفهم تمامًا . هل اشتاطتْ ساري غضبًا من أجل أمرٍ تافهٍ مثل فتح إناء مُربى؟ ساري التي لا يغضبها شيءٌ أبدًا لا علاقة له بالظلم والاحتباس الحراري للكرة الأرضيَّة؟ هذا لا يشبهها أبدًا .

«لكن ، لماذا غضبت؟» سألتُه .

«لست أدري» ، أجاب كاي .

«هي لا تشبه نفسها حاليًا .»

«ولا أنا أشبه نفسي» ، سمعت نفسي أقول .

«ربَّما حان الوقت لأن تتحدثا مع بعضكما؟» اقترح كاي لكنِّي هززت برأسي ، واستدرتُ كي أعود إلى البيت وحدي .

لقد مرَّ أسبوعٌ على ذلك الحديث ، ولم أتحدَّثْ إلى ساري بعد ، ولا مع كاي . على الرغم من أنَّه يتحدَّثُ معي قليلًا أثناء اجتماعات اللجنة ، إلَّا أنَّهُ لا يتحدَّث معي إطلاقًا خلال الدوام في المدرسة .

العرضُ الفنيُّ لعيد الميلاد حدثٌ أشتاقُ إليه منذ أن كنتُ في الصفِّ الأوَّل وتلميذةً صغيرةً تبنَّاها عرَّابٌ . لقد وُزِّعَتِ الأدوار علينا سابقًا اليوم . يقتضي التقليد أنْ يؤدِّي كلٌّ منَّا دوره مع التلميذ الذي

تبنّاه . فيؤدّي دور ماريًا في قصّة ميلاد المسيح في سفر لوقا مثلًا ، تلميذةٌ صغيرةٌ وعرّابتها .

يسري هذا المبدأ على الأدوار كلِّها ، من أدوار الأقزام العاملين في مصنع بابا نويل للهدايا إلى أفراس النهر إلى الحكماء الثلاثِ . سنقدِّم هذا العام حكاية سفينة نوح ، وسوف نؤدِّي أدوار حيواناتٍ مختلفةٍ . هذا ما يجعل الشريك الآخر جزءًا مهمًا من الحكاية ، لأنَّ نوحًا اصطحب زوجين من كلِّ نوعٍ . في نسختنا لهذه السنة ، سيأخذ معه عنزةً واحدةً . لقد صعدتُ يائسًا إلى المخزن في الطابق العلويِّ ، وعادتْ بلباس عنزةٍ بنيِّ اللون ، لي . إنَّها اللباس الوحيد الموجود بعددٍ مفردٍ ، فأخذتُه من دون أن أشتكي . تقول الإشاعات إنَّه سيحاك لباس نمرٍ جديدٍ كليًا من أجل لارش ، كي يكون مع آدم والتلميذ الذي تبنّاه .

صار موقفي تراجيديًا بكلِّ معنى الكلمة . لا أظنُّ أنَّه حدث في تاريخ المدرسة أنْ يُؤخذَ من عرّابٍ مهام من تبنّى فيضطرَ إلى تأدية دوره وحيدًا في عرض عيد الميلاد الفنيِّ . لكنّي مجبرةٌ على القيام بذلك . كعنزةٍ .

توجَّهتُ بعد الحصّة الأخيرة إلى غرفة الصفِّ لحضور الاجتماع . بدأتُ أنتظر أيّام الأربعاء ، لأنَّها تعني أنّني لست بحاجة إلى العودة إلى البيت مباشرةً لأقضي الوقت هناك وحيدة أو بصحبة أبي . لقد حضرتُ باكرًا اليوم ، ووجدتُ نفسي وحيدةً في غرفة الصفِّ . وضعتُ الكيس الذي يحتوي على لباس العنزة في إحدى الزوايا ، وبدأتُ

أجمع بعض الطاولات لتصير طاولة أكبر في الوسط . نقلتُ طاولةً واحدةً ثمَّ سمعتُ خطوات أحدٍ ما يدخل الغرفة . التفتُ ووجدت نفسي أقف وجهًا إلى وجه مع آدم . لم يقل شيئًا ، لكنَّه رمى كيسًا في الزاوية ، وبدأ يساعدني في نقل الطاولات .

لست أدري ماذا أفعل . حين كنتُ بالقرب منه في المرَّات الأخيرة غضبت جدًا ، لكنِّي لست غاضبةً . مشاعري تجيش في داخلي هذه المرَّة .

«ألن تساعديني؟» سأل آدم .

«بلى» ، أجبتُه وبدأتُ أسحب الطاولة التي يدفعها إلى وسط الغرفة .

عملنا سويًا بصمتٍ حتى نقلنا ستَّ طاولات ، وجمعناها إلى طاولة واحدة . وبدأ الآخرون يدخلون الغرفة . لم أجرؤ على النظر إلى عينيه ، لكنِّي حاولتُ في الوقت نفسه أن أتذكَّر رائحته التي اخترقت أنفي خلال الثواني الثمانية التي استغرقها عملنا في نقل الطاولات .

«مرحبًا ، جميعًا» ، زقزقتْ يانِّه ، وجلستْ عند طرف الطاولة .

جلستُ أنا أيضًا في أقصى مكانٍ ممكن عن آدم ، لأنَّني لا أستطيع أنْ أسمح لنفسي بأنْ أكون قريبةً منه . جلس كاي على كرسيٍّ إلى جانبي ، ونطق بكلمة «مرحبًا» .

تابعتْ يانِّه :

«سوف أقسِّمكم إلى مجموعاتٍ أصغر . مجموعةُ خشبة المسرح ،

مجموعة الضوء ، مجموعة الطعام ، الخ .»

أشارتْ يانِّه إلى آدم وقالتْ «مجموعة خشبة المسرح ، قبل أن تشير إلى الشابِّ الذي يجلس إلى جانبه وتكرِّر الأمر نفسه . سارتْ بعد ذلك الطريق كلَّه حول الطاولة إلى أن وصلت إلَيّ وإلى كاي :

«أماندا ، كاي ، أنتما تؤلِّفان مجموعة الطعام . هل يناسبكما ذلك؟»

أومأ كلٌّ منَّا برأسه إيجابًا .

تستطيعان ضمَّ العدد الذي تريدان من التلاميذ الذين تبنَّيناهم ومن صفِّنا ، لكنِّي أترك لكما أمر التنظيم وتوزيع المهام .»

ابتسمت يانِّه ابتسامةً إضافيَّةً لي ، كي أدرك حقًّا ما تحاول القيام به . إنَّها تجبرني وكاي على العمل معًا كي نصبح أصدقاء ثانيةً . أزعجني الأمر قليلًا لكنِّي لاحظتُ أنَّني ممتنةٌ أيضًا . لأنَّ ذلك يمنحني فرصة قضاء الوقت بصحبة كاي ، وأن أتحدَّث إلى شخصٍ آخر سوى أمِّي وأبي .

عقدنا بعد ذلك بأيَّام اجتماعًا لمجموعة الطعام ، والوحيد الذي انضمَّ إليها في ذلك الحين هو مارتينوس ، التلميذ الذي تبنَّاه كاي .

«ماذا حدث للتلميذ الذي تبنَّيته؟» سأل مارتينوس عندما جلسنا حول طاولة في صالة الطعام .

«لا شي» ، أجبت بحدَّةٍ .

«أين هو إذًا؟» تابع مارتينوس .

«لقد انضمَّ إلى مجموعةٍ أخرى» ، أجبته وتمنَّيتُ أن ينتهي الحديث بذلك . أحضر كاي أقلامًا وورقًا وتنحنح كي يبدأ الاجتماع . لم يكن لطيفًا ولكنَّه لم يكن فظًا أيضًا . لست أدري إن كان هذا الاجتماع يحدث تحت مظلَّة لجنة العرضِ الفنيِّ لعيد الميلاد ، ليكون لطيفًا معي ، أم هو يومٌ دراسيٌّ عاديٌّ ، كي يتجاهلني .

«كعك القرفة بالنوتيلا» ، بدأ مارتينوس .

ابتسم كاي وابتسمتُ ، لكنَّ أحدنا لم يبتسم للآخر ، ودوَّن كاي ذلك على الورقة التي وضعها أمامه .

«أقراصُ الوافل» ، قلتُ ثمَّ أضفتُ «مع هلام الحلزون» ، بصمتٍ بيني وبين ذاتي .

تابع كاي الكتابة .

«كاي؟» حاولتُ .

أصيب عندها مارتينوس بنوبةٍ من الضحك ، وتمكَّن في نهاية المطاف من إخبارنا بأنَّه ظنَّ أنَّني عنيت أنَّنا نستطيع أن نبيع كاي .

«كاي بالمُربى! تعالوا واشتروا!» نادى مارتينوس وضحك من دون توقُّفٍ .

«هاها!» ضحك كاي فجأةً بصوتٍ عالٍ هو الآخر . لم يكن بوسعي سوى أن أشاركهما الضحك . كم أراحني أن أضحك ثانيةً ، وشعرتُ كأنَّ دهرًا كاملًا مرَّ منذ أن ضحكت . أشعر وكأنَّ عضلات وجهي لم تتعوَّد على الضحك منذ زمنٍ . شعرتُ بعد ذلك بشيءٍ من الألم في

وجنتَي . التقت عيناي بعينَيّ كاي فابتسمَ لي .

«آسفةٌ» ، قلت .

«أعلم ذلك» ، أجاب . «أنا أيضًا حزينٌ على ما اقترفتُ .»

«نعم» ، قلتُ ، «لكن ما اقترفتُه أنا كان أبشع .»

«أجل» ، وافقني كاي الرأي ثمَّ ضحك فيما بعد .

ضحكتُ على صراحته . كاي ينفذ بجلده دائمًا . لقد تعلَّم ذلك من إخوته الثلاث الأكبر منه سنًا . كلَّما وقعتُ أنا وساري وكاي في مشكلة ، نجحَ بالتملص من دون أنْ يضطرَّ لتنفيذ العقاب مثل قصِّ العشب أو تنظيف السلالم أو تعويض الخسارة . أعلم أنَّه كفَّر عن ذنبه هذه المرَّة ، لكنَّه لم يعانِ من كارثة اجتماعيَّةٍ مثل التي أصابتني .

ابتسم لي ممَّا جعل أسنانه المائلة تظهر للعيان . ثمَّ سألني بجديَّة :

«لماذا فعلت ذلك حقًا؟»

«لست أدري» ، بدأتُ . «ربَّما لأنَّني كنتُ جبانة .»

أومأ كاي برأسه .

«وأنا أيضًا .»

إنَّه تفسيرٌ واهنٌ ، لكنَّه قريب جدًا من الواقع . لم أقترف ما اقترفته لأنَّني لئيمة ، بل لأنَّني كنت جبانة . تكمن المشكلة ربَّما في أنَّ اللؤم والجبن وجهان لعملةٍ واحدةٍ .

«أريد أن أصلح كلَّ شيء» ، صارحتُه .

«حسنًا؟»

«لقد حاولت أن أعتذر، لكن يبدو أنَّ ذلك ليس كافيًا. لارش يرفض الاستماع إلَيّ من حيث المبدأ.»

«لا»، قال كاي. «فالعرض الذي قدَّمتيه كان حادًا جدًا. أو الذي قدَّمته أنَّا وكرستينا. يجب أن يكون اعتذاركِ بالدرجة نفسها من الحدَّة ربَّما؟»

«علَيّ ربَّما أن أقدِّم عرضًا جديدًا؟» قلتُ مازحةً.

ظهرت فكرةٌ في دماغي فجأةً. كأنَّني أتذكَّر شيئًا ما من دون أن أعرف ما هو بالضبط، شيئًا عن الاعتذار باللغة المناسبة. لكنِّي لم أتذكَّر ما هو؛ لأنَّ الفكرة اختفت بالسرعة نفسها التي ظهرت بها.

ظلَّ كاي جالسًا بداية الأمر ينظر إلَيّ، ثمَّ عاد وأيقظني من أفكاري.

«هل أنتِ بخير؟» سألني.

«ماذا؟ أجل! هل تساعدني؟»

«أساعدكِ؟»

«نعم، هل تساعدني على الاعتذار؟» أوضحتُ.

«آه، أجل، بالطبع.»

«جيِّد جدًا. عظيمٌ. شكرًا.»

«عن ماذا تتحدثان؟» سأل مارتينوس الذي يرسم على الورقة التي كتبنا عليها ما خطَّطناه لقائمة الطعام.

«عن كعك البراوني»، قال كاي مع ابتسامةٍ عوجاءَ ثمَّ أخذ الورقة

من مارتينوس ليكتب اقتراحه .

شعرتُ فجأةً وكأنَّ الأمور عادت إلى مجاريها . كنتُ جالسةً هناك ، بلا هموم تقريبًا ، أمازح صديقي . خلال دقائقَ معدودةٍ تلَتْ ، عندما كتبنا النقاط الأخيرة على لائحة الطعام ، شعرتُ وكأنَّهُ لا شيء من الأحداث الأليمة وقع فعلًا . لكن عندما انتهينا وخرجنا من صالة الطعام ، سار كاي في اتجاه ، وسرتُ أنا في اتجاه آخر .

لست بصدد الشكوى . إنَّه تحسُّنٌ كبيرٌ مقارنةً بسير الأمور أثناء الأسابيع الأخيرة ، ولذلك وجدتُ نفسي أسرع عبر الممرات ، وقد ارتسمت ابتسامةٌ عريضةٌ على شفتَيّ .

في اليوم التالي غادرت المدرسة إلى البيت بصحبة كاي لنفكِّرَ معًا بكيفيَّةِ الاعتذار . كدتُ أطير من الفرح طوال الطريق حتى وصلنا إلى البيت . السبب هو أنَّني لم أكن وحيدةً ، وأنَّنا قد نجد معًا حلًا لوضعي المأساويِّ .

عندما وصلنا البيت أصيب أبي بالدهشة لرؤية شخصٍ آخر بصحبتي ، صديق ، في البيت .

«مَن؟!» قال وحدَّق بكاي . «كاي؟ هل هذا أنتَ فعلًا؟ يا لها من مفاجأةٍ سعيدةٍ!»

«مرحبًا ، طورا!» قال كاي وبدأ يشعر أنَّه في بيته كما يفعل دائمًا في السابق .

«بماذا وعدتكَ أماندا كي ترافقها إلى البيت؟» مزح والدي .

«بان كيك مع بوظة بطعم الشوكولاتة» ، حاول كاي محاولةً جريئةً .

«فهمت» ، بدأ أبي ، «حسنًا ، ليس علَيّ سوى أن أبدأ بتحضيرها إذًا!»

ابتسم لنا ثمَّ عبث بشعر كاي قبل أن يدخل المطبخ ويشغِّل الراديو . دخلتُ غرفة الجلوس برفقة كاي وجلسنا على الأريكة . لم نشعل التلفاز كما اعتدنا . المهمَّةُ التي تنتظرنا أهمُّ من التلفاز .

«هل لديكِ اقتراحاتٌ؟» سأل كاي .

«لا . . . في الحقيقة» ، أجبتُ .

بقينا جالسين نفكِّر . بدأت رائحة البان كيك الرائعة تتسلَّل إلينا من المطبخ ، ما جعل التركيز على المهمَّة أصعب .اجتهدتُ كي استجمع خلايا دماغي وأطرح خطَّةً :

«ما رأيكَ في أن أضع لافتةً كبيرةً أكتب عليها : سامحني يا لارش ، فوق مدخل قاعة الرياضة؟ سيراها عندها كلُّ من يأتي لمشاهدة العرضِ الفنيِّ لعيد الميلاد .»

نظر كاي إلَيّ نظرةً وشتْ بأنَّ الفكرة لم تعجبه .

«عليكِ أن تحاولي أكثر» ، قال .

«ما رأيكَ بأنْ أجمع ألبومًا من الصور التي تجمعني بلارش؟ أستطيع أن أوزِّعه في صالة الطعام أثناء العرضِ الفنيِّ ليراه الجميع ويرون كم أحبُّ لارش .»

«أظنُّ أنَّكِ أسأتِ استخدام الصور إلى درجةٍ تجعلك عاجزةً عن إستخدامها ثانيةً في يوم من الأيام» ، أشار كاي .

وقد كان محقًا بالطبع .

«أظنُّ . . .» ، بدأ كاي ، «إنَّ عليكِ أن تضعي نفسكِ في موقعٍ مخجلٍ للغاية .»

«م . . . ماذا؟»

«عليكِ أن تضعي نفسك في وضعٍ مخجلٍ .»

«لا .»

«بلى . عليكِ أن تضعي نفسك في موقعٍ مخجلٍ جدًا ، كما فعلت بلارش بالضبط . أمام حشدٍ كبيرٍ من الناس .»

«لا ، لا أجرؤ على فعل ذلك» ، أجبتُ بحزمٍ ، وقمتُ من على الأريكة .

وقفتُ ورحتُ أحدِّقُ في الفراغ من دون أن أرى شيئًا ، كما أفعل عندما أفكِّرُ كثيرًا أو عندما أشعر بالقلق . علَيّ أن أفكِّر جيِّدًا كي أصل إلى خيارٍ جيِّدٍ لخطَّةِ كاي البغيضة ، في الوقت الذي سيطر علَيّ القلق كليًا ، لأنَّني أدركتُ أنَّ خطته هي الأفضل ربَّما . ربَّما سأكون مجبرةً على تنفيذها .

«عليكِ أن تفعلي ذلك يا أماندا . إنَّها الطريقة الوحيدة التي تستطيعين أنْ تثبتي بها للارش مدى حزنكِ على ما حدث .»

«سوف أؤدِّي دورَ عنزةٍ على خشبة المسرح ، أليس ذلك مخجلًا بما

يكفي؟» حاولتُ .

«بلى ، ولكن لا . يجب أن تعني حقًا ما تفعلين ، ويجب أن يأتي العمل من صميم قلبكِ . عليكِ تقريبًا أنْ تتعرّي تمامًا ، وأن تعرِّضي نفسك للضعف والألم ، بالضبط كما كان وضع لارش في تلك الصور .»

«ليس لدي أيَّةُ نيَّةٍ بأنْ أتعرّى .»

«لا طبعًا ، لكن لا بدَّ من أنَّك تدركين ما أعني .»

أدرك تمامًا ما يعني ، لكن الفكرة تجعلني أصاب بالغثيان ، وعندها لن تنفع حتى البان كيك التي يعدُّها أبي . تسلَّلتْ في الوقت نفسه إلى وعيي اللمحةُ التي خطرت لي سابقًا ، وبقيتْ هذه المرّة ما يكفي من الوقت كي تتحول إلى فكرةٍ كاملةٍ . وتذكَّرتُ فجأةً!

«بانت» ، قلتُ ونظرتُ إلى عينَيّ كاي .

«بانت؟ والد لارش؟» سأل كاي .

«قال بانت إنَّ علَيّ أن أتحدث لغة لارش .»

«النرويجيَّة؟»

«لا . أو نعم . لكنَّها لغةٌ مختلفةٌ . لا أظنُّ أنَّك تجيدها .»

«لا ، ربَّما لا أجيدها» ، أجاب كاي منزعجًا قبل أن يتابع شرح فكرته . «بغضِّ النظر عن اللغة التي تستخدمينها عند التنفيذ ، عليكِ أن تقومي بعملٍ عظيم . عليك أن تقومي بشيءٍ يجعل تجاهلك مستحيلًا ، كما تجاهلك الجميع لأشهرٍ عديدةٍ الآن . وبغضِّ النظر

إن كانت الفكرة تروق لكِ أو لا ، عليكِ أن تقومي بعملٍ بارزٍ جدًا . وليس عملًا خفيًا .»

ابتسمتُ له ابتسامةً مواربةً ، لكنِّي أدركتُ في الوقت نفسه أنَّه على حقٍّ . كم أنا ممنونةٌ للعون الذي يقدِّمه لي . مع كاي إلى جانبي بدأتُ أشعر بالأمل قليلًا ، وصرتُ أجرؤ على التفكير بأنَّه قد لا يسامحني لارش وحده ، بل ربَّما أيضًا تسامحني ساري .

عقدنا عدَّة اجتماعاتٍ سريَّةٍ خلال الأسابيع التي تلَتْ ، غالبًا في بيتي . فرحتْ أمِّي وأبي بزيارات كاي من أعماق الروح وعاملاه معاملة الملوك . لم تكن البان كيك والبوظة بطعم الشوكولاتة شيئًا يستحقُّ الذكر مقارنةً بما قدَّماه له لاحقًا خلال زياراته لي بعد الظهيرة . طبق القريدس الطازج الذي تبعه مثلَّج الكشمش الأسود ، اللزانيا ، كعك القرفة ، البيتزا مع الكاتشب وكعك الفانيليا .

بدأتُ أشعر باقتراب الفرج ، حتى وإنْ ظلَّتِ الساعات التي قضيتها في المدرسة مملَّةً وبلا أصدقاء . اتفقتُ وكاي على أن تبقى صداقتنا الجديدة القديمة سريَّةً ، حتى لا يصير كاي منبوذًا اجتماعيًا . مازال صديقًا لساري واعترفَ أن ضميره يؤنِّبه حين يضطرُّ إلى الكذب عليها عمَّا يفعله بعد انتهاء الدوام المدرسيِّ ، لكنَّه يواسي نفسه ويواسيني بأنَّه إنَّما يفعل ذلك من أجل هدفٍ نبيلٍ . سوف تفهم ساري ذلك يومًا وتشعر بالفخر بكلينا ، عندما ترى ما الذي خطَّطنا له .

مع مرور الأسابيع يقترب العرضُ الفنيُّ لعيد الميلاد ، التشويق يزداد

على الإيقاع نفسه الذي يتبعه التوتر ، وفجأةً حلَّ اليوم الذي سبق اليوم الكبير . يومُ غدٍ هو يوم الحدث! لكن هل تنجح خطَّتي يا ترى؟ هل هي خطَّةٌ جيِّدةٌ كفاية؟ هل يقبل اعتذاري؟

تمدَّدت على السرير وأنا أفكِّر بذلك كلِّه محدِّقةً بالسقف . سيحدث ذلك يوم غدٍ فعلًا . أكون عادةً قلقةً قبيل الظهور علنًا والمحاضرات ، لكن القلق أعظم هذه المرَّة سأقدِّم عرضًا خاصًا أيضًا . حتى أمِّي وأبي لا يعلمان أيَّ شيءٍ عن الخطَّة التي وضعتها أنا وكاي . لم يجرؤ أيٌّ منهما على السؤال عمَّا نفعله أنا وكاي أثناء زياراته المتكررة إليَّ في الأسابيع الأخيرة . لا بدَّ من أنَّهما يخشيان أن يتوقَّف عن زيارتي . سيصاب كلٌّ منهما على الأقل بصدمة عندما يجلسان لمشاهدة عرضٍ فنيٍّ عاديٍّ لعيد الميلاد ، وبدل ذلك سيشاهدان ابنتهما وهي تضع نفسها في موقفٍ مخجلٍ أمام الجميع .

telegram @
yasmeenbook

16

هذا هو شكل البلطجيِّ الأصليِّ

«أهلًا بكم جميعًا!» تعالى صدى صوت يانِّه عبر الميكروفون في أرجاء قاعة الرياضة ، التي تحوَّلت على شرف هذا اليوم إلى صالة احتفالاتٍ ومسرحٍ . امتلأت نصف القاعة بصفوفٍ من الكراسي . يوجد في الوسط ممرٌّ يبدأ عند المدخل وينتهي أمام خشبة المسرح . بنينا خشبة المسرح بأنفسنا ، تحت إشراف ستين فيدار . بنيناها من منصَّات الشحن التي وضعناها فوق بعضها ثمَّ غطَّيناها بألواحٍ رقيقةٍ من الخشب كي تجعل الأرضيَّة منبسطةً وثابتةً . علَّقنا خلف خشبة المسرح كواليس ضخمةً زاهية الألوان وخلفها مساحة نستخدمها لتجهيز أنفسنا . في تلك المساحة وقفتُ لأرتدي لباس العنزة فيما تعالت ثرثرة الحيوانات الأخرى من حولي ؛ أفراس النهر ، الفئران ، النمور والجنادب .

قاعة الرياضة تعجُّ بالأمهات والآباء والإخوة والخالات والعمّات والجدّات والأجداد. الطقس طقس العيد السعيد. لقد سبق ووقفتُ في صالة الطعام وقدّمتُ القهوة والكعك والشراب لمن طلب ذلك. قلقتُ وقتها من أن أكون قد أخطأتُ في الحساب، وأعدتُ مبالغ أكبر من التي وجب إعادتها لمن اشترى، وقدّمتُ وافل لمن طلب كعكة بالشوكولاتة، وصببتُ الشاي لجدٍّ طلب القهوة مرّتين متتاليتين. ضحك مارتينوس عليّ لدرجةٍ كادت تجعله عاجزًا عن القيام بعمله وتقديم ما وجب تقديمه إلى الحاضرين.

إنّي مضطربةٌ جدًا. وإن كان هذا آخر ما أريده الآن، إلّا أنّي أعلم أنّي مجبرةٌ على تنفيذ الخطّة. إنّها فرصتي الوحيدة لإصلاح كلِّ ما خرّبت سابقًا. غير أنّي خائفة من حدوث خطأ ما. ماذا لو أغمي عليّ؟ ماذا لو فشلت الخطّة؟ ماذا لو لم يسامحني لارش؟

أشعر أنَّ أيَّ شيءٍ وكلَّ شيءٍ قد يحدث اليوم.

«أهلًا بكم في العرررررض الفنننيييّ لعيييد الممييييلاااااد!» صرخت يانّه في الميكروفون. قوبلتْ بتصفيقٍ لم تعهده من قبل. ضحكتْ ووضعتْ يدَيها فوق معدتها لترتاح قبل أن تتابعَ بحماسة:

«أجل، فعلًا! مرحبًا بكم جميعًا! لقد حضّرنا لكم عرضًا فنيًا عن عيد الميلاد خلال الأسابيع الأخيرة. العمل شاقٌّ والأيّام طويلةٌ، وكلّنا شوقٌ للحظة التي ترون فيها نتيجة عملنا.»

بدا عليها الفرح وهي تنظر إلى جمهورها. المناخ العامُّ أفضل بكثير

ممَّا كان عليه في الفترة الأخيرة . عندما ارتديتُ لباس العنزة ، شعرتُ وكأنَّ زملائي في الصفِّ نسوا أنِّي الغدَّارة أماندا ، وعاملوني مثل العادة تقريبًا . تابعتْ يانِّه حديثها :

«لقد اخترنا أن نقدِّم هذه السنة نسخةً محايدةً دينيًا عن حكاية سفينة نوح ، تشارك فيها مملكة الحيوان بأسرها . لكنَّ الحيوانات اختارت في هذه النسخة ، أن تسافر في رحلةٍ سياحيَّةٍ معًا ، بدلًا من الإذعان لأمر الله الصارم . تفضَّلوا إذًا ، إليكم العرض!

ثمَّ انحنتْ إلى أن كاد أنفها يضرب الأرض . فتحتْ ذراعَيها وعادتْ إلى الخلف بتلك الوضعيَّة ثمَّ بدأت الموسيقى تعزفُ .

لن يُقدَّم سرِّي إلّا بعد الاستراحة ، وما علَيّ خلال الفصل الأوَّل من العرض سوى أن أقف مكاني وأجعل الوقت يمرَّ من دون أن أفسح المجال لأعصابي المتوترة أن تسيطر على تصرفاتي كليًا . الأمر الإيجابيُّ في الموقف أنَّني مضطربةٌ جدًا بسبب ما سيحدث إلى درجة أنَّني نسيتُ تقريبًا التفكير بأنَّني سأقف على خشبة المسرح أمام الأهل والإخوة والأقارب كلِّهم في ثوب عنزة .

انتشر توتُّرٌ مشوِّقٌ بيننا في الكواليس . لم يعد أمامنا سوى بضع دقائق قبل بدء العرض ورحنا نلائم التفاصيل الأخيرة في مظهرنا وثيابنا . رأيت ساري جالسة في الناحية الأخرى من الغرفة ترتدي لباسًا فخمًا على شكل أسدٍ وترسم شوارب أسدٍ على وجه تلميذها بالتبنِّي ؛ تيريه . توقَّف عزف الموسيقى بضربةٍ قويَّةٍ على الصاجات ،

وسارتْ أولى الحيوانات الصغيرة إلى خشبة المسرح حيث استقبلتها أضواء براقةٌ .

مرَّ الفصل الأوَّل من دون آلام . غنَّينا ورقصنا . لم يتعثَّر أحدٌ منَّا وصفَّق الجمهور لنا وهلَّل بصوتٍ عالٍ . علَيّ أن أقف في صالة الطعام ثانيةً خلال الاستراحة ، لكنِّي اتفقت مع كاي أن يجد لي عذرًا كي أتمكَّن من الغياب . من الأفضل أن أستغلَّ الوقت للتركيز على المهمَّة الأهمِّ في حياتي .

نظرت إلى الساعة بقلقٍ . بعد خمس عشرة دقيقة سيبدأ الفصل الثاني . أتى كاي كي يتفقَّدني خلف الكواليس وأسرع نحوي مرتديًا ثوبًا لونه أزرق فاتح ، عبارة عن قطعةٍ واحدةٍ ، معلِّقًا خرطومَ فيلٍ ضخمٍ ، رماديِّ اللونِ ، تحت ذقنه .

«هل أنتِ مستعدةٌ؟» سألني من دون أن ينجح كليًا في إخفاء اضطرابه .

«لا» ، أجبته بصدقٍ ، وقابلتُ نظرته اليائسة .

«هل أنتِ جادَّةٌ؟ ركِّزي» ، أمرني .

«حسنًا» ، أجبته بصمتٍ ، وشعرتُ بأنَّ الدم اختفى من رؤوس أصابعي .

نظرتُ إلى الساعة المعلَّقة على الحائط ، وحسبتُ ما تبقى من الوقت ، هو ثلاث عشرة دقيقة لعرضي النهائيِّ الخاصِّ ، قد أربح فيه أو أخسرَ كلَّ ما لدي .

«عندما يعود الأهل إلى القاعة بعد الاستراحة ، سأقول للجميع في الكواليس إنَّ وقوفهم هناك يشكِّل خطر اشتعال حريقٍ وإنَّ يانِّه طلبت منِّي أنْ أقول لهم إنَّها تريدهم أن يدخلوا القاعة وأن يقفوا أمام خشبة المسرح . عندها يأتي دورك . هل أنتِ معي؟» أوضح كاي .

«أجل ، ولكن هل تعتقد أنَّ الأمر سيمرُّ عليهم؟» سألته بقلق .

الخطَّة التي وضعها ليست خطَّةً نابغةً بالضبط .

«أجل ، أنا متأكِّد من ذلك تمامًا . الجميع يخشى اشتعال الحرائق .»

«حسنًا» ، قلت له . «هل وصل البروجيكتر؟»

«أي نعم!» قال كاي فخورًا وبابتسامة كادت تهدِّئني .

سارت الدقائق بسرعة البرق ومن دون أن أدري وجدت الاستراحة تنتهي والجمهور في طريق عودته إلى القاعة . قلبي يدقُّ بعنفٍ في صدري ، وشعرتُ أنَّ رئتَيّ ضاقتا ولم تعودا تتَّسعان لما أحتاجه من أوكسجين .

عبر فتحةٍ في الستارة رأيت الصالة تمتلئ ببطءٍ بالناس . ما زال الأهل والجدَّات والأجداد يتحدَّثون بفرح مع بعضهم وهم يحاولون موازنة ما يحملونه من كعكٍ وفناجينَ القهوة إلى أماكن جلوسهم . بدأ الزملاء يجهِّزون أنفسهم للفصل الثاني من العرض . آذان أفراس النهر تثبت في أماكنها وذيول البقر يتمُّ مشطها ومساحيق التجميل يتمُّ تعديلها . لم تتمكن كلٌّ من أنّا وكرستينا من لعب الدور الذي اختارته كلٌّ منهما ؛ دور وحيد القرن ، بل كان عليهما الرضا لتأدية دور

السلمندر ودور جرذ الصحراء . وقد حصلتْ كلٌّ منهما على دور ، في حين أنَّ يانِّه قالتْ إنَّها أرادت أن يعملا كعمَّالٍ في المسرح وألَّا تشاركا في التمثيل في العرض إطلاقًا . يبدو أنَّهما لا تشعران بالامتنان . وقفتْ كلٌّ منهما تحكُّ فخذيها عبر القماش السميك للِّباس الضيق الذي لم يكن مريحًا بالتأكيد ، وقد بالغت كلٌّ منهما بوضع مساحيق التجميل حتى بدا وجهاهما وكأنَّ الغيظ يهيمن عليهما .

لقد تحرَّر الجميع من التوتُّر أكثر الآن ، ولم يعد الجوُّ متوتِّرًا كما كان قبل الفصل الأوَّل . الحيوانات على متن سفينة نوح أكلت الكعك وشربت العصير ، وما زالت متشوِّقةً للظهور على خشبة المسرح من أجل الاستمرار في تقديم العرض . أنا الوحيدة التي تجلس وحدها في إحدى الزوايا ، صامتةً وقد بهت لونها . حاولت أن أركِّز على راحتَي يدَيّ ، اللتين شعرت فجأةً كأنَّهما ما عادتا لي .

وعندها حدثت الجلبة :

«مرحبًا جميعًا!» صاح كاي للحيوانات جميعها . كان واقفًا على كرسيٍّ فصار أطول من الجميع .

بدأ قلبي بنبض بعنفٍ أكبر . حاولتُ سدًى أن أراجع الخطَّة في رأسي ، قبل أن يبدأ تنفيذها خلال ثوانٍ معدودة . الحصول على انتباه الجميع أوَّلًا ، ثمَّ الخطاب ، ثمَّ عرض الفيديو . . .

«م» ، تابع كاي . «آهه . . . تقول يانِّه إنَّ على الجميع المغادرة إلى القاعة ؛ لأنَّ حريقًا قد يندلع إذا بقينا واقفين هنا جميعًا .»لقد لفظ

الكذبة بقدر لا بأس به من المصداقيَّة .

«ماذا؟» قال أحد ما كأنَّه لا يصدق ما سمع .

«لماذا؟» سأل آخر .

«لأنَّ يانِّه قالت ذلك» ، حاول كاي أن يؤكِّد .

«أين يانِّه؟» سألتْ ساري ونظرتْ إلى كاي بريبةٍ .

«يانِّه في القاعة طبعًا!» قال كاي وبدا أكثر حزمًا . «هيا! ليس لدينا الكثير من الوقت إنْ أردنا أنْ نكمل تقديم العرض!»

بدأ الجميع يتحرَّكون غير واثقين ، من الغرفة إلى الجهة الأخرى من الستارة حيث جلس الأهل متشوِّقين بانتظار الفصل التالي . ليس لديهم أدنى فكرة عن أنَّ الفصل التالي هو أنا .

قفز كاي من على الكرسي وأسرع نحوي .

«سوف يفضح أمرنا خلال ثلاثين ثانية! استعدِّي!»

ثمَّ هرع مارًا بالستارة ، واستمرَّ باتجاه البروجكتر وسط القاعة ، بين صفوف الكراسي . ما لم يعلمه كاي هو أنَّ عبارة «استعدِّي» تعني أيضًا تبديل الملابس . لم أخبره عن هذا الجزء من الخطَّة . أخرجت من الكيس الذي أخفيته تحت أحد الكراسي رداءً برَّاقًا من النوع الذي يرتديه السحرة ، وعصًا سحريَّةً وشعرًا مستعارًا أسودَ قصيرًا . ليس لدي الوقت الكافي لأنزع عنِّي لباس العنزة ، لذلك ارتديت ملابس هاري بوتر فوقه . كان الكائن الذي اقترب لاحقًا من خشبة المسرح بخطًى غير واثقة خليطًا من إنسانٍ وحيوانٍ وساحرٍ .

أعلم أنّه ليس لديَّ الكثير من الوقت . يجب أن أحتلَّ خشبة المسرح قبل أن تقاطعني يانِّه أو أحدٌ آخر من الكبار ، ويمنعني من تنفيذ خطَّتي . نظرتُ عبر فتحةٍ في الستارة إلى القاعة التي تكتظُّ بالتلاميذ والأهالي الحائرين .

اكتشفتُ أنَّ لارش وجد بانت الذي يجلس في الصفِّ الثاني . ارتدى لارش لباس النمر وفوقه قفطان الساحر وبدا الرضا على محياه . خلفهما تمامًا رأيت يانِّه جالسة بالقرب من ستين فيدار . في اللحظة نفسها شاهدوا الحيوانات في طريقها من الغرفة خلف المسرح . في حركةٍ متزامنةٍ نهض الاثنان معًا كلٌّ عن كرسيِّه وسارا نحو التلاميذ . سمعت يانِّه تقول «ما الذي يحدث هنا؟» وأدركتُ ، إمَّا أن أقوم بذلك الآن ، وإمَّا أن أضيِّعَ فرصتي إلى الأبد .

هرعت إلى خشبة المسرح . لم يلحظ وجودي أحدٌ في البداية لأنَّ الجميع انشغلوا بمعرفة حقيقة ما يدور من حولهم ، وهل عليهم أن يكونوا أمام المسرح أم خلفه . تنحنحتُ ، ولكن صوتي كان منخفضًا إلى درجة أنَّني بالكاد سمعته بنفسي .

«لو سمحتم!» حاولتُ ، لكنِّي لم أجد تجاوبًا بعد .

الجلبة التي حدث في القاعة تصاعدت إلى حدٍّ معقول من الفوضى ، ووقف معظم الكبار في محاولة منهم ليروا ما يحدث . نادى بعض الأشخاص بصوتٍ عالٍ أعضاء من عائلاتهم ، بينما نادى آخرون بأصواتٍ بذات العلوِّ يانِّه ، وسألوا إن كان بإمكانهم مدَّ يد العون

بطريقةٍ ما .

من خلال ذلك كلِّه لمحت كاي الذي وقف خلف البروجكتر . أعطاني إشارة البدء ، وفي الوقت نفسه هزَّ رأسه سائلًا بحركات من شفتيه من دون صوتٍ «ما الذي ترتدينه؟» واعترتني رغبةٌ عاتيةٌ بأن أستسلم . ألَّا أتجرأ على الرغم من كلِّ شيءٍ . أستطيع أن أستدير بثلاث خطواتٍ صغيرةٍ ، وأعود من حيث أتيتُ ثمَّ أختفي من على خشبة المسرح ، وأنتقل إلى جزر البهاماس . أستطيعُ أنْ أعيشَ هناك حيث لا يعرف أحد أنَّني مارست في يوم ما الاضطهاد والبلطجة .

لكنِّي لم أفعل ذلك . بدلًا من أنْ أنسحب ، أغمضت عينَيّ . خلال عشر ثوانٍ أغمض عيني بحدَّة وكأنَّ في ذلك الخلاص . وربَّما كان الخلاص في ذلك على الرغم من كلِّ شيءٍ ، لأنَّني حين فتحت عينَيّ ، نظرتُ في عينين زرقاوين بلون الجليد . رأيتُ إطارًا من الشعر الأشقر يحيط بوجهٍ لطيفٍ يبتسم لي برقةٍ . إنَّها ساري ؛ صديقتي المفضلة . تقف أمامي على خشبة المسرح من دون أن تنطق بشيءٍ ، بل ناولتني ميكروفونًا أسود اللون .

ثمَّ استدارتْ بعدها ، وغادرتْ خشبة المسرح بصمتٍ تامٍّ ، وبقيتُ واقفةً هناك وحدي . رفعتُ الميكروفون نحو فمي بيد ، وباليد الأخرى رفعتُ العصا السحريَّةَ باتجاه الجمهور .

«صمتوس مهرجاتوس» ، همستُ في الميكروفون . إنَّها عبارةٌ سحريَّةٌ ، المفترض أنَّها تسحر الجميع وتجعلهم يجلسون ساكنين

صامتين ، لكن حتى الآن ، لا أحد يراني ولا أحد يسمعني . إمَّا أنْ أقوم بهذا الآن وإمَّا أنْ أضيِّع فرصتي إلى الأبد .

«**صمتوس مهرجاتوس!**» ناديتُ في الميكروفون ، وجفلتُ لسماع صوتي الذي كبر صداه عبر القاعة .

تجمَّد الجميع في أماكنهم ، وحدَّقوا بي كقطيعٍ من قردة الليمور المذعورة . لم أنظر سوى إلى لارش . رفعَ نظره ببطء عن الأرض ونظر إليّ ، ثمَّ عاد ونظر إلى الأرض بسرعةٍ . لكنِّي لمحت واحدةً من ابتساماته ، فتجرأتُ أكثر :

«مرحبًا ، جميعًا!» قلتُ في الميكروفون ، بهدوءٍ أكثر هذه المرَّة . «اسمي أماندا . وأودُّ أن أقدِّم اعتذارًا .»

انتشر الهمس في أرجاء القاعة . شعرتُ وكأنَّ مليون عينٍ تحدِّق بي ، وجلُّ ما أريده هو أن أرمي الميكروفون أرضًا وأعدو . لكن ليس بوسعي القيام بذلك . ليس بوسعي أنْ أخذلَ الجميع مرَّة أخرى . لمحتُ أمِّي وأبي حيث يجلسان وسط القاعة . الصدمة والدهشة باديةٌ على محياهما ، والإعجاب أيضًا .

«أنا عرَّابة لارش» ، تابعت . «أو بالأحرى ، كنتُ عرَّابة لارش فيما مضى . إلى أن اقترفت خطأً فظيعًا .»

الصمت التامُّ يعمُّ القاعة . اليد التي تمسك بالميكروفون ترتجف قليلًا . رأيت أنَّا وكرستينا على يساري بثيابهما الضيِّقة التي لا تُرضي غرور أحد ؛ لباس السلمندر وجرذ الصحراء . لا هواتف ظاهرة للعيان ،

لا أيدي تغطي وجهيهما لإخفاء نوبات الضحك . راحتا تحدِّقان بي بدلًا من ذلك ، ولا يبدو أنَّهما تحكمان علَيّ بطريقةٍ ما ، بل بدا لي أنَّهما تتساءلان فحسب . ثمَّ تابعتُ حديثي :

«كنتُ جبانةً وبدلًا من أنْ أدافعَ عن لارش ؛ صديقي ، ظننتُ أنَّني أنقذتُ نفسي باضطهاده . من أجل أن أقدِّم اعتذاري ، قمت بتصوير فيديو كي أشرح شعوري تُجاه ما حدث .»

تدلت في اللحظة نفسها شاشة العرض من السقف . بقيتُ واقفةً تحتها مباشرةً ، وراح كاي يبحث بسرعة عن الفيديو ثمَّ بدأ يعرضه .

ظهرَ عنوانٌ كُتِبَ بأحرفٍ بيضاءَ كبيرة يهبط فوق الشاشة السوداء :

اعترافاتُ بلطجيٍّ .

حلَّ محلَّ العنوان فيديو محوره أنا ، صُوِّر في غرفة الجلوس في بيتنا . صوتي يتدفق من مكبِّرات الصوت :

«أهتمُّ دائمًا بمظهري وبرأي الآخرين بي . كنتُ دائمًا أعتقد أنَّ الموقف الحيادي هو الأفضل . لكنِّي التقيتُ في فصل الخريف بشخصٍ علَّمني أنَّه لا بأس بأنْ يكون الشخص مختلفًا ، أنَّه لا بأس بأنْ يكون الشخص مميَّزًا .»

نظرتُ إلى القاعة المليئة بالناس ، ورأيتُ أنَّهم ينظرون جميعًا ، ويركِّزون على ما يحدث فوق رأسي ، على الشاشة . لم يأتِ أيٌّ من المعلمين بحركةٍ . مالتْ يانِّه برأسها قليلًا ، وبدتْ مهمومةً وهي تشاهد الفيلم .

«أظنُّ دائمًا أنَّ أفضل ما يفعله المرء هو ألَّا يتدخَّل في ما يفعله الآخرون . عندما رأيتُ شخصًا يتعرَّض للمضايقة في ساحة المدرسة ، لم أتدخَّل ، لم أخبر المعلمين ، ولم أعاتب من كانوا يضايقونه .»

كان الاعتراف مؤثِّرًا ، وبدأ التلاميذ الآخرون يستمعون أيضًا .

«منذ فترةٍ قصيرةٍ قمتُ بمضايقة شخصٍ ما . ذلك الشخص هو صديقي . إنَّني نادمةٌ جدًا على ذلك ، ولذلك سجَّلتُ هذا الفيديو . كي أطلب منه أن يسامحني .»

لا تبدو يائِّه مضطربة كثيرًا مثلما فعلت قبل قليل . جلس ستين فيدار إلى جانبها ، فاتحًا فمه تحت وقع الدهشة . حلَّتْ محلَّ الفيديو على الشاشة خلفي سلسلةُ صورٍ بدأت بصورةٍ لي وأنا في الثالثة ؛ غافيةً ورأسي في وعاءٍ يحتوي على بقايا البوظة . وكاي قد حرَّر نصًا وضعه أعلى الصورة : طمَّاعة / من لديه الكثير يريد أكثر# مشاكل الدول الصِّناعيَّة .

انتشرت الضحكات المتهكِّمة عبر القاعة . ظهرت صورةٌ جديدةٌ على الشاشة وضحك الجمهور ، صورةُ التقطتها لي ساري عندما نامتْ عندي بعد أن وضع طبيب الأسنان التقويم في فمي . نمتُ على الأريكة واللعاب يسيل من فمي إلى ذقني . ثمَّ حلَّتْ محلَّها صورةٌ أخرى التُقطت منذ عدَّة أيَّام فقط . صورةٌ قريبةٌ أعبس فيها بطريقةٍ غريبةٍ . ثمَّ تبعتها صورة سيلفي بتكشيرةٍ أكثر قبحًا . وأعلى الصور كلِّها هناك نصوص على شاكلة : هذا هو شكل البلطجيِّ الأصلي ، حذارِ هذه

البلطجية الفظيعة . ظهرت خمس عشرة صورةً ، واحدة تلو الأخرى لا ترضي واحدة منها غرور أحد ، صورٌ كريهةٌ ، تتبع كلٌّ واحدة منها نصوصٌ تفضح أمري كواحدة من ممارسي الاضطهاد والبلطجة .

أدركَ مَن يضحكون على الصور ، فجأةً ، الجديَّةُ في الأمر . انتهت سلسلة الصور وعدنا إلى غرفة الجلوس في بيتي ومعي أمام الكاميرا :

«أجل ، هذا هو شكل البلطجيِّ . لم أعتقد أنَّ للبلطجيِّ مظهرًا كهذا ، قبل أن أرى صورتي في المرآة بعدما قمتُ بفعل البلطجة . اكتشفتُ عندها أنَّه قد تكون للبلطجي هيئةٌ مثل هيئتكَ وهيئتي . انظرْ إلى صورتك في المرآة ، هل أنتَ بلطجي؟»

انتهى الفيديو وتحوَّلتِ الشاشة إلى اللون الأسود . جلس الجميع بلا حراك ينتظرون البقيَّة . لا تصفيق ، لا تهليل ، لم يكن هناك سوى الصمت . لم يعد لديَّ ما أقوله واكتشفت عندها الخطأ في خطَّتنا : لم نخطِّط للنهاية . ماذا يحدث الآن يا ترى؟

كتدبيرٍ أخير يائسٍ ، توجَّهت إلى لارش ورفعتُ العصا السحريَّة . لكن بدل من أن أوجِّه العبارة السحريَّة إلى لارش ، اتَّجهت في اللحظة الأخيرة إلى بانت ، وصحتُ بأعلى صوتي : «**توقفوز حالنتيوس**» وفعلتِ العبارة مفعولها! قدما بانت ملتصقتين بالأرض ، لكنَّه ما زال قادرًا على تحريك الجزء العلويِّ من جسمه .

«ما هذا ، بحقِّ السماء . . .؟» سمعت بانت يقول بينما لارش ينظر إليه مذعورًا .

«لقد نفعت العبارة» ، همستُ . «كلُّ ما كان ينقصها هو حرف الزاي» .

رمقني لارش بنظرةٍ لكنِّي لم أستطع تفسير ملامح وجهه . هل هو سعيدٌ؟ أم هو غاضبٌ؟ هل سامحني؟

انفعلتُ إلى درجةٍ جعلتني أنسى أين أنا ، في الوقت الذي بدأ فيه الناس من حولي يستيقظون ويعودون لطبيعتهم . رأيتُ يانِّه تسير باتجاه ستين فيدار الذي حاول أن ينظِّم الحيوانات المنتشرة في جميع أنحاء القاعة . سمعت أبي ينادي «أماندا؟» لكنِّي لم أملك ما يكفي من الطاقة كي أجيبه .

قمت بدلًا من ذلك بالسير إلى الوراء ، ثمَّ اختفيتُ عبر فتحة الستارة ، وجلستُ وحدي في الغرفة . شعرتُ أنَّ الغرفة لن تبقى فارغةً لفترةٍ طويلةٍ ، فاختفيتُ بثلاث خطوات مديدة عبر الباب الخلفيِّ وأقفلته خلفي .

17

هكذا أنا

عثرتْ ساري علَيّ في الغرفة المخصَّصة لتبديل ملابس البنات . كنتُ جالسةً على مقعدٍ واضعةً يدَيّ تحت فخذَيّ ، حتى لا ترتجفا كثيرًا . ما زلتُ أرتدي اللباس المزدوج المضحك ؛ نصف عنزة ، ونصف ساحر . وقفتْ ساري في فتحة الباب ، وراحتْ تنظر إلَيّ . صَعُبَ علَيّ أن أجزم ، إن كانت ترغب في معانقتي أو خنقي ، وتنفَّست الصعداء حين قالتْ :

«كان عرضًا رائعًا حقًا .»

من لا مكان بدأتِ الدموع تتدفَّق خارجةً من مقلتَيّ . أنوح وأضحك في آنٍ معًا ، ولم أستطع التوقُّف عن فعل ذلك . ثمَّ ضحكتْ ساري أيضًا! لا أستطيع وصف السعادة التي شعرت بها حين سمعتُها تضحك . أحبُّ ضحكتها تلك! وقد افتقدتها كثيرًا!

«وكان . . .عرضًا غبيًا حقًا!» شخرتُ كالحصان .

«هاها! نعم» ، اعترفتْ ساري . ثمَّ سارتْ عبر الغرفة حتى وصلتْ إلَيّ وهمستْ : «لكنَّه رائعٌ أيضًا .»

«حسنًا» ، قلتُ وحاولتُ التقاط أنفاسي عندما عانقتني ساري العناق الأطول والأشدَّ دفئًا في تاريخ العالم .

وضعتُ ذراعَيّ حول جسمها النحيل ، وملتُ برأسي على كتفها . وقفنا هكذا لفترةٍ طويلةٍ قبل أن تفلتَ إحدانا قبضتها عن الأخرى كي نتنفَّس بطريقةٍ طبيعيَّةٍ .

«أتمنَّى دائمًا أن أكون خفيَّةً عن أعين الناس ، لكن عندما صرت خفيَّةً فعلًا كان الأمر فظيعًا» ، اعترفتُ ، وأومأتْ ساري برأسها لتقول إنَّها تفهم ما أعني .

«على الإنسان دائمًا أن يختار من يريد أن يكون» ، قالتْ بجديَّةٍ بالغة جعلتنا نضحك على ذلك النضج الذي حلَّ علينا .

«لكن ، لماذا لحقتِ بي؟» سألتُها في نهاية المطاف . «أظنُّ أنَّك أنهيتِ علاقتكِ بي .»

«أنا؟ أنهيتُ علاقتي بكِ؟ إنَّني الوحيدة التي لم تكرهكِ!»

«وماذا عن الرسالة؟» سألتها كي أفهم .

«القصيدة؟ أجل ، بالضبط! لقد قلتُ فيها إنَّك عائلتي! المرء لا يخذل عائلته إطلاقًا ، بغضِّ النظر عن الأخطاء التي نرتكبها! لكنَّكِ تجاهلتني طوال الخريف!»

«تجاهلتكِ؟ أنا؟ لقد كتبتِ لي : إنَّ ما نخسره ، نخسره إلى الأبد .»

«بالضبط! لذلك يهمُّني ألَّا تخسر إحدانا الأخرى .»

«ماذا؟» قلتُ وهززتُ رأسي لأنَّني لم أفقه شيئًا على الإطلاق . «إذًا ، تعنين بالقصيدة أنَّك سامحتني في الحال؟ وكيف لي أن أفهم ذلك؟»

ساري ترتعش من الضحك بينما الدموع تنهمر من عينيها .

«هكذا أنا حقًا» ، بدأتْ تتلعثم ، «حين أحاول أن أكون شاعريَّةً .»

«أجل! هاها!» ضحكتُ بدوري أيضًا .

«وهكذا أنتِ أيضًا . . .» ، تابعتْ ساري ، حين تعتقدين أنَّ الجميع يكرهك .»

نعم ، فكَّرت ، هكذا أنا . هكذا حقًا .

«هذا لأنَّني لا أرى حين يحاول الآخرون أن يعاملوني بلطف .»

ثمَّ خطرتْ لي صورة : كرة تطير فوق ملعب كرة القدم وتطرحني أرضًا . ذلك الشاب ، صاحب الشعر الداكن ، الذي يحاول أن يوضح لي ، الذي يحاول أن يقول إنَّه آسف ، لكنِّي أرده خائبًا وأرميه بوابلٍ من التهم الباطلة .

«أوه لا . . .» همستُ .

«ماذا؟» سألتْ ساري ، لكنِّي هززتُ برأسي كي أقول : ليس الآن .

«أين الآخرون؟» سألتُها .«كاي؟ لارش؟»

«لست أدري» ، أجابتْ ساري . «لقد هرعتُ إليكِ وتركتُهم .»

ابتسمتْ لها ابتسامة عرفانٍ بالجميل .

«لكنِّي أظنُّ أنَّهم يبحثون عنك» ، تابعت .

«هل تظنِّين ذلك فعلًا؟» سألتُها متردِّدة . «ماذا تظنين أنَّهم سيفعلون بي؟»

«هاها! ماذا سيفعلون بكِ؟»

«إنَّني خائفةٌ يا ساري .»

«لا حاجة للخوف بعد الآن . لقد اعتذرتِ .»

«نعم ، لكن هل تظنِّين أنَّ اعتذاري جيِّدٌ بما فيه الكفاية؟ هل تعتقدين أنَّ لارش سامحني الآن؟»

«مم» ، بدأتْ ساري ، «هو صاحب القرار .»

أومأتُ برأسي بصمتٍ . طار باب غرفة تبديل الملابس فجأةً ، واندفع كاي إلى الداخل لاهثًا .

«أنتِ هنا إذًا! لقد بحثتُ عنكِ مئة عام!» صاح .

سار كاي عبر الغرفة ، أحكمَ قبضته بشدَّةٍ على ذراعي وشدَّها حتى وقفتُ .

«ما الذي يحدث؟» سألتُ مرتبكةً .

«ما الذي يحدث؟ الكلُّ يبحث عنكِ .»

«لا . . .» ، همستُ .

«لا؟ أماندا! هذا تطوُّرٌ جيِّدٌ! لقد نجحتِ الخطَّة! جاء بانت إلَيّ

وسألني عنك ، ثمَّ قال إنَّه سينتظرك برفقة لارش في غرفة الصفِّ .»

تبادلتُ نظرةً سريعةً مع ساري التي أومأت لي برأسها وابتسمتْ .

«هذا تطوُّرٌ جيِّدٌ جدًا يا أماندا» ، أكدتْ لي ، وأمسكتْ بذراعي الأخرى .

وهكذا قادني صديقاي المفضَّلان خارج غرفة تبديل الملابس ، وعبر الممرِّ باتجاه غرفة الصف . لاقينا في طريقنا الكثير من النظرات الفضوليَّة للأهل والتلاميذ الذين خرجوا من قاعة الرياضة ، لكنَّ أحدًا منهم لم يوقفنا . حتى يانِّه لم توقفنا عندما مررنا بها بخطواتٍ راسخةٍ . ربَّما تعلم بأنَّ لارش ينتظرني في غرفة الصفِّ ، أو ربَّما بدأتْ تستعيد ثقتها بي .

توتَّرتُ لأنَّ الأمر قد ينتهي بطريقةٍ جيِّدةٍ . لكنِّي قلقتُ أيضًا ، فقد لا يقبل لارش اعتذاري على الرغم من كلِّ شيءٍ . ربَّما هو غاضبٌ الآن بما يكفي كي يؤنِّبني ، كما يجب أن يفعل منذ زمنٍ . توقَّف كلٌّ من كاي وساري خارج غرفة الصفِّ .

«حظًا سعيدًا» ، همستْ ساري .

ابتسمتْ لي ابتسامةً سريعةً ، وربتَ كاي كتفي قبل أن يغادرا كلٌّ في طريقه . وقفتُ وحدي خارج باب غرفة الصفِّ أبيض اللون ، ثمَّ قرعته .

أطلَّ بانت برأسه .

«مرحبًا يا أماندا!» ابتسم ابتسامةً لطيفةً قبل أن يفتح الباب ويتركني أدخل .

جلس لارش على مقعدٍ في عمق الغرفة . ما زال يرتدي زيَّهُ المسرحيَّ ، وابتسمتُ عندما خطر لي أنَّ ملابسنا متناغمة .

عندما دخلت الغرفة نظر إلَيّ نظرةً سريعةً ، قبل أن يعود وينظر إلى الطاولة بسرعةٍ أكبر .

«سوف أترككما وحدكما» ، قال بانت بهدوء . «من الواضح أنَّ بينكما الكثير ممَّا يستدعي الحديث عنه .»

«نعم . . .» وافقته الرأي ، وانتظرتُ عند الباب حتى خرج بانت .

ظللت واقفةً في مكاني لفترةٍ إضافيَّةٍ كي أجمع أفكاري ، ثمَّ سرتُ نحو لارش . توقَّفتُ على مسافة ما يقارب المتر من لارش وتنحنحتُ . لم يحرِّك لارش ساكنًا ، بل بقي جالسًا في مكانة ينظر إلى الطاولة .

«سامحني» ، قلتُ .

«حسنًا» ، أجاب لارش من دون أن يرفع نظره .

«لقد كنت غبيَّةً جدًا» ، تابعتُ .

«حسنًا» ، كرَّر لارش وتابع التحديق في الطاولة .

«هل تستطيع أن تسامحني؟»

لم يجبْ لارش في الحال ، لكنَّه نظر إلَيّ للمرَّة الأولى وقابل نظرتي . بدا وجهه المستدير بلا تعبيرٍ تقريبًا ، إلى أنْ ابتسم .

«لارش يا لوول» ، همس ونظر إلَيّ نظرةً لم أنجح في تفسيرها .

«أنا حزينةٌ جدًا على ما اقترفت يا لارش . كان عملًا جبانًا ولئيمًا ولم تكن تستحقُّ ذلك إطلاقًا . سامحني .»

«لكن لارش يا لوول فعلا!» أجاب لارش فجأةً ، وارتسمتِ ابتسامةٌ على وجهه كاملًا .

وقف فجأةً بحركةٍ مبالغٍ بها ، ثمَّ وجَّه عصاه السحريَّة تجاهي . حدَّق بي لعدَّة ثوانٍ قبل أن ينادي :

«صباروس متشابكوس!»

وضعت يدَيّ على رأسي بحركة ملتاعة .

«لاااااا!» صرختُ ووقعتُ على ركبَتَيّ .

شعرتُ أنَّ شعري بدأ يتحوَّل ببطءٍ بين أصابعي إلى نباتاتِ صبَّارٍ صغيرةٍ تنمو في كلِّ الاتجاهات .

«إيييي!» نحتُ . «شعري يتحوَّلُ إلى نباتات صبَّار!»

أصيب لارش بنوبة ضحكٍ هستيريَّةٍ طرحته أرضًا . اجتاحتني موجةٌ عارمةٌ من الفرح وأصبتُ بعدوى نوبة الضحك مع لارش .

عندما توقَّفنا عن الضحك أخيرًا ، غلبني الفضول ووجدت نفسي مجبرةً على السؤال :

«هل ألَّفت تلك العبارة السحريَّة وحدك؟ في غيابي؟»

«لا» ، قال لارش بحزم .

«لا؟» كرَّرتُ ونظرتُ إليه مستغربةً .

«آدم يساعدني» ، تابع لارش .

«آدم؟» قلتُ حائرةً .

ابتسم لارش ثانيةً .

«ماذا تعني بأنَّ آدم يساعدك؟» سألتُه ثانيةً .

«آدم صديقي» ، تابع لارش .

نظرتُ إليه نظرةً مرتابةً .

«آدم صديقك؟»

«يس» ، أجاب لارش ونظر إلَيّ نظرة الواثق ممَّا يقول .

علَيّ أنْ أفكِّر بهذا الأمر للحظة ، ثمّ خطرت لي فكرةٌ أهمُّ :

«ولذلك علَّمته فنون السحر؟»

شعرتُ وكأنَّني تعرَّضت للخيانة ، لأنَّني أظنُّ أنَّ السحر موضوعٌ بيننا نحن . لكن لارش أومأ برأسه إيجابًا فقط وأضاف :

«آدم يحبُّكِ .»

آدم يحبُّني؟

لست أدري ماذا أقول عن ذلك ، لأنَّني لا أفقه ما يقوله لارش؟ لاحظتُ في الوقت نفسه أنَّ وجنتَيّ احمرَّتا واتَّقدتا كالجمر .

«لا!» خرجت الكلمة فجأةً من فمي ، لكنَّ صوتي أتى مشوَّشًا وغريبًا .

«بلى» ، أصرَّ لارش . «قلتُ له إنَّني سأعلِّمه فنون السحر كي يسحرك فتصيرين فتاتَه ، لأنَّك لا تحبِّينه .»

«لا» ، كرَّرت ثانيةً قبل أن أهمس : «أنا مغرمةٌ به .»

«أجل» ، همس لارش بطريقة الصديق الواثق .

ضحكنا معًا . قمتُ من مكاني على الأرض ، ومددتُ يدَيّ نحو

لارش الذي أمسك بها ، ونهض من مكانه هو أيضًا .

«صديقان؟» سألته كي يؤكِّد لي .

«أفضل صديقين» ، أجاب لارش فخورًا وخرجنا سويًا من غرفة الصفِّ لنواجه بقية العالم .

بقي أمرٌ واحدٌ لا غير .

سرتُ أنا ولارش يدًا بيدٍ عبر الممرَّات في طريق عودتنا إلى قاعة الرياضة ، حيث جمعتْ يانِّه الممثلين جميعًا ، وحاولتْ جهدها كي تسير قدمًا بالفصل الثاني من العرض الفنيِّ ، في غياب نمرٍ وعنزةٍ .

دخلنا القاعة ، ووقفنا خلف الجمهور عندما بدأ عرض المشهد الأخير ، وبقينا واقفين في الظلام هناك لنشاهده برفقة الأهل كلِّهم . قاد الأسدان ساري وتيريه الحيوانات كلِّها إلى خشبة المسرح حيث كوَّنوا نصف دائرة . الأيدي تعلو وتهبط في حركاتٍ ليِّنةٍ ، حيث شكَّل الصفُّ المكوَّن من العرَّابين وتلاميذهم المتبنّين موجةً تذهب وتجيء .

صفَّق الأهل بحماسة وبين تصفيقات الشعر كلِّها رأيتُ رأس أمِّي ورأس أبي من الخلف . تمايلَا على الإيقاع الذي تمايل معه بقيَّةُ الأهل ، وكأنَّ أبي أحسَّ بأنَّ أحدًا ما ينظر إليه ، فالتفت بسرعةٍ والتقتْ عيناه بعينَيّ .

ابتسم لي وابتسمتُ له . رأى كم كنتُ فخورةً بأنْ أعود وأتَّحد مع التلميذ الذي تبنَّيته ، بأنْ أعود إلى دوري كعرَّابة .

عندما انتهتِ الأغنية عمَّ التصفيق والتهليل الصالة . هرع ستين

فيدار إلى خشبة المسرح كي يتلقّى التصفيق حين غادرها الجميع ليبحثوا عن آبائهم وأمهاتهم ، إخوتهم ، خالاتهم ، عمّاتهم ، جدّاتهم وأجدادهم .

لم أعد أرى ساري وكاي في خضمِّ الفوضى التي عمّت القاعة ، ولم أعد أرى أمّي وأبي . وقفتُ على رؤوس أصابعي كي أتمكّن من رؤيتهم ثانيةً . أردتُ أن يرى الجميع أنَّ لارش سامحني ، وأنّني صرتُ عرّابته من جديد .

فجأةً ، شعرتُ أنَّ أحدًا ما يمسك بيدي ، وذلك الأحد ليس لارش . اليد التي أمسكت بيدي دافئة وقبضتها ثابتة وحوّلت ساقَيّ إلى عيدان سباغيتي مغليّة . قبل أنْ أتمكّن من استيعاب أنَّ آدم يقف إلى جانبي ويمسك بيدي ، راح يشدُّني إلى الجهة الأخرى .

سار أمامي وقادني خارج قاعة الرياضة . شممتُ رائحةً ضعيفةً لخليطٍ من العرق والدراق ، وشعرتُ وكأنَّ كلَّ ما يحيطُ بي تحوّل إلى ضباب . من دون أن يلتفت إلَيّ ، ومن دون أن يقول شيئًا ، سحبني آدم معه عبر الممرِّ إلى ساحة المدرسة المغطاة بطبقةٍ رقيقةٍ من الثلج . هناك مشاعلُ ضخمةٌ مشتعلةٌ حولنا وتهادت ندف الثلج رقيقةً كالسكر الناعم ، وحطَّتْ على خصل شعره البنيَّةِ اللون .

أخيرًا استدارَ والتفتَ إلَيّ . لكنَّه في الوقت نفسه ترك يدي وعاد خطوتين إلى الوراء .

ثمَّ توقّف وراح ينظر إلَيّ ، من دون أنْ يرمش تقريبًا ، بينما إحدى

قدميه تركل الثلج ركلاتٍ خفيفةً . نظرتُ إليه ، وشعرتُ أنَّني أغرق في العينين الجميلتين .

«لم أقصد . . .» بدأتُ أقول ، لكن آدم قاطعني حين اقترب منِّي فجأةً ثانيةً .

ثمَّ وقف على بعد خطوةٍ ضئيلةٍ منِّي . امتزج البخار المتصاعد من فمه بسبب البرد بالبخار المتصاعد من فمي ، ليصعدا معًا إلى أعلى ، في الهواء .

هو أطول منِّي بقليلٍ ، لذلكَ شعرتُ أنَّ أنفي لامس ذقنه . تردَّد لثانيةٍ ثمَّ انحنى وأطبق بشفتيه على شفتَيّ .

قفز قلبي قفزةً ضخمةً في الهواء ، وكأنَّه يريد أن يتوقَّف عن النبض ، وأن يبقى ساكنًا بلا حراك في صدري . انتظرت ثانيةً ، ثمَّ ثانيتين ، ثمَّ! بدأ قلبي ينبض ثانيةً فتنفَّستُ هواء كانون البارد الذي ملأ رئتَيّ بسعادةٍ حقيقيَّةٍ لا تشوبها شائبةٌ .

آدم .

telegram @yasmeenbook